يونس البصري

حياته وآثاره ومذاهبه

تأليف

الدكتور أحمد مكي الأنصاري

رئيس قسم اللغة العربية وآدابها
وأستاذ الدراسات النحوية واللغوية بكلية الآداب
جامعة القاهرة — فرع الخرطوم

توزيع دار المعارف بمصر

١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م

يونس البصري

حياته وآثاره ومذاهبه

تأليف

الدكتور أحمد مكي الأنصاري

رئيس قسم اللغة العربية وآدابها
وأستاذ الدراسات النحوية واللغوية بكلية الآداب
جامعة القاهرة — فرع الخرطوم

توزيع دار المعارف بمصر

١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على خاتم النبيين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد فهذا بحث بعنوان : (يونس البصرى : حياته وآثاره ومذاهبه) كنت قد فرغت من تأليفه منذ سنين ، وبدأت فى طباعته ... وشاءت الأقدار أن يتوقف الطبع عند بداية الملزمة الخامسة ... وظل باقى الكتاب مخطوطا ينتظر الطبع !

وحينما قررت جامعة القاهرة بالخرطوم طبع هذا الكتاب فى هذا العام ... شكرت لها هذا القرار ... وطفقت أعيد النظر فيما كنت قد كتبت ... وتناول التعديل بعض الجوانب (1) .. تارة بالإضافة ، وأخرى بالحذف والإيجاز ، استجابة للظروف القائمة فى أزمة الورق ... تلك التى حتمت علينا أن نجعل الكتاب فى قسمين : أولهما هذا القسم الذى بين يديك ويشتمل على بابين اثنين ، وهما :

الباب الأول : وفيه فصلان : الفصل الأول : يونس حياة ومماتاً .

والفصل الثانى : شيوخه وتلاميذه

أما الباب الثانى فيشتمل على فصلين أيضاً ، وهما : الفصل الأول : آثاره النحوية ، والفصل الثانى : مذهبه فى النحو .

---

(1) تجد ذلك فى الملازم الأربع الأولى ... حيث كان هناك بعض التعديل اليسير بين ما طبع فى السنوات الماضية ... وبين ماطبع فى هذا العام ... أما سائر الملازم الأخرى ابتداء من الملزمة الخامسة فإنها على نمط واحد لا يختلف فى طبعة الجامعة عنها فى طبعة دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٣

وكنت أود أن يظهر القسم الثانى مشتملا على آثاره اللغوية ، والنقدية ، وجهوده فى الرواية والأدب ، ومذهبه فى كل ذلك ... غير أن الظروف القائمة حالت بينى وبين ماأريد ! فأرجأت ذلك إلى حين ··· وسألت الله أن يهيء له رؤية النور كما هيأها للقسم الأول ··· وعسى أن يكون قريباً .

* * *

لقد مضى زمن طويل والنفوس تتطلع إلى مؤلفات فى الدراسات النحوية يكون لها طابع خاص يواكب الحياة ويساير العصر الحديث مع الاحتفاظ بالأصالة الكاملة للتراث العربى القديم .

وقد رأيت أن أشارك فى هذه المحاولات الجادة ، وأن أدلى بدلوى فى الدلاء ، عسى أن أبلغ الهدف أو أكاد ... فما علينا إلا أن نعمل مع العاملين ، ونرمى بالسهام مع الرامين فإما أن نسدد أو نقارب .

هذه فريضة العلم ، وضريبة البحث والدرس ... يؤديها العلماء طائعين مغتبطين بما تنتج القرائح من التأليف القيم ، والمنهج القويم .

وخير منهج للدراسات النحوية ـ فى نظرى ـ هو أن نخرجها من جمودها البالى ... فنجدد لها شبابها ··· ونبرزها فى مطارفها العربية الهفهافة ··· ليقبل عليها الدارسون بقلوب متفتحة ، وأرواح فتية شماعة .

ويقينى أننا بتحقيق هذا المنهج ـ سنكون قد حققنا هدفين عظيمين : هما جذب الشباب إلى الدراسات النحوية ··· وإزالة سبة طالما لحقت بالنحو والنحاة من العقم والسقم والتزمت المقيت ، وقديماً ضاق الشعراء والأدباء بهذا النحو وبأولئك النحاة حينما انحرفوا به وجعلوه قيداً ثقيلا ، وغلا فى العنق ، وكان الأحرى بهم أن يجعلوه طوقاً للنجاة ، ومنارة تهدى سواء السبيل .

هل كتب علينا ـ نحن النحاة ـ أن ندور وندور ... فى حلقة مفرغة من جفاف الفكرة ، وسقم العبارة ؟

أما آن لنا أن ننهض ، فنعرض بضاعتنا فى ثوبها القشيب ؟ وما ثوبها القشيب إلا الأدب العربى الرفيع ، وهل كانت الشواهد النحوية إلا من الشعر العربى ، أو من القرآن الكريم .. وهو أعلى ذروة فى البلاغة والفصاحة ـ أو من النثر العربى على وجه العموم : من خطب وحكم وأمثال وما إلى ذلك من التراث العربى العريق .

لقد آن الأوان أن نضع الدراسات النحوية فى موضعها الصحيح ، ونردها إلى منبعها الأصيل ونحاول عرض هذه البضاعة المزجاة ... فى ثوب جديد يجمع بين دقة البحث ، وأصالة الفن ، وطلاوة الأدب الرصين .

وقد وقع اختيارى هذه المرة على شخصية نحوية رائدة ، كان لها أثرها العميق فى الدراسات النحوية والصرفية واللغوية بوجه عام ، كما كان لها أثرها فى النقد العربى بوضع الأسس والأحكام فى بواكير النشأة الأولى ، تلك هى شخصية (يونس البصرى) .

ولا ريب فى أن المجال النحوى مايزال بحاجة ماسة إلى الكشف عن رجالاته من الرواد الأوائل لتكون الصورة واضحة بين أيدينا ، فنستخلص من حياتهم واتجاهاتهم ومذاهبهم مايجعلنا نسير على بينة من أمرنا فى كل حكم نحوى أو صرفى ، أو تعليل أو تحليل ، أو قاعدة عامة وضعها النحاة من قبل .

هذا إلى أننى سرت فى (يونس بن حبيب) كما سرت فى غيره من سلسلة الرواد الأوائل ، فتحدثت عنه حياة ومماتاً ، وكشفت الغموض الذى كان يحيط بالرجل ، وجلوته للقارىء صورة واضحة المعالم بكل مافيها من الخطوط الرئيسية البارزة ، وأبرزها خط الحرية الفكرية التى ترتكز على أساس من السلفية الصالحة ، وبكل مالها من محاسن ومساوىء ... صورته

كما تمثلته ، وقد سلكت فى هذا وذاك مسلكا منهجياً خالصاً ، فما تعصبت لصاحبي ، ولا تجنيت عليه . كما أنى كشفت عن مذاهبه فى النحو والصرف واللغة ، والنقد ، وأثبت أنه صاحب قياس مبتكر فى النحو العربى .

وقمت فى ثنايا البحث بكثير من التحقيقات العلمية الدقيقة عما يتعلق بميلاده ووفاته ، وأصله ، وولائه ، وهل كان مطعوناً فى نسبه أو كان خالص النسب ... إلى غير هذا وذاك من التحقيقات العديدة التى تراها بين يديك .

ومن خلال صحبتى الطويلة للرجل العظيم (يونس البصرى) ... خيل إلى أن يونس لو حظى بتلميذ مخلص لمذهبه ومنهجه ، كما حظى بذلك الخليل ابن أحمد ـ لكان ليونس شأن آخر بين العلماء فى القديم والحديث ... ولعلى لا أكون مغالياً إذا قلت : إن يونس البصرى قمة من القمم الشوامخ فى النحو العربى ، لايقل شأناً عن الأئمة الأكابر فى ذلك العصر الخالد .

على أن دراسة الشخصيات دراسة ناضجة كما ينبغى أن تكون ... تحتاج إلى جهد مضاعف .. وربما كانت أصعب من الموضوعات الأخرى إذ أنها تحتاج إلى معايشة تامة ... كى يتعرف على اتجاهاتها وخلجاتها وأحاسيسها الداخلية ... ولو استطاع الباحث أن يعد أنفاسها من المهد إلى اللحد لفعل ... وفى كل هذه المراحل والأطوار المختلفة يسلط الباحث على الشخصية المدروسة نافذ الفكر ... وصائب النظر ، ويضعها دائماً تحت مجهر قوى يكشف كل الزوايا والحنايا فى ظاهرها وخوافيها ... ليستنتج من كل ذلك ماشاء له الاستنتاج ، من مذاهبه النفسية والسلوكية والعلمية والأخلاقية إلى آخر ماهنالك من اتجاهات ، ومذاهب ، وملامح تمثله بشراً سوياً يسعى بيننا على قدم وساق . هذا بالإضافة إلى الناحية المنهجية فى دراسة آثاره العلمية لاستنباط مذاهبه من آثاره هو مهما كانت مبعثرة فى بطون الكتب وأمهات المراجع ... تلك وجهة نظرى فى دراسة

الشخصيات بالنسبة إلى دراسة الموضوعات الأخرى .. وقد مارست النوعين جميعاً ممارسة طويلة مضنية .

ومما يزيد الطين بلة ... ويضاعف المشقة ... ويضيف إليها « ضغثاً على إبالة » ... ضياع جميع المؤلفات الخاصة بالشخص المترجم له .. كما هى الحال فى موضوعنا هذا (يونس البصرى) فقد عدت العوادى على مؤلفاته جميعاً ... وعصف بها الدهر ... فلم يبق لنا منها باقية .. والباحث عن الآثار فى مثل هذا الموقف يكون كمن يبحث عن التبر فى قاع المحيطات ... أو كمن يجمع الدقيق من بين الأشواك ... حافى القدمين ، فى يوم عاصف تهوى به الريح فى مكان سحيق .

هذا هو التصوير ، وذلك هو الموقف الدقيق بكل أبعاده ... ولك بعد ذلك أن تتصور ماتشاء من الصعوبة والمشقة والأهوال . ولكن الله مع العاملين الصابرين الصادقين . وقد وعد ... ووعده الحق ، فى كتابه المحكم ، حيث قال : « إن الله لايضيع أجر من أحسن عملا » .

غير أن بعض الدارسين فى عصرنا هذا يستنفدون كل طاقاتهم فى شىء آخر غير البحث عن مذهب المترجم له ـ مع الأسف الشديد ... حتى إن بعض الأساتذة الكبار فى عصرنا الحاضر لايشجعون طلاب الدراسات العليا على البحث فى الشخصيات ... خشية أن تقف همة الدارسين عند القشور ... دون أن تصل إلى الغاية العظمى ... وهى الكشف عن مذهب الرجل ومنهجه ... بالإضافة إلى إبراز شخصيته ، وبيان الخطوط الرئيسية فيها ، ورسم صورة واضحة المعالم لها ... ولا ريب أن الأساتذة الكبار يرحبون بذلك كل الترحيب حينما يحسون أن الدارس قد تهيأت له الأدوات واكتملت فيه المقومات : من صبر ، ومثابرة ، وتضحية بكثير من الملذات . بالإضافة إلى العقل الناضج والذكاء اللماح ...

ولا يفوتنى فى هذا الموطن أن أتقدم برجاء ونداء إلى جميع المشتغلين

بالدراسات النحوية أن يوجهوا شيئاً من جهودهم الجبارة إلى دراسة (الرواد الأوائل) فى النحو العربى .

فقد تبين لى فى ثنايا البحث أن دراسة الشخصيات الرائدة تهدينا إلى مذاهبهم واتجاهاتهم ... وقد تفتح لنا باباً جديداً لم يطرقه طارق من قبل . مثل العثور على تيارات متميزة بخصائصها الواضحة داخل كل مدرسة من المدارس النحوية المتعددة .

تلك أمنية عزيزة غالية أحرص عليها كل الحرص ومن أجلها أهيب بعلمائنا فى النحو العربى أن يتكرموا بتوجيه تلاميذهم فى الدراسات العليا إلى هذا الميدان الخصيب ... ولعلى لا أكون مغاليا إذا قلت : إنه مايزال بكراً إذا نظرنا إلى الأعداد الضخمة من الرواد الأوائل ... تلك التى يكتنفها الغموض من كل جانب ، ويرمى بها النسيان فى زوايا الإهمال .

صحيح أن السير فى هذا الميدان موحش وعر المسالك . ولاسيما إذا كانت الشخصية الرائدة لم تترك لنا أثراً من الآثار .

لهذا أرجو رجاء مخلصاً صادقاً أن تتضافر الجهود الجبارة من الأساتذة الكبار ، وأن تتشابك الأيدى ، وتتكاتف العزائم الشابة من زملائنا والأصدقاء ... عسانا نبلغ شيئاً مما نريد من النهوض بلغتنا القومية العربية لغة القرآن الكريم وكفى .

وفى النهاية أقدم إليكم هذه المحاولة المتواضعة ، مشاركة منى فى هذا الميدان الضخم . وحسبى أنى بذلت غاية الجهد ... فإن أكن قد أصبت فذلك الذى أبغى ، وإن تكن الأخرى فما على المحسنين من سبيل . والله ولى التوفيق ؟

أحمد مكى الأنصارى

يونس البصري

حياته وآثاره ومذاهبه

الباب الأول

حياته ومماته

موطنه :

يختلف الرواة في موطن يونس بن حبيب إلى أقوال ثلاثة : فتارة يقولون : إنه « من أهل الجبل »[1] ، وأخرى يقولون : إنه « من أهل جُبَيْل »[2] وطوراً يقولون : إنه « من أهل جَبُّل »[3] بفتح الجيم وضم الباء المشددة[4] .

فهل هناك اختلاف حقيقي بين هذه الأسماء ، أو أنه وليد التشابه والتحريف ؟ .

وإذا كان هناك اختلاف حقيقي ، فمن أيّها يكون يونس بن حبيب ؟ .
بالبحث ثبت لديّ أن هذه الكلمات الثلاث أسماء لمواطن متعددة ، كل موطن منها يحمل الاسم الخاص به ؛ ومعنى هذا أن الاختلاف حقيقي بين هذه البلاد ، وليس من التشابه والتحريف ، وإليك البيان :

جاء في معجم البلدان ، بعد أن ذكر عديداً من المواطن والبلاد : « الجبل هو اسم جامع لهذه الأعمال التي يقال لها الجبال ... والعامة في أيامنا يسمونها العراق »[5] .

وفي موطن آخر قال ياقوت : « وجبيل أيضا جبل أحمر عظيم ..... وليس بين الكوفة وفَيْدٍ جبل غيره »[6] .

---

(١) الفهرست لابن النديم ص ٦٣ ط الرحمانية .

(٢) وفيات الأعيان لابن خلكان ٣/٥٤٥ ط سنة ١٢٩٩هـ .

(٣) انظر طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ص ٤٨ . الطبعة الأولى ، وانظر الوفيات ٣/٥٤٧ ، والأعلام ٩/٣٤٤ . الطبعة الثانية .

(٤) انظر معجم البلدان لياقوت . المجلد الثاني ص ١٠٣ ط بيروت ، وانظر الوفيات ٣/٥٤٧ ، والاعلام ٩/٣٤٤ . ط ثانية .

(٥) معجم البلدان ص ١٠٣ . المجلد الثاني . ط بيروت .

(٦) نفس المصدر ص ١١٠ .

وفى موطن ثالث يقول : « جبل - بفتح الجيم وتشديد الباء وضمها ولام - بليدة بين النعمانية وواسط فى الجانب الشرقى »[1] .

ومن كل ماسبق يتأكد لنا أنهـا مواطن متعددة ، وليست بلدة واحـدة دخلها التحريف .

والآن يحق لنا أن نتساءل : من أيها يـكون يونس بن حبيب ؟ .

الراجح عندى أنه من أهل جَبُّل (بفتح الجيم وضم الباء المشددة)، وأن الذين نسـبوه إلى الجَبل أو إلى جُبَيْل لم يـكونوا من الدقة بالمـكان الذى يؤهلهم إلى مرتبة الرجحان فى هذه النسبة بالذات .

ولى على هذا الترجيح دليلان : دليل ذهنى ، ودليل تاريخى .

أما الدليل الأول فهو : أن الذهن يسارع إلى كلمة جبل أكثر مما يسارع إلى كلمة (جَبُّل) بضم الباء مع التشديد . فإن الأولى مألوفة تثب إلى الذهن أول ماتثب فيبادر إليها اللسـان دون تفـكر أو تعمل ، بخلاف الـكلمة الثانيـة المشددة فإن الذهن لايتجه إليها إلا بعـد القصد والتعمل ؛ لهذا كان احتمال الخطأ فى الأولى أكثر من احتماله فى الثانية بسبب الوثبة الذهنيـة والتسرع اللسـانى .

وهذا الدليل واضح كل الوضوح لمن يلاحظ الحركات الذهنية أثناء القراءة ، كما يلاحظ التسرع اللسانى وانجذابه نحو المألوف من الـكلمات .

بقيت علينا وقفة مع كلمة (جُبَيْل) بالتصغير ، فما لاريب فيه أنها أبعد عن

---

(١) معجم البلدان . المجـلد الثانى ص ١٠٣ ط بيروت ، وقريب منه ما جاء فى وفيات الأعيان لابن خلـكان ٣/٥٤٧ طبع سنه ١٢٩٩ ﻫ ، وانظر الأعلام ٩/٣٤٤ ط ثانية .

التسرع من كلمة جَبَل ، ولكنه مما لاشك فيه أيضا أنها أقرب من كلمة (جَبُّل) بالضم مع التشديد ، فانتقال الذهن إليها أيسر من انتقاله إلى (جبُّل) بالتشديد ، فهي مرحلة وسط بين جَبَل وجَبُّل ، والذي يعنينا هنا هو إثبات أن احتمال الخطأ فيها بسبب التسرع إليها أكثر من احتماله في كلمة (جَبُّل) بالتشديد .

كل هذا من الناحية الذهنية المحضة ، يضاف إليها في كلمة (جُبَيْل) احتمال الخطأ في الكتابة . فزيادة « سِنَّة » من الكاتب تحول الكلمة من معنًى إلى معنى ، أو بعبارة أدق تحولها من بلدة إلى أخرى كما ترى ، ومثل هذا التحريف في الكتابة معروف في تلك العصور ، كما أنه مألوف حتى في عصرنا الحاضر .

وأما الدليل التاريخي فهو تضافر معظم الروايات على أن يونس بن حبيب من بلدة (جَبُّل) بالضم مع التشديد ، وإليك بعض ما وقفت عليه من تلك الروايات حسب الترتيب الزمني :

(ا) جاء في طبقات الزبيدي (ت ٣٧٩ هـ) : « يونس بن حبيب هو أبو عبد الرحمن الضبي ... وكان من أهل جَبُّل[1] » .

(ب) كما جاء في الوفيات لابن خلكان (ت ٦٨١ هـ) : « وكان يونس من أهل جبُّل ، وهي بُلَيدةٌ على دجلة بين بغداد وواسط ... وجَبُّل

---

(١) طبقات النحويين واللغويين ص ٤٨ تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، وقد علق عليها المحقق فضبطها شكلا ولفظا حين قال نقلا عن ياقوت : « جبل بفتح الجيم وتشديد الباء وضمها بلدة بين النعمانية وواسط » .

بفتح الجيم وضم الباء الموحدة المشددة . كذا قاله الحافظ السمعانى فى كتاب الأنساب »[1] .

(ج) ثم جاء صاحب الأعلام فقال فى ترجمة يونس : « وهو من قرية (جَبُّل) بفتح الجيم وضم الباء المشددة [2] » إلى آخر ما هنالك من الروايات المتضافرة .

موقع جبل :

تقع بلدة (جَبُّل) موطن يونس على نهر دجلة[3] بالعراق فى الجانب الشرقى[4] منه ، ولا أظن أننا نلاقى كبير عناء حين نوفق بين الرواية التى تقول إنها تقع « بين النعمانية وواسط »[5] ، وبين الرواية الأخرى التى تقول إنها « بين بغداد وواسط[6] » .

كما أنه لا يشكل على القارىء ما جاء عن النعمانية بأنها « بين واسط وبغداد »[7] .

فمن السهل علينا أن نتصور الطرفين ، وهما واسط وبغداد ، ثم نتصور بينهما النعمانية وجبّل ، بحيث تكون النعمانية فى جهة بغداد ، وبلدة (جبّل) من ناحية واسط هكذا :

[بغداد — النعمانية (جبل) واسط]

---

(١) وفيات الأعيان ٣/٥٤٧ ط سنة ١٢٩٩هـ .

(٢) الأعلام ٩/٣٤٤ ـ الطبعة الثانية .

(٣) انظر الوفيات ٣/٥٤٧ ـ ط سنة ١٢٩٩ هـ .

(٤) معجم البلدان ص ١٠٣ . المجلد الثانى . ط بيروت .

(٥) نفس المصدر .

(٦) الوفيات ٣/٥٤٧ . ط سنة ١٢٩٩هـ . والأعلام ٩/٣٤٤ ط ثانية .

(٧) معجم البلدان ـ المجلد الخامس ص ٢٩٤ ط بيروت .

وإمعاناً فى التحقيق بحثت عن خريطة توضح لنـا هـذا الموقع فلم أهتد إليه فى أى خريطة ، بالرغم من التتبـع والاستقصاء لـكثير من الخرائط « والأطالس » المعاصرة ، ثم قلت فى نفسى : لعلها أصبحت بلدة أثرية لا تهتم بها الأطالس المعاصرة ، واتجهت إلى البحث فى الخرائط الأثرية لمصلحة السياحة العراقية ، فلم أجـد لها أثرا فى مصلحة الآثار .

وعز على أن أمنى بالفشل مرتين ! ولم أيأس ، بل حاولت هذه المرة أن أتجه إلى العلماء المعـاصرين المشتغلين بمثل هذه الدراسات ... فـكتبت[1] إلى الأستاذ الجليل الدكتور مصطفى جواد على غير معرفة شخصية سابقة[2] ونفضت إليـه جلية الأمر وانتظرت ... ولم يطل الانتظـار ، فقـد وافانى بالخبر اليقين — وعنـد جهينة الخبر اليقين — فقال : « المعروف أنها زالت باستيلاء دجلة عليهـا ، وقد ذكرها الدكتور أحمـد سوسة فى كتـابه (رى سامرا ٣/٤٤٨) فقال :

« أما موضع جبّـل فقد ثبت أن أنقاض هذه المدينة أصبحت فى وسط نهر دجلة مقابل (أم البُنّى) الحالية ، نتيجة التآكل الحاصل فى ضفة النهر التى كانت المدينة منشأة عليه ، ويعرف هذا الموضـع اليوم باسم جنبل (بإدخال النون

---

(١) كان خطابى إليه فى ١٩٦٥/١١/٢٦ ومما جاء فيه : « إن المراجع القديمة مثل معجم البلدان تذكر أنها بلده بين واسط وبغداد ، أو بين النعمانية وواسط على نهر دجلة ... ثم رجعت إلى بعض الخرائط الأثرية لمصلحة السياحة العراقية ، فلم أجد لها أثراً على الخريطة ... فهل معنى هذا أنها بادت ، ولم يبق لها أثر فى الوجود ؟ أو أنها باقية ولـكن الخريطة أهملتها لعدم أهميتها فى نظرهم ؟ ... إلخ » .

(٢) لـكننى أعرفه ببحوثه القيمة ، وهو أستاذ بجامعة بغداد بالعراق .

بين الجيم والباء) ، وقد توهم أكثر السياح من الإفرنج أن الأنقاض التى اعترضتهم فى وسط دجلة فى هذا الموضع من بقايا جسر قديم كان على نهر دجلة هناك » اﻫ .

ثم قال الدكتور جواد : « إذن لا يمكن إثبات جبل على خارطة تاريخية ، والموضع الذى أشار إليه أحمد سوسة فى كتابه محصور اليوم بل فى الجغرافية العصرية بين بلدة العزيزية ومدينة الكوت الحاليتين بالعراق على شاطىء دجلة الشرقى » .

كما أنى رأيت أن أعزز هذا البحث أكثر وأكثر فنقلت إليك صورة الخريطة الأثرية التى رسمت بمعرفة مصلحة الآثار العراقية ، إخلاصاً للبحث ، وإمعاناً فى التحقيق[1] .

---

(١) انظر الخريطة بآخر الكتاب

هل كان يونس يكرهها ؟ ولماذا ؟ :

يحدثنا ابن خلكان عن كراهية يونس لموطنه الأصلى وهى بلدة (جَبُّل) فيقول :

«وكان لا يؤثر أن ينسب إليها » . حدثنا عن الكراهية ، لكنه صمت عن السبب ، بل إن المراجع التاريخية كلها — فيما أعلم — صمتت صمتاً مطبقا ، فأمسكت عن ذكر شيء من الأسباب .

ولست أدرى سببا واضحاً لهذه الكراهية . . . وذهبت أبحث وأتلمس ، فلم تعلق كفيّ بشيء أطمئن إليه .

كما أننى بحثت عن مظاهر هذه الكراهية التى ألصقها به ابن خلكان فلم أجد لها شيئا يذكر ، اللهم إلا ماقد يكون من نسبته إلى البصرة حيث يقولون : يونس البصرى ولا يقولون يونس الجبُّلى .

ولعلك توافقنى على أن هذه النسبة لا تقوم دليلا على أن يونس كان يكره بلدته وأنه « لا يؤثر أن ينسب إليها » ؛ لأننا نرى كثيرا من العلماء والعظماء والشعراء ينسبون إلى غير موطنهم الأصلى دون أن يرتفع صوت واحد بأنهم يكرهون بلادهم وأنهم لا يؤثرون أن ينتسبوا إليها .

هذا إلى أن البصرة بالذات كانت العاصمة الكبرى آنذاك ، فلا عجب أن ينتسب إليها أبناء القرى من أمثال يونس .

وليس هذا فحسب ، بل إن يونس كان إماماً فى النحو بالبصرة ، وجميع كتب الطبقات تذكره من رجالات النحو البصرى ؛ فلا عجب أن ينسب إلى البصرة ويشتهر بأنه بصرى كما اشتهر غيره من العلماء .

على أن هناك بصيصاً من النور يرمى بضوء خافت لايكاد يبين . . نلمحه من بعيد فى القصة التى كانت بين يونس وبين العميرى،حينما تعرض ليونس فى الطريق ، كأنه يستثيره من طرف خفى ، عندما سأله عن (جبُّل) ، هل تنصرف أولا تنصرف ؟ ، فما كان من يونس إلا أن شتمه شتما مقذعاً يستوجب الحد[1] . .

فهل يسوغ لنا أن نستشف من هذه الحادثة أن يونس كان يكره بلدته لسبب أو لآخر ، اعتماداً على أن مجرد السؤال البرىء ما كان ليستثير يونس إلى هذا الحد الذى جاوز المدى فيما أرى ؟.

إنى أستبعد على يونس ، أو على غير يونس ، أن يقدم على هذا القذف ـ إن صحت الرواية ـ لولا ما يحمله هذا السؤال الماكر من خبث خبىء فى طوايا الحديث .

كما أننى لا أستطيع الاعتماد على هذا اللمح الخفى فى إثبات قضية الكراهية ، التى أثارها ابن خلكان دون دليل أو شبه دليل ، لا سيما أن حب الوطن غريزة فى الإنسان والحيوان ، ومن هنا جاءت خطورة القضية ، فليس من اليسير أن نسلم بهذه التهمة دون دليل .

ثم إننى لم أكتف بهذا . . . بل ذهبت أبحث فى تاريخ هذه البلدة لعلى أجد فيها مغمزاً يضير المنتسبين إليها . . وحينئذ أقول : إن يونس ربأ بنفسه أن ينتسب إلى مثل هذه البلدة ، فعزف عنها ، وولى وجهه شطر البصرة يعيش فيها وينتسب إليها . .

كنت أمنّى النفس بذلك لأحقق مقالة ابن خلكان فى قضية الكراهية ،

---

(١) قال له (يا ابن الزانية) كما سيأتى بالتفصيل .

ولكن خابت الأمانى ، فلم أجد فيها مغمزاً واحداً يشينها أو يعيب المنتسبين إليها ، اللهم إلا ما جاء فى معجم البلدان من أن قاضيها كان يضرب به المثل[(١)] فى السذاجة وتفاهة الحيلة ... وأورد قصته مع المأمون فقال : « وكان من حديثه أن المأمون كان راكبا يوماً فى سفينة يريد واسطا ، ومعه القاضى يحيى بن أكثم ، فرأى رجلا على شاطىء دجلة يعدو مقابل السفينة وينادى بأعلى صوته : يا أمير المؤمنين . نعم القاضى قاضينا ، نعم القاضى قاضى جَبُّل ، فضحك القاضى يحيى بن أكثم فقال له المأمون : ما يضحكك يا يحيى؟ قال يا أمير المؤمنين : هذا المنادى هو قاضى جبّل يثنى على نفسه ، فضحك منه وأمر له بشىء وعزله ، وقال : لا يجوز أن يلى المسلمين من هذا عقله[(٢)] » .

هذه القصة التى سارت مسير الركبان حتى صارت مضرب الأمثال فى السذاجة وخفة العقل وتفاهة الحيلة ، كانت تصلح مغمزاً أو شبه مغمز يعيب بلدة (جبُّل) فيعزف عنها يونس ... لولا أنها وقعت بعد وفاة يونس بسنين ، فأين يونس المتوفى سنة ١٨٢ هـ من خلافة المأمون ! .

وليس من المعقول أن تصير مغمزاً قبل الوقوع ، ثم إن هذه البلدة (جبُّل) كانت موطنا لكثير من أهل العلم والفضل ، وكانوا مشهورين بالانتساب إليها فيقال (فلان الجبُّلى) دون أى غضاضة ، فلا ضير على يونس أن ينتسب إليها ، كما انتسب إليها أولئك الأعلام الذين حدثنا عنهم ياقوت فقال : « وينسب إليها جماعة من أهل العلم منهم أبو عمران موسى بن إسماعيل الجبلى رفيق يحيى ابن معين ... ومنهم الحكم بن سليمان الجبلى ... ومنهم أبو الخطاب

(١) انظر معجم البلدان ص ١٠٣ من المجلد الثانى ط بيروت .
(٢) المصدر السابق .

الشاعر ، كان من المجيدين[١] ، وكان بينه وبين أبى العلاء المعرى مشاعرة ، وفيه قال أبو العلاء قصيدته :

غير مجدٍ فى ملتى واعتقـــادى نوح باك ولا ترنم شادى[٢]

هذا إلى أن الشاعر البحترى أعجب بهذه البلدة وأشاد بهـا فى شعره ، ومع أنها قرية[٣] فضلها على مدينة واسط فقال :

حنانيكَ من هول البطائح سائراً على خطر والريحَ هَوْلٌ دبورها

لئن أوحشتْنى جَبُّـل وخِصاصها لما آنستنى واسط وقصورها[٤]

وأيًّا ما كان الأمر الذى أعجب البحترى فيها حتى أوحشته . فإن الذى يعنينا هو إثبات أنها ليستْ سبّة منفرة ، بل إن فيها ما يحبب النفوس ، ويشرف المنتسبين إليها .

وبعد هذه الجولة الواسعة فى البحث والتحقيق أعود فأقول إننى لم أجد دليلا واحدا أطمئن إليه لإثبات القضية التى أثارها ابن خلـكان ، وهى كراهية يونس لبلدة (جبُّل) موطنه الأصلى ومسقط رأسه الأول .

---

(١) قال عنه ابن خلكان : « أبو الخطاب الجبلى الشاعر المشهور ، ومن شعره قوله :

كم جئت نحـوك مهماً لو لم يعن شوق عليـه لما قدرت أجوبه

وركبت أخطارا إليـك مخوفة ولحبـذا خطـر إليـك ركـوبه

انظر الوفيات ٣ / ٥٤٧ طبع سنة ١٢٩٩ هـ .

(٢) معجم البلدان المجلد الثانى ص ١٠٤ ط بيروت . وانظر وفيات الأعيان ٣ / ٥٤٨ ففيها تعقيب لابن خلكان على السمعانى الذى جعل هذه القصيدة فى رثاء أبى الخطاب . قال ابن خلكان معقبا ومصححاً : « وهذا غلط منه (أى من السمعانى) بل كتبها أبو العلاء المعرى إلى أبى حمزة الحسن بن عبدالله الفقيه الحنفى قاضى منبج » .

(٣) قال ياقوت : « جبل ... كانت مدينة ، وأما الآن فإنى رأيتها مرارا ، وهى قرية كبيرة ... انظر معجم البلدان ص ١٠٣ من المجلد الثانى . ط بيروت .

(٤) نفس المصدر .

أصله وولاؤه :

يكاد الرواة يجمعون على أن يونس بن حبيب كان « أعجمي الأصل »[1] ، ولهذا كان يعتز به دعاة الشعوبية ويعدونه مفخرة من مفاخرهم . جاء فى الفهرست : « وقال صاحب مفاخر العجم إنه أعجمى الأصل ... ففخر بذلك »[2] .

غير أن « بروكلمان » لم يرق له ذلك فيما يبدو من عبارته التى صدرها « بالزعم » حين قال : « وزعم مصنف مفاخر العجم أنه أعجمى ، ولعله قرأ الجبال Medien بدل (جبل) ، ولكن يجوز أن يكون أيضا من النبط الآراميين »[3] .

فأنت تراه يشكك فى عجمته ، ويورد احتمال الخطأ فى قراءة « جبُّل » تلك البلدة العربية العراقية ، وكأنه يريد أن يقول إن أصل يونس عربى لا عجمى وإن نسبته إلى العجم جاءت نتيجة الخطأ فى قراءة (جبل) حين حرفوها فقرؤوها (الجبال) ، ولهذا نسبوه إلى الأعاجم فقالوا إنه « أعجمى الأصل » .

تلك لفتة جميلة من لفتات « بروكلمان » ، وكنت أود أن أشايعه فى ذلك ، وأشد من أزره ، غير أننى رأيت يدى خلواً من الدليل ، كأن يده كذلك خلو

---

(١) الأعلام ٩/٣٤٤ ط ثانية ، والفهرست ص ٦٣ .

(٢) الفهرست لابن النديم ص ٦٣ .

(٣) تاريخ الأدب العربى — بروكلمان — ترجمة المرحوم الدكتور عبد الحليم النجار ٢/٣٠ ، ط دار الكتب .

من كل دليل ، ويلوح لى أنه أحس بهـذا — بعـد أن أثار احتمال الخطأ فى القراءة ، فراح يجوز أن يـكون من العجم فقال : « ولـكن يجوز أن يكون أيضا من النبط الآراميين » .

ولم يـكن يونس بدعاً فى ذلك فـكثير من العلماء الأجلاء كانوا من الموالى فى فترة من الزمان (١) ، حين امتزجوا بالعرب ودخلوا فى الإسلام أفواجا، ونهلوا من مناهله العذبة .

ولئن كان المؤرخون قد نصوا على أنه كان من العجم فإننا لا ندرى على وجه اليقين من أى الأعاجم كان يونس بن حبيب ، أ كان من الفرس أم كان من الروم مثلا ؟، أ كبر الظن أنه كان من الفرس وإن لم أطلع على نص فى ذلك ، كما اطلعت على نصوص فى غيره من العلماء ، ومنهم الـكسائى مثلا فقد جاء فى نص صريح أنه « من أولاد الفرس (٢) » .

وكل ما يقال عن يونس إنه من الموالى (٣) ، وأما قول « بروكلمان » إنه من النبط الآراميين فذلك على سبيل الجواز والتخمين ، لا على سبيل العلم واليقين :

هذا إلى أن الرواة اختلفوا فى ولائه : فتارة يجعلونه مولى لبنى ضبة ، وأخرى يجعلونه مولى لبنى ليث بن بـكر ، وطورا يقولون إنه مولى بلال بن هرمى ... إلى آخر ما هنالك من الروايات المتضاربة .

والراجح عندى أنه مولى بنى ضبة لتضافر معظم الروايات على ذلك ، كما أن بعض المؤرخين قد اقتصر عليها ، ولم يذكر إلى جانبها أى رواية أخرى ،

---

(١) انظر مقدمة ابن خلدون ص ٤٥١ ط التقدم .
(٢) غاية النهاية فى طبقات القراء ١/٥٣٥ تحقيق برجشتراسر .
(٣) انظر مثلا مرآة الجنان لليافعى ١/٢٨٨ — ط حيدر آباد .

ومن هؤلاء أبو الطيب اللغوى (ت ٣٥١ ﻫ)[(١)] والزبيدى (ت ٣٧٩ ﻫ)[(٢)] والسيوطى (ت ٩١١ ﻫ)[(٣)] وصاحب الأعلام[(٤)] .

أما ياقوت الحموى (ت ٦٢٦ ﻫ) فإنه اعتمدها أولا ، ثم ذكر غيرها بصيغة التضعيف ، فقال فى ترجمة يونس هو « أبو عبد الرحمن الضبى ، وقيل الليثى بالولاء »[(٥)] .

وكذلك فعل ابن خلكان (ت ٦٨١ ﻫ) فقال نقلا عن المرزبانى فى كتابه المقتبس فى أخبار النحويين : «هو مولى ضبة ، وقيل : هو مولى بنى ليث ابن بكر بن عبد مناف بن كنانة ، وقيل : مولى بلال بن هرمى من بنى ضبيعة ابن بجالة»[(٦)] .

وأما أبو الحسن الخزاز فقد تشكك فى ولائه لبنى ليث فقال معقبا على ذلك : إننى « لا أحقه ، ولكنه كان يكون مع هؤلاء (أى مع بنى ليث فلا أدرى هو مولى أم لا »[(٧)] ، وأما ولاؤه للهرمى فهو أضعف من أن يقوم عليه دليل .

وأيا ما كان الأمر فقد ثبت لدينا أنه كان مولى حقا ، ولكن أى نوع من الولاء ؟ فنحن نعلم أن أسباب الولاء متعددة، ولهذا تعددت أنواعه :

---

(١) انظر مراتب النحويين ص ٢١

(٢) « طبقات النحويين واللغويين ٤٨

(٣) « البغية ص ٤٢٦

(٤) « الأعلام للزركلى ٣٤٤/٩ ط ثانية .

(٥) معجم الأدباء ٦٤/٢٠

(٦) الوفيات ٣ / ٥٤٥

(٧) الفهرست لابن النديم ص ٦٣

منها ولاء الأحلاف وولاء العتق[1] وولاء الإسلام ، فمن أيها كان ولاء يونس؟

لست أدري، بالرغم من البحث والتنقيب الشديد ، إذ أن المراجع التى بين أيدينا صمتت صمتا مطبقا حيال هذا الولاء ، كما صمتت إزاء الكثير من القضايا الدقيقة فى تاريخ الرجال .

اسرته :

لا نكاد نعرف شيئا يذكر عن أسرة يونس ، شأنه فى ذلك شأن الكثيرين من جلة العلماء ، أمثال سيبويه والكسائى والفراء ، ولعل السبب فى ذلك أنهم عصاميون فرضوا أنفسهم على التاريخ بعلمهم وجدهم ففتح لهم قلبه ، واحتلوا فيه مكانا بارزاً بعد أن أغلق أبوابه دون آبائهم ، فلم يكترث بهم ، ولهذا ظلوا فى زوايا الإهمال ، فلا نكاد نعرف عنهم شيئا ذا بال .

وكل الذى نعرفه عن أسرة يونس بن حبيب ذلك الخلاف الذى دار حول كلمة (حبيب) ، هل هى اسم لأبيه ، فتكون مصروفة ، أو أنها اسم لأمه فتكون ممنوعة من الصرف للعلمية والتأنيث ؟ .

قال ابن خلكان : « وحبيب اسم أمه ولهذا لا يصرفونه ... ويقال إنه اسم أبيه فينصرف والله أعلم »[2]

هل كان مطعونا فى نسبه :

يحدثنا بعض الرواة أن يونس بن حبيب كان مطعونا فى نسبه « فإنه

---

(١) انظر فجر الإسلام ص ٨٩ . الطبعة السابعة ، ففيها تفرقة بين مولى العتق ومولى الإسلام ، وخلاصتها أن مولى العتق يكون رقيقا فيعتق ، وأما مولى الإسلام فهو الذى يسلم على يد غيره فيصير مولى له .

(٢) وفيات الأعيان ٣/٥٤٨ .

لا يعرف له أب ، ويقال إنه ولد ملاعنة »[١] وحبيب اسم أمه،ولهذا منع من الصرف .

تلك هى رواية ابن خلكان،ومن الجائز أن تكون ! غير أننى لا أطمئن إليها ، ومن الجائز أن يكون هناك لبس بين (يونس بن حبيب) و بين (محمد ابن حبيب) ذلك النسَّابة الذى كان مطعونا فى نسبه،وقالوا عنه: إنه «لا يعرف أبوه وحبيب أمه»[٢] وبالطبع ممنوعة من الصرف للعلمية والتأنيث ، كما أن السيوطى روى أنه « ولد ملاعنة »[٣] وأنه توفى سنة ٢٤٥ هـ[٤] ،وسبب اللبس ـ فيما أرى ـ هو اتفاق الاسمين (حبيب وحبيب) وشتان بين هذا وذاك ، والفرق بينهما واضح ، وإن لم أملك عليه الدليل القاطع ، لكننى أحس إحساساً قويا بأن احتمال اللبس قريب ، ولعلك توافقنى على ذلك ريثما تسعفنا الأيام بدليل علمى نستند إليه ، وحسبى أننى سجلت إحساسى وارتيابى فى رواية ابن خلكان ، والتمست نصا صريحا[٥] يجعل احتمال اللبس جد قريب .

ومهما يكن من شىء فإن يونس بن حبيب قد وصم بهذه الوصمة الدامغة . . . وقد قيل ماقيل إن صدقا وإن كذبا ، ومضى الرجل فى ذمة التاريخ لا يملك لنفسه عذرا ولا يستطيع عنها دفاعا ! .

ومن يدرى لعل هذه التهمة الكاذبة — فى نظرى — كانت بمثابة انتقام

(١) وفيات الأعيان ٣ / ٥٤٨ .

(٢) بغية الوعاة للسيوطى ص ٢٩ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) نفس المصدر ص ٣٠ .

(٥) هو النص الذى يجعل محمد بن حبيب النسابة مطعوناً فى نسبه كما سبق .

من السماء للعميرى الذى سبه يونس بن حبيب سبا مقذعا حين رمى أمه بالزنى — إن صحت الرواية .

يقول ابن خلكان : « وكان يونس من أهل جَبُّل . . . وكان لايؤثر أن ينسب إليها ، فلقيه رجل من بنى أبي عمير ، فقا له ياأبا عبد الرحمن،ما تقول فى جبُّل ، أتنصرف أم لا ؟ فشتمه يونس (أى قال له يا ابن الزانية) فالتفت العميرى (حوله) فلم ير أحداً يشهد عليه ، حتى إذا كان من الغد وجلس للناس أتاه العميرى (وقد أعد له شهودا يشهدون عليه بالقذف)،فقال: ياأباعبدالرحمن ما تقول فى جَبُّل أتنصرف أم لا ؟ ، فقال له يونس : الجواب ما قلته لك أمس »(١) .

وهناك احتمال آخر هو أن يونس كان حديد اللسان فى أخريات أيامه ، بل فى صدر شبابه أيضا كما سيأتى به البيان ، ولعله قذف الكثيرين كما قذف العميرى . . . فلما رأوه لايتحرج من قذف الأبرياء اتهموه عمداً قصاصاً لأعراضهم ، وطعنوه فى نسبه طعنة نجلاء ، تمخضت عنها تلك الرواية التى تقول: « إنه ولد ملاعنة » (٢) .

---

(١) انظر الوفيات ٣ / ٥٤٧ وانظر معجم الأدباء ١٠ / ٥٧ ففيه هذه الحادثة ، غير أن السباب موجه من يونس إلى الشاعر محمد بن مناذر ، وفى هذا الجواب دلالة على ذكائه الاجتماعى حيث لم يتورط فى الجواب وقد بلغ ما أراد .

(٢) ولد الملاعنة هو ابن الزنى الذى أنكره أبوه ورمى أمه بالزنى فتلاعنا وافترقا دون أن ينسب الولد إلى أبيه . انظر كيفية اللعان فى تفسير القرطبى المسمى (الجامع لأحكام القرآن) ج ١٢ ص ١٩٢ ط دار الكتب عند تفسير قوله تعالى : «والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم ... » آية (٦) فما بعدها من سورة النور .

ذلك هو مبلغ علمنا بأسرة يونس بن حبيب من جهة أمه وأبيه ، أما أسرته من حيث العقب ، أو من حيث الزواج نفسه فإنه عاش طوال حياته المديدة متفرغاً للعلم معلما ومتعلما ، «لم يتزوج ، ولم يتسر ولم يكن له همّ إلا طلب العلم ومحادثة الرجال »[١] .

ولست أدرى من أين جاء ابن الجزرى ت (٨٣٣ هـ) بنسبة ولد له حين قال عرضاً فى ترجمة يونس :« روى القراءة عنه ابنه حرمى بن يونس »[٢] وإنى لأراها مرجوحة مضعوفة للأسباب الآتية :

(١) أنى لم أطلع عليها عند غيره من أصحاب الطبقات وما أكثرهم .

(٢) أنها جاءت عرضاً فى حديثه عن تلاميذ يونس من القراء ، ولم يتعرض لها قصدا حين الحديث عن أسرته ، بل إنه لم يتعرض قط للحديث عن زواجه أو عدمه ، لهذا أرجح أنها جاءت من خطأ الرواية أو من تحريف النساخ .

(٣) أنه مما يقرب احتمال الخطأ فى الرواية أو النسخ وجود شخص معاصر ليونس يسمى (حرمى بن عمارة)[٣] وكان من القراء أيضا ، وكلاهما تتلمذ على شيخ واحد هو حماد بن سلمة بن دينار .

هذا مجرد احتمال لا أملك عليه الدليل ، وإن كان احتمال الخلط عند الرواة ، كما أن احتمال الخطأ عند النساخ لا يحتاج إلى دليل ، يدرك ذلك تمام الإدراك كل من عانى الغوص فى مراجعنا العربية التى لا تزال بحاجة ماسة إلى الإخراج الدقيق والتحقيق العميق .

---

(١) بتصرف يسير من الفهرست لابن النديم ص ٦٣ ، ومن الوفيات لابن خلكان ٣/ ٥٤٦ .

(٢) غاية النهاية فى طبقات القراء لابن الجزرى ٢/ ٤٠٦ ط الخانجى .

(٣) انظر ترجمة (حماد بن سلمة) فى غاية النهاية ١/ ٢٥٨ ط الخانجى .

مولده :

معظم المؤرخين لا يتعرضون لتاريخ الميلاد ، وليس هذا خاصاً بيونس ابن حبيب ، بل كل من كان على شاكلته كذلك ، لا يهتم به التاريخ إلا بعد ظهور المواهب ، وحينذاك يكون قد مضى على تاريخ الميلاد زمن كفيل باختلاف الآراء فيه ، أو كفيل بأن يُنْسَى فلايجدى البحث عنه ؛ ولهذا يهمله كثير من المؤرخين .

على أن الذين تعرضوا لتاريخ الميلاد اختلفوا فيه اختلافا واسعا يقدر بستة عشر عاما على وجه التقريب ، فهو يعتور سنتى (٧٩هـ) و(٩٥هـ) ويتراوح فيما بينهما صاعدا منحدرا .

وليس كل من تعرض له صرح به ، فإنه جاء عن طريق التلميح أكثر مما جاء عن طريق التصريح ، وذلك حين يذكرون تاريخ الوفاة ، ثم يذكرون عمره بالسنين ، وحينذاك يفهم تاريخ الميلاد فى سهولة ويسر ، وإن لم يصرح به أولئك المؤرخون .

ولكى يكون الحديث واضحا سنذكر الروايات التاريخية حسب الترتيب الزمنى ، ويمكن تصنيفها إلى مجموعات ثلاث :

المجموعة الأولى: وهى التى أهملت تاريخ الميلاد ، ولم تتعرض له بالتصريح أو التلويح ، وتلك هى الغالبية العظمى ، وعلى رأسها أبو سعيد السيرافى (ت ٣٦٨ هـ) [1] ، ونستطيع أن نستبعد هذه المجموعة منذ الآن ؛ لأنها مجموعة سلبية لاتفيد البحث فى ترجيح بَلْهَ اليقين .

---

(١) انظر ترجمة يونس فى كتابه :أخبار النحويين البصريين ص ٢٧ فما بعدها، طبع الحلبى

أما المجموعة الثانية : فهي التي ذكرت ميلاد يونس بالتلميح لا بالتصريح ، حين حددت تاريخ الوفاة ومقدار العمر بالسنين ، وكان في قمتها أبو الطيب اللغوي (ت ٣٥١ هـ) حين قال :

(ا) « مات يونس بن حبيب سنة اثنتين وثمانين ومائة ، وهو ابن ثمان وثمانين سنة » [١] فعلى هذه الرواية يكون ميلاده سنة ٩٤ هـ .

(ب) وجاء الزبيدي (ت ٣٧٩ هـ) فقال في الطبقات نقلا عن ثعلب : « وقال أحمد بن يحيي : يقال إن يونس جاوز المائة [٢] »، ثم قال : « وتوفي يونس رحمه الله سنة اثنتين وثمانين ومائة » [٣] .

(ج) كما جاء في الفهرست لابن النديم (ت ٣٨٥ هـ) : « قال أبو العباس ثعلب : جاوز يونس المائة وقد تفدَّع من الكبر ، ومات في سنة ثلاث وثمانين ومائة » [٥] .

(د) ثم جاء ابن الأنبـــــاري (ت ٥٧٧ هـ) فقال في نزهة الألباء : « وقال ثعلب : جاوز يونس المائة . وقيل : عاش ثماني وثمانين سنة ، وتوفي يونس بن حبيب البصري سنة ثلاث وثمانين ومائة في خلافة الرشيد » [٦] .

---

(١) مراتب النحويين ص ٢١ تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم .

(٢) طبقات النحويين واللغويين ص ٥٠ . الطبعة الاولى .

(٣) نفس المصدر .

(٤) في الأصل تفرع بالراء وهو تحريف مطبعي،وصوابه تفدع بالدال ، والفدع اعوجاج في المفاصل خلقة أو داء .

(٥) انظر الفهرست ص ٦٣ طبع الرحمانية.

(٦) انظر النزهة ص ٣٤ طبع بغداد.

(هـ) كما أن اليافعى (ت ٧٦٨ هـ) قال فى مرآة الجنان : « وفيها (أى فى سنة اثنتين وثمانين ومائة ، وقيل فى التى قبلها ، وقيل فى التى بعدها ، توفى يونس بن حبيب النحوى . . . قيل عاش مائة سنة وسنتين » [1] .

(و) ثم جاء ابن العماد الحنبلى (ت ١٠٨٩ هـ) فأورد مثل هذا فى الشذرات حين قال : « وفيها (أى فى سنة اثنتين وثمانين ومائة) ، وقيل قبلها أو بعدها توفى يونس بن حبيب النحوى . . . ومات يونس ، وله مائة سنة وسنتان » [2] .

ومن كل ماسبق نستطيع أن نستخلص أن تاريخ ميلاد يونس يتراوح بين ٧٩هـ و٨٠و٨١و٨٢و٩٢و٩٤و٩٥ هـ . كل ذلك على سبيل التلميح لا التصريح .

أما المجموعة الثالثة : فهى ذكرت تاريخ الميلاد بالتصريح ، وتبدأ — فيما وقفت عليه — بياقوت الحموى (ت ٦٢٦ هـ) حين قال فى معجم الأدباء :

« وكان مولده سنة ثمانين ، ومات سنة اثنتين وثمانين ومائة عن مائة سنة وثنتين » [3]

ثم جاء صاحب الوفيات (ت ٦٨١هـ) فقال : « وقيل مولده سنة ثمانين ، وقيل إنه رأى الحجاج وعاش مائة سنة وسنتين . . . » [4] .

غير أنه ذكر تاريخا آخر للميلاد فى نفس الصفحة حين قال : « ومولده سنة تسعين ، ومات سنة اثنين [5] وثمانين ومائة ، وكان يقول : أذكر موت الحجاج » [6] .

---

(١) انظر مرآة الجنان جـ ١ ص ٣٨٨ . الطبعة الأولى . طبع حيدر آباد . الدكن .

(٢) شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ص ١ - ٣ نشر القدسى .

(٣) معجم الأدباء ٢٠ / ٦٧ ط دار المأمون .

(٤) انظر الوفيات ٣ / ٥٤٠ طبع سنة ١٢٩٩ هـ .

(٥) كذا فى النص (اثنين) بالتذكير . وهى جائزة عند بعض النحاة طالما لم يذكر المعدود فى نهاية العدد ، لهذا آثرت أن تظل كما وردت فى النص دون تغيير .

(٦) نفس المصدر .

وبعد قرون عديدة جاء السيوطى (ت ٩١١ هـ) فقال : « قارب يونس تسعين سنة . . : مولده سنة تسعين . ومات سنة ثنتين وثمانين ومائة»[1] .

ونستخلص من هذه الروايات الصريحة أن ميلاد يونس كان سنة ثمانين من الهجرة أو سنة تسعين .

الترجيح :

وإذا أردنا أن نرجح بين هذه الروايات المتضاربة فى المجموعتين الثانية والثالثة ، فإننى أميل إلى الرواية التى تجعل تاريخ الميلاد سنة ٨٠ هـ ، وذلك للأسباب الآتية :

(١) أن سنة (٨٠ هـ) جاءت فى المجموعتين معاً (مجموعة التصريح ومجموعة التلويح) فإنك تراها هناك فى المجموعة التلويحية فى أكثر من موطن: تراها فى الرواية التى اعتمدها اليافعى فى المرآة الجنان[2] ، كما تستخلصها من رواية الزبيدى[3] ، ورواية ابن النديم فى الفهرست[4] ، ورواية ابن الأنبارى فى نزهة الألباء[5] .

(٢) أن هذا التاريخ وهو سنة (٨٠ هـ) جاء صريحاً عند رجلين محققين : هما ياقوت الحموى وابن خلكان، وبهذا وذاك تكون قد اجتمع لها من المزايا

---

(١) بغية الوعاة ص ٤٢٦ ط السعادة . هكذا فى الأصل (قارب) ، وكان حقه أن يقول (جاوز) ليتسق الكلام فالمجاوزة حاصلة فعلا ، فلا يقال فيمن مات وعمره ٩٢ سنة إنه قارب التسعين وإنما يقال جاوز التسعين إذا أريد الدقة فى التعبير .

(٢) مرآة الجنان جـ ١ ص ٣٨٨ ط حيدر آباد .

(٣) انظر طبقات النحويين واللغويين ص ٥٠ . الطبعة الأولى .

(٤) انظر ص ٦٣ طبع الرحمانية .

(٥) انظر ص ٣٤ طبع بغداد .

مالم يجتمع لأى سنة أخرى من السنين : اجتمع لها ورودها صراحة وتلويحاً ، كما اجتمع عليها مؤرخان كبيران .

(٣) أن الرواية التى تنص على أن يونس جاوز المائة[1] جاءتنا عن طريق ثعلب (ت ٢٩١هـ)[2] ومعلوم أن ثعلباً أسبق من مؤلفى كتب الطبقات جميعا ، فهو أقرب عهداً بيونس منهم ، فإذا أضفنا إليها تلك الروايات المتعددة التى تصرح بأن يونس مات « عن مائة سنة وثنتين[3] » وطرحنا ذلك العمر من تاريخ الوفاة الذى حققناه فترجح لدينا أنه سنة ١٨٢ هـ ، تبين لنا فى جلاء أن ميلاد يونس كان سنة ٨٠ هـ .

هذا وليس غريبا أن يعيش يونس هذا العمر المديد ، فله نظائر كثيرة فى جميع العصور قديما وحديثا ، فلا يعكر علينا ترجيح هذه الرواية .

ويؤنسها ماجاء فى ترجمة يونس من أنه كان فى أخريات عمره يتهادى بين رجلين[4] فلا يستطيع السير وحده حين بلغ من الكبر عتيا .

تقول يؤنسها ويعززها فقط ، فليس من اللازم أن يجاوز المائة لكى يتهادى بين اثنين ، فقد يضطر إلى ذلك قبل أن يجاوز المائة أو يبلغها .

(٤) ومما يزيد الترجيح قوة فوق قوة تلك الرواية التى تقول: إنه «رأى

(١) انظر الفهرست ص ٦٣ طبع الرحمانية ، وانظر طبقات النحويين للزبيدى ص ٥٠ . الطبعة الأولى ، وانظر نزهة الألباء ص ٣٤ طبع بغداد.

(٢) انظر البغية ص ١٧٢ طبع السعادة .

(٣) معجم الأدباء ٢٠/٦٧ ، وانظر وفيات الأعيان ٣/٥٤٥ ط سنة ١٢٩٩ هـ . ومرآة الجنان لليافعى ١/٢٨٨ . حيدر آباد ، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلى ص ٣٠١ نشر القدسى .

(٤) انظر مراتب النحويين ص ٢٢ فما بعدها ، وانظر طبقات الزبيدى ص ٤٨ ، والوفيات ٣/٤٨ .

الحجاج »[1] ، فقد ذكرها ابن خلكان فى الوفيات،وعززها برواية أخرى عن يونس نفسه بأنه « كان يقول : أذكر موت الحجاج »[2] ومن المعلوم أن موت الحجاج كان سنة (٩٥ هـ)[3] ، فإذا اعتمدنا سنة (٨٠ هـ) تاريخاً للميلاد يكون عمر يونس حين وفاة الحجاج خمس عشرة سنة ،وهى سن صالحة للرؤية وجد صالحة لتذكر الوفاة .

وواضح أن التذكر لايتحقق مع الرواية التى تقول · إن يونس ولد سنة ٩٥ هـ ، فعليها يكون قد ولد فى نفس السنة التي توفى فيها الحجاج ، كما أن التذكر لايتحقق مع الرواية التى تجعل ميلاد يونس سنة ٩٤ هـ ،لأنه يكون فى المهد صبيا .

لكل ماسلف ترجح لدينا أن يونس تنسم أول أنفاس الحياة فى الثمانين من الهجرة ؛ ولا حرج على غيرنا أن يرجح ما يشاء ،ففى تضارب الروايات متسع فسيح لمن يريد الترجيح .

اسمه وكنيته :

اسمه (يونس) لا اختلاف فى ذلك ، وإنما الخلاف فى الكنية : فمن قائل: « يكنى أبا عبد الرحمن[4] »، ومن قائل:« يكنى بأبى محمد[5] »،والأكثرون على أنه (أبو عبد الرحمن)[6] ، ومن هنا الترجيح .

---

(١) انظر وفيات الأعيان ٣/٥٤٥ ط سنة ١٢٩٩ هـ .

(٢) نفس المصدر .

(٣) انظر الأعلام للزركلى جـ ٢ ص ١٧٥ . الطبعة الثانية .

(٤) مراتب النحويين لابى الطيب اللغوى ص ٢١ ـ ط الأولى .

(٥) الفهرست لابن النديم ص٦٣ .

(٦) انظر مثلا الوفيات ٣/٥٤٥ ، ومعجم الادباء ٢٠/٦٤،والفهرست ص٦٣،ومراتب النحويين ص ٢١ ،وطبقات الزبيدى ص ٤٨،والبغية ص ٤٢٦،والاعلام ٩/٣٤٤ ط ثانية .

نشأته :

يجهل التاريخ نشأة يونس ، فلا يكاد يحدثنا بشيء — قلّ أو كثر — عن نشأته الباكرة ، وكل الذى وعته الذاكرة التاريخية المهملة أنه « كان من أهل جبُّـل[1] » ، ثم رأيناه بعد ذلك فى البصرة متعلما ومعلمّـا . .

لـكن متى رحل إلى البصرة ؟ ، وما سبب هذه الرحلة؟ ، وهل كان الراحل يونس أو كان أحدا من آبائه الأقربين أو الأباعد ؟ .

كل ذلك صمت عنه التاريخ صمتا مطبقا ، فأوقعنا فى حيرة عمياء ، نضرب أخماساً بأسداس ، ونتخبط تخبط العشواء ذات اليمين وذات الشمال ، لا نلوى على شيء ، ولا نطمئن إلى رأى نستشفه ، أو سبب نتخيله ! .

وماذا نتخيل ؟ وكيف نطمئن ، وقد خلت يدنا من كل نص أو دليل ؟ ، اللهم إلا ما يقال — عادة — فى أمثاله ممـن نزحوا إلى البصرة طلبـا للعلم ، والمجد والشهرة والمال ، وكانت البصرة — آنذاك — حاضرة البلاد الإسلامية ومطمح الأنظار .

غير أن هذا الغموض لا يحول بيننا وبين الترجيح ، تعميقاً للبحث وإيفاء لحقه علينا .

لهذا أرجح أنه نزح إلى البصرة قبل سنة ١١٧ هـ ، تلك السنة التى توفى[2] فيها عبد الله بن أبى إسحاق الحضرمى ، وذلك أن يونس التقى به ، وسأله عن (السويق)[3] ، وبدهى أن السؤال لا يكون إلا قبل الوفاة .

(١) انظر مبحث (موطنه) ، وانظر طبقات الزبيدى ص ٤٨ ، والوفيات ٣/٤٠٧ ، والأعلام ٩/٣٤٤ ط ثانية .

(٢) Enclycbpaebia of Islam Vol, I P 42 .

(٣) انظر طبقات النحويين واللغويين ص ٢٦ ط أولى .

ذلك ترجيح يقربنا بعض التقريب . . لكنه لا يزال بعيداً عن النشأة الباكرة ، إذا علمنا أن ميلاد يونس كان فى الثمانين من الهجرة على القول الراجح [١] ، أو كان فى سنة ٩٥هـ على أبعد احتمال ؛ وحينئذ يكون عمره وقت النزوح حوالى ٢٢ عاما ، إذا قدرنا أن اللقاء تم فى سنة الوفاة .

ولكن ألا يجوز أن تكون الرحلة قبل ذلك بكثير؟ نعم يجوز لأكثر من سبب :

أولا : لأننا أخذنا فى اعتبارنا أبعد الآماد فى اللقاء ، وهى سنة الوفاة ، ومن الجائز أن يكون قد التقى به قبل ذلك بكثير .

ثانيا : أن يونس بن حبيب تعلم النحو أول ما تعلمه على يد حماد بن سلمة [٢] . وكان بالبصرة حينذاك ، ومن الجائز الراجح أن يونس قد تعلم النحو فى سن مبكرة قبل السن التى قدرنا فيها اللقاء بالحضرمى ، شأنه فى ذلك شأن الكثيرين من اللدات والأتراب .

هذا مجرد ترجيح لا أملك عليه الدليل أو النص الصريح ، ولن تكون الأولى ولا الأخيرة فى تاريخ يونس وأمثاله من العلماء الأفذاذ الذين أهملهم التاريخ فى بواكير الحياة ، سنة الله فى خلقه ، ولن تجد لسنة الله تبديلا .

ذلك مبلغ العلم بالرحلة إلى البصرة . . فماذا عسى أن يكون علمنا برحلته إلى البادية ؟ .

أسارع فأقول إنها لم تكن أسعد حظا من أختها السابقة ، فكل الذى بين أيدينا من النصوص لا يعدو أن يكون مجرد إشارات خافتة نتلمسها من هنا أو هناك ! .

---

(١) انظر : مبحث (الميلاد) ففيه كثير من المراجع

(٢) انظر : طبقات الزبيدى ص ٤٨ ط أولى .

فهل ترى غناء فى قولهم : « سمع من العرب كما سمع من قبله »[1] ؟ . ألا يجوز أنه سمع منهم وهو بالبصرة دون أن يرحل إليهم ، وما أكثر النازحين من الأعراب آنذاك ، يفدون إلى البصرة رغبة فى العطاء من الخلفاء والوزراء .

لا سبيل إلى كشف الغموض ، وتسديد الثغرات الكثيرة فى حياة هؤلاء العلماء الأعلام . . ولكن ما الحيلة ؟ وقد نفدت كل حيلة ، وهذا جهد المقل ، وجهد المقل كثير ، كما يقولون .

دراسته وثقافته :

درس يونس بن حبيب ما كان يدرسه أبناء عصره من العلوم الدينية والأدبية ، ولم تكن الدراسة على عهده ذات منهج محدد أو خطة مرسومة ، وإنما يدرس الإنسان ما يشاء من علوم العصر ، يأخذ منها ويدع كيفما تهيأ له ، وحسبما تهديه ميوله ومواهبه .

وغالبا ما تكون الدراسة مزيجاً من التفسير والحديث والقراءة ، والنحو واللغة والأدب بوجه عام مثل رواية الشعر والأخبار ، وحفظ النوادر ، وجمع الحكم والأمثال .

وقد نهل يونس من كل ذلك ، وضرب فيه بسهم وافر ، شأنه شأن النابهين من العلماء ، وألف فى كثير منها[2] كما سيأتى به البيان ، غير أنه كان ولوعاً بالنحو مفتوناً به ، فبرز فيه ، وأتى بالعجب العجاب من الأقيسة المبتكرة ، والمذاهب الجديدة التى تفرد بها كما يقول الرواة[3] ، ولهذا قال الزبيدى فى

(١) انظر مثلا أخبار النحويين البصريين للسيرافى ص ٢٧ .

(٢) انظر الفهرست لابن النديم ص٦٣ ، ومعجم الأدباء ٢٠/٦٧ ، والوفيات ٤/٥٤٦ .

(٣) انظر الوفيات ٣/٥٤٥ ، والنزهة ص ٣١ ، البغية ص٤٢٦ ومعجم الأدباء ٢٠/٦٤ وأخبار النحويين البصريين ص ٢٧ .

الطبقات : «وكان النحو أغلب عليه» [1] ، وقال صاحب الوفيات : «له قياس في النحو ومذاهب ينفرد بها » [2] .

وقد تلقى النحو أول ما تلقاه بالبصرة على شيخه حماد بن سلمة :« قال ابن عائشة : قال يونس بن حبيب : أول من تعلمت منه النحو حماد بن سلمة » [3] .

ويبدو أن يونس قد بدأ دراسته العربية بالبصرة مهبط العلم والعلماء . . ولكن ألا يجوز أن يكون قد شدا شيئاً غير العربية ببلدته (جَبُّل) ؛ إن صح أنه ولد بها ، وعاش فيها شطرا من حياته ؟ .

نعم يجوز ، ولكنه جواز لا يسنده نص أو دليل ، فيما أعلم ، حتى القراءة أخذها بالبصرة عن أبي عمرو بن العلاء وأبان بن يزيد ، قال ابن الجزري في ترجمته : « روى القراءة عرضا عن أبان بن يزيد العطار وأبي عمرو بن العلاء » [4] .

ولئن كان يونس قد بدأ دراسته النحوية على يد حماد فإنه لازم أبا عمرو ، ابن العلاء فيما بعد حتى صار من أصحابه وكُتَّابه ، يقول ابن النديم :« وكان يونس من أصحاب أبي عمرو بن العلاء » [5] ، وقال السيرافي : إنه « من كُتَّاب أبي عمرو [6] لازمه وأخذ عنه الأدب » [7] ، كما أخذ عنه النحو والقراءة من قبل؛

(١) انظر طبقات النحويين واللغويين ص ٤٨ والمراتب ص ٢١ .
(٢) وفيات الأعيان ٣/٥٤٥ .
(٣) طبقات الزبيدي ص ٤٨ .
(٤) غاية النهاية في طبقات القراء ٢/٤٠٦ تحقيق برجشتراسر .
(٥) الفهرست ص٦٣ وانظر البغية ص ٤٢٦ .
(٦) أخبار النحويين البصريين ص ٢٧ .
(٧) انظر الوفيات ٣/٥٤٥ ، ومعجم الأدباء ٢٠/٦٤ .

ولهذا تأثر به ، فكان لهما منهج موحد ، أو على الأقل كان لهما منهج متقارب ، من بين المناهج النحوية المتباينة .

وكان من الطبيعي ألا يقتصر (يونس) على التلقي من أشياخه العلماء ، وإنما كان يأخذ من الأعراب أنفسهم ، يسائلهم ويسمع منهم [1] ، ويستوثق من كل ما يسمع، حتى قالوا عنه إكبارا له وتوثيقا لعلمه : « ليس عند يونس من العلم إلا ما سمعه بنفسه »، وكان حريصاً على هذا السماع في الصبا وفي المشيب ، فلم يمنعه الشيب الذى جلل لحيته من أن يسأل ليستفيد ويستزيد ، حتى إن رؤبة بن العجاج ضاق به يوما فيما يرويه الأصمعي عن يونس نفسه : « قال لى رؤبة بن العجاج : حتام تسألني عن هذه الخزعبلات ، وأزخرفها لك ؟ أما ترى الشيب قد بلَغ لحيتك » [2] .

ومع حرصه على طلب العلم وهبه الله ذاكرة واعية حافظة لا تكاد تنسى ،

---

(١) انظر البغية ص ٤٢٦ ، وأخبار النحويين البصريين ص ٢٧ ، والوفيات ج ٣ ص ٥٤٥ وإرشاد الأريب ٢٠/٦٤ .

(٢) نزهة الألباء فى طبقات الأدباء لابن الأنبارى ص ٣٢ ط المعارف ببغداد سنة ١٩٥٩ وهناك روايات أخرى جاءت فيها كلمة (البواطيل) بدل (الخزعبلات) مثل البغية ص ٤٢٦ والوفيات ٣/٥٤٦ ، كما جاءت فيها كلمة (بلغ) بالباء والغين المعجمتين . وهناك رواية أخرى ذكرها السيرافى ص ٢٨ من أخبار النحويين جاءت فيها كلمة غريبة وهى (يلع) بالياء التحتية المثناة واللام المشددة ، والعين المهملة ، بدل كلمة (بلغ) بالباء الموحدة والمعجمة ، وبدل كلمة (يلغ) بالياء التحية والغين المعجمة ، وهى الكلمة التى أخطأ فيها ابن الأعرابى حين صحفها فيما يرويه السيرافى تعقيبا على كلمة (يلع) فيقول : « قال أبو سعيد : هذا صحف فيه ابن الأعرابى فقال (يلغ) بالغين ، وهو أحد ما أخذ عليه . قال أبو سعيد : يلع الشعر إذا وقع فيه الشيب » .

والرأى عندى أن رواية (بلغ) — بالباء الموحدة والغين المعجمة — لاغبار عليها فالمعنى بها واضح ومتسق ، غير أن رواية (يلع) — بالياء التحية المثناة والعين المهملة — ربما كانت أنسب للقبائل وهو رؤبة بن العجاج ، ومعلوم أنه كان يغرب فى ألفاظه ويعمد إلى الغرابة عمداً ليظهر تمكنه من ناحية ، وليشد إليه علماء اللغة من ناحية أخرى .

يقول أبو الخطاب : « مثل يونس كمثل كوز ضيق الرأس ... إذا دخله شيء لم يخرج منه ... يعنى لا ينسى »[1] .

وربما كان هناك عامل آخر فى عدم النسيان ـ بالإضافة إلى الموهبة ـ وهو أنه كان باذلا للعلم لا يضن به على أهله ، قال ابن سلام عن أبى زيد النحوى : «ما رأيت أبذل لعلم من يونس»[2] فإن البذل يجدد المعلومات ، ويثبتها ، وينميها ، مصداقا لقول القائل : « كل شيء ينقص بالإنفاق إلا العلم».

لهذا وذاك لا نجد غرابة فيما يرويه الرواة أن يونس بن حبيب حينما تصدى للتدريس بالبصرة « كانت حلقته مجمع فصحاء الأعراب ، وأهل العلم والأدب »[3] .

وكيف لا تكون حلقته كذلك ، وفيها ما فيها من العلم والأدب والنوادر والشوارد والحكم . قال اليافعى : « سئل يونس عن (مجير أم عامر) فى قول القائل :

ومن يصنع المعروف فى غير أهله يلاق الذى لاقى مجير أم عامر

فقال : أصل ذلك أنه خرج فتيان من العرب إلى الصيد ، فأثاروا ضَبُعًا فانقلبت من أيديهم ودخلت خباء بعض الأعراب ، فخرج إليهم فقال : والله لا تصلون إليها ، قد استجارت بى ، فخلوها ، فلما انصرفوا عمد إلى خبز ولبن فثرده وقربه إليها فأكلت حتى شبعت وتمددت فى جانب الخباء ، فغلب الأعرابى النوم ، فلما استثقل وثبت عليه فقرضت حلقه ، وبَقَرت بطنه ،

---

(١) بتصرف يسير من طبقات النحويين للزبيدى ص ٤٨ ط أولى .

(٢) المصدر السابق .

(٣) معجم الأدباء ٢٠ / ٦٤ ، وانظر الفهرست ص ٦٣ ، والنزهة ص ٣٢ ، والوفيات ٣/٥٤٥ والبغية ص ٤٢٦ ، وأخبار النحويين البصريين ص٢٨ ، والأعلام ٣٤٤/٩ ثانية .

وأكلت حشوته ، وخرجت تسعى ، فجاء أخو الأعرابى ، فلما نظر إليه أنشد يقول :

ومن يصنع المعروف فى غير أهله   يلاقى الذى لاقى مجير أم عامر

أعدّ لها لما استجارت ببيته   قراها من البان اللقاح البهازر (١)

فأشبعها حتى إذا ما تبطَّرتْ   فرته بأنيـاب لها وأظافر

فقل لبنى المعروف هذا جزاء من   يجود بمعروف إلى غير شاكر (٢)

وقال ابن سلام : « حدثنا يونس : قال كنا على باب ابن عمير ، فمرت بنا امرأة يدفع بعضها بعضاً كأنها خائفة ، فما لبثنا أن أقبل فتى من قريش عليه قميص . . ورداء ، فلما رآنا ارتدع ، فقلنا : ها هنا ظلبتك ، فتبعها وقال :

إذا سلكتْ قصدالسبيل سلكته   وإن هى عاجتْ عجتُ حيث تعوج (٣)

وهكذا كانت حلقته مزيجاً من النوادر والأخبار ، إلى جانب الشواهد والشوارد اللغوية ، قال يونس : « تقول العرب : الآل من غُدوة إلى ارتفاع الضحى الأعلى ، ثم هو سراب سائر اليوم ، وإذا زالت الشمس فهو فىء ، وغدوة ظل ، وأنشد لأبى ذؤيب :

لعمرى لأنت البيت أكرم أهله   وأقعد فى أفيائه بالأصائل (٤)

ومما يدل دلالة واضحة على اتساع قاموسه اللغوى ما جاء فى قصته مع شبيل بن عزرة حين تحداه يونس بقوله : ما الروبة ، والروبة ، والروبة ، والرؤبة

(١) البهازر (بالزاى أخت الراء) جمع (بهزرة) مثل (قنفذة) وهى العظيمة من النوق انظر القاموس مادة (البهزر) .

(٢) انظر مرآة الجنان لليافعى ٣٨٨/١ ط حيدر آباد - بتصرف يسير .

(٣) أخبار النحويين للسيرافى ص ٢٨ فما بعدها ط الحلبى ، وانظر النزهة ص ٣٢ فما بعدها .

(٤) انظر النزهة ص ٣٢ وأخبار النحويين البصريين ص ٢٩ .

والرؤبة (الخامسة مهموزة فقط) فلما عجز شبيل فسرها يونس بقوله : « الروبة الحاجة يقال : فلان يقوم بروبة أهله أى بحاجتهم ، والروبة جمام الفحل ، يقال : أعطنى روبة فحلك ، والروبة : القطعة من اللبن الحامض يروّب به الحليب ، والرؤبة (بالهمز) القطعة من الخشب يرأب به القعب »[1] .

وكما كان يونس حجة فى اللغة كان حجة كذلك فى النقد[2] ، قال ياقوت الحموى : « وكان يونس عالما بالشعر ، ناقد البصر فى تمييز جيده من رديئه ، عارفا بطبقات شعراء العرب ، حافظا لأشعارهم ، يرجع إليه فى ذلك كله[3] » .

وحدث محمد بن سلام فقال : « سألت يونس النحوى عن أشعر الناس فقال : لاأومىء إلى رجل بعينه ، ولكنى أقول : امرؤ القيس إذا ركب ، والنابغة إذا رهب ، وزهير إذا رغب ، والأعشى إذا طرب »[4] .

وهذا التفصيل حين التفضيل من الأحكام النقدية السليمة التى أقرها البحث الحديث .

ومن الأحكام النقدية الجميلة عند يونس بن حبيب ما رواه الأصمعى ، حين قال : « جاء مروان بن أبى حفصة إلى حلقة يونس فسلم ثم قال : أيكم يونس ؟، فأومأنا إليه ، فقال له : أصلحك الله ، إنى أرى قوما يقولون الشعر، لأن يكشف أحدهم سوءته ثم يمشى كذلك فى الطريق ، أحسن له من أن يظهر

---

(١) مراتب النحويين لأبى الطيب اللغوى ص ٢٢ ط أولى .

(٢) حجة فى النقد على مستوى عصره طبعا ، وهذا هو المقياس الصحيح .

(٣) معجم الأدباء ص ٦٥ .

(٤) المصدر السابق .

مثل ذلك الشعر ، وقد قلت شعرا أعرضه عليك ، فإن كان جيدا أظهرته ، وإن كان رديئا سترته ، فأنشده قوله :

طرقتك زائرة فحىّ خيالها [(١)]

فقال له يونس : يا هذا ، اذهب فأظهر هذا الشعر ، فأنت والله فيه أشعر من الأعشى فى قوله :

رحلت سمية غُدْوةً أجمالها

فقال له مروان : سررتنى وسؤتنى ، سررتنى بارتضائك شعرى ، وساءنى تقديمك إياى على الأعشى وأنت تعرف محله ، فقال له يونس : إنما قدمتك عليه فى تلك القصيدة لا فى شعره كله ، لأنه قال فيها :

فأصاب حبة قلبها وطُحالها

والطحال لا يدخل فى شىء إلا أفسده ، وقصيدتك سليمة من هذا وشبهه » [(٢)] .

هو والشعر :

لم أر أحدا من المؤرخين نسب إليه شعرا ، وكل الذى رأيته فى كتب الطبقات قولهم : « وقال يونس لو تمنيت أن أقول الشعر لما تمنيت أن أقول إلا مثل قول عدى بن زيد العبادى :

أيها الشامت المعير بالدهـــر أأنت المبرّأ الموفور » [(٣)]

---

(١) بقية البيت « بيضاء تخلط بالجمال دلالها » وراجع الأغانى ٩/٤٠ .

(٢) معجم الأدباء ٢٠/٦٦ فما بعدها .

(٣) انظر الوفيات ٣/٥٤٦ وفيها بقية القصيدة ومنها قوله :

أم لديك العهد القديم من الأيام بل أنت جاهل مغرور ؟

. . . .

وتفكر رب الخورنق إذ أشـــرف يوما وللهدى تفكير
سره ملكه وكثرة ما يمـــلك والبحر معرضاً والسدير
فارعوى قلبه فقال وما غبـــطة حى إلى الممات يصير
ثم بعد الفلاح والملك والأمـــة وارتهم هناك القبور
ثم صاروا كأنهم ورق جف فألوت به الصبا والدبور

ولعلك توافقنى على أن هذه العبارة لا تدل على أنه قال شعرا، بل إنها ربما تشعرنا بأنه لم يقل شعراً قط ، وأقول (تشعرنا) فقط لأنها ليست نصاً صريحاً كما ترى.

على أن يونس بن حبيب ليس بدعاً بين المتقدمين أو المتأخرين الذين تفوقوا فى العلم والأدب ، ولم يكن لهم نتاج شعرى ألبتة .

ولا يعكر على هـذه القضية أن يونس كان ذواقاً للشعر ناقدا حصيفاً ، فتلك موهبة مستقلة ، ليس بينها وبين الشعر تلازم ، فقد يكون الناقد شاعرا وقد لا يكون ، وأما قولهم « فى كل شـاعر ناقد » فالمراد به أنه ينقد شعره فى (عملية الولادة) حين يستبدل كلمة بكلمة ، أو يتخير معنى دون سواه ، وليس المراد به أنه ناقد بالمعنى الفنى المعروف فى النقد .

شخصيته ومكانته :

كان يونس بن حبيب متفردا فى شخصيته ، متفردا فى مذاهبه ، ولهـذا كان « إمام نحاة البصرة فى عصره » [1] « ومرجع الأدباء والنحويين » [2] كما كان مرجع الخلفاء والوزراء [3] .

على يديه تخرج الأقطاب فى كل مدرسـة من المدارس النحوية على اختلافها : بصرية كانت أم كوفية أم بغدادية ، فهو — بحق — أسـتاذ العمالقة من أئمة النحو واللغة والأدب . اسـتمع إلى ياقوت الحموى يحدثنا عن ذلك فيقول : « أخذ عنه سيبويه . وروى عنه فى كتابه ، وأخذ عنه أيضا أبو الحسن الكسـائى ، وأبو زكريا الفراء ، وأبو عبيدة معمر بن المثنى ،

---

(١) معجم الأدباء ٢٠/٦٤ وانظر الأعلام ٩/٣٤٤ ط ثانية .
(٢) إرشاد الأديب ١٠/٦٤ .
(٣) انظر الوفيات ٣/٥٤٧ ، ومرآة الجنان لليافعى ١/٣٨٨ .

وخلف الأحمر ، وأبو زيد الأنصارى ،وغيرهم من الأئمة ، [1] كالأصمعى [2] مثــلا .

ولم يكن هذا الأخذ مجرد لقاء عابر ، أو سؤال عن مسألة طارئة ، وإنما كان أخـذ انتفاع كبير ، وملازمة طويلة فى كثير من الأحيان ،فهذا أبو زيد الأنصارى لازم أستاذه يونس عشر سـنوات [3] كاملة ، بل إن خلفاً الأحمر لازمه عشرين سنة [4] ، وأكثر من هذا وذلك أن أبا عبيـدة معمر بن المثنى لازمه أربعين عاما [5] . يقول أبو حاتم : « سمعت أبا عبيدة يقول : اختلفت إلى يونس أربعين سنة أملأ كل يوم ألواحى من حفظه [6] » .

ولا شك أن هذه الملازمة الطويلة فيها دلالة أى دلالة على مــدى ما كان يتمتع به يونس من علم غزير وسعة فى الرواية ، جعلت أبا عبيدة مشدوداً إليه، يكاد يلازمه ملازمة الظل للعود ، وقد تزول الغرابة حين تعرف أن أخبــار الثالوث الأموى (الفرزدق وجرير والأخطل) إنما وصلتنا عن طريق يونس، وأن كتاب النقائض الذى ألفه أبو عبيدة اعتمد فيه على مصـدره الأصيل يونس بن حبيب .

كما أن سيبويه ـ وهو مَنْ هو عِلماً وحذقاً ودقة ـ اعتمد على يونس اعتماداً

---

(١) معجم الادباء ٢٠/ ٦٤ وانظر المراجع الآتية على اختلاف بينها زيادة ونقصا : وفيات الاعيان ٣/ ٥٤٥ ،وأخبار النحويين البصريين للسيرافى ص ٢٧ ، والبغية ص ٤٢٦ ،ونزهة الالباء ص ٣١ ، والاعلام ٩/ ٣٤٤ ط ثانية .

(٢) إنظر كتاب الاصمعى تأليف عبد الجبار الجومرد ص ٧١ .

(٣) انظر الوفيات ٣/ ٥٤٥ ، والشذرات ص ٣٠١ ،ومعجم الأدباء ٢٠ / ٦٥ .

(٤) انظر المصادر السابقة .

(٥) نفس المصادر .

(٦) مراتب النحويين لأبى الطيب اللغوى ص ٢١ ،وانظر الاعلام ٩/ ٣٤٤ ط ثانية .

واضحا فى مؤلفه المشهور المسمى «بالكتاب» والموسوم بأنه «قرآن النحو»[1]، فنقل عنه فى كتابه كثيرا، وقد أحصاها بعض الباحثين فوجدها (٢٠٠) مائتين[2]، وهو أكبر قدر من النقول والانتفاع بآراء يونس فى كتاب سيبويه، إذا استثنينا الخليل بن أحمد[3]، بل إن سيبويه أخذ بابين كاملين عن يونس ووضعهما فى كتابه وقال: «وجميع ماذكرت لك فى هذا الباب وما أذكر لك فى الباب الذى يليه قول يونس»[4].

ولهذا قال السيرافى شارح الكتاب كما قال ابن قاضى شهبة: إن سيبويه أكثر من النقل عن يونس فى كتابه[5].

على أن الأثر الكبير ليونس لم يكن مقصورا على سيبويه إمام المدرسة البصرية أو الكسائى أيام المدرسة الكوفية، بل تعداهما إلى القمة الشامخة أبى زكريا الفراء مؤسس المدرسة البغدادية[6]، وقد ثبت لدىّ أن أثر يونس واتجاهاته المتحررة كانت أوضح فى شخصية الفراء من أثر الكسائى فيه[7].

هذا إلى أن شخصيته الفذة كانت متعددة الجوانب: فبينما تراه فى قمة النحاة واللغويين والأدباء والإخباريين والرواة، تراه كذلك ناقداً من الرواد الأوائل فى النقد العربى. وقد أتحفنا بن سلام الجمحى فى طبقات الشعراء

---

(١) انظر طبقات النحويين للزبيدى ص ٦٥ ط أولى.
(٢) انظر سيبويه إمام النحاة للأستاذ على النجدى ص ٩٠ و ص ٩٨.
(٣) المصدر السابق ص ٩٨
(٤) انظر الكتاب جـ ٢ ص ١٠٩ ط بولاق عند الكلام عن (التصغير).
(٥) بتصرف يسير عن أخبار النحويين للسيرافى ص ٢٧، وطبقات النحاة لابن قاضى شهبة، مخطوطة. دار الكتب رقم ٢١٤٦ تاريخ تيمور.
(٦) انظر كتابنا (أبو زكريا الفراء) ص ٣٥٢ نشر دار المعارف.
(٧) المصدر السابق ص ١٣٦.

بطائفة ضخمة من الآراء والأحكام النقدية التى رواها عن يونس بن حبيب ، كما سيأتى بالتفصيل .

تلك وأمثالها تهدينا إلى الخطوط البارزة فى شخصية يونس ، وتدلنا على مكانته التى عرفها القدماء ، فقدروها حق قدرها وأكبروها أيما إكبار حين قال قائلهم : « كان مقدما [١] ، وكان بارعاً فى النحو [٢] ، علامة بالأدب [٣] ، بل كان من أكابر النحويين [٤] ، و «أعلم الناس بتصاريف النحو» [٥] ، ولا غرو فهو أستاذ العمالقة الأجلاء ، هذا إلى أنه كان نزاعاً إلى الحرية ، يعشق الحياة الحرة الكريمة ، ويحب الحق ويندفع إليه اندفاعاً قد يؤذيه حيناً كما يؤذى غيره أحيانا . . . لا يبالى فى سبيله « خبط الشوك أم توطأ وردا » ، تلحظ ذلك فى كثير من مواقفه التى تعرضنا لها فى غير هذا المكان مثل موقفه مع ، شبيل ابن عزرة [٦] ، كما تلمس نزوعه إلى الحرية واضحا جليا فى مناظرة الأنبياء [٧] ، ويخيل إلى أن نزعة الحرية تعتبر من الخطوط الرئيسية فى شخصية يونس ؛ بل إننى أكاد أجزم بأنها أبرز خط فيها على الإطلاق ، ومن هذه النقطة بالذات كانت انطلاقة يونس نحو المجد الرفيع فى سماء العلم والعلماء حتى صار فى عصره إمام النحاة فى البصرة [٨] .

---

(١) مراتب النحويين لأبى الطيب اللغوى ص ٢١ ط أولى .

(٢) أخبار النحويين البصريين للسيرافى ص ٢٧ ط الحلبى .

(٣) الأعلام ٩/٣٤٤ ط ثانية .

(٤) نزهة الألباء ص ٣١ .

(٥) الفهرست لابن النديم ص ٦٣ .

(٦) أنظر مبحث (أخلاقه) ، وانظر مراتب النحويين ص٢٢ وطبقات الزبيدى ص ٤٨ .

(٧) انظر أخبار النحويين البصريين للسيرافى ص ٢٩ ، ونزهة الألباء ص ٣٣ .

(٨) انظر معجم الأدباء ٢٠ / ٦٤ ، وانظر الأعلام ٩ /٣٤٠ طبعة ثانية .

كما أن نزعة الحرية كانت السبب المباشر فى ابتكار المذاهب التجديدية فى النحو والصرف واللغة ، كما سيأتى به البيان[1] .

أخلاقه :

لعلى لا أكونُ مَتجنِّياً أو متحاملا حين أقول : إننى رأيت فى يونس بن حبيب بعض المساوىء التى فجعتنى فى شخصيته الكبيرة، ولعلها تكون من زيف التاريخ نتيجة لتزيُّد الرواة أو مفتريات المنافسين المتعصبين ، وأكبر الظن أنها كذلك .

وإلى جانب هذه كانت فيه بعض الهنات الهينات مما نستطيع الإغضاء عنه أو التماس المعاذير .

وإذا أغمضنا الطرف عن هذه وتلك رأيناه فى جلاله وهيبته شامخ الرأس ، فاره الجبين ، جياش العاطفة ، نزاعا إلى الحرية ، طاهر القلب ، أمينا على العلم والعلماء .

من الهنات الهينات مارواه صاحب الوفيات حين قال : « دخل يونس المسجد يوما وهو يتهادى بين اثنين من الكبر ، فقال له رجل كان يتهمه فى مودته : بلغت ماأرى ياأبا عبد الرحمن ! ، فقال: هو الذى ترى ، لا بلغته[2] » .

جواب يدل على الحدة من جانب يونس ، ولعله اشتم رائحة الشماتة من محدثه فأراد أن يَجْبَهه بما يسوء .

---

(١) انظر مبحث (مذهبه فى النحو) .

(٢) وفيات الأعيان لابن خلكان ٣/٤٨٥، وانظر مراتب النحويين ص ٢١ فما بعدها ، وطبقات النحويين للزبيدى ص ٤٨ . الطبعة الأولى .

ولولا أن جو القصة يشعرنا بسوء النية من جانب السائل لقلنا : إن يونس كان حسن النية حينما دعا له ألايرى مثل هذا بقوله « لا بلغته » أى لا بلغت هذا الضعف والوهن بأن يحفظ الله عليك الصحة والعافية مدى الحياة مهما طالت ، لكن جو القصة لا يتسق مع هذا التفسير ، بل إن النص نفسه يحمل عبارة تتنافى مع هذا التخريج وهى قوله : « كان يتهمه فى مودته » .

هذه واحدة من الصغائر ، وإليك واحدة من الكبائر التى تستوجب الحد وهى «القذف » ، ولولا خشية التكرار لذكرت لك الواقعة بنصها ، ولكننى أجتزىء بالإشارة إليها اكتفاء بما سبق فى مبحث (أسرته)[1] حينما سب العميرى ورمى أمه بالزنى[2] .

من أجل هذا تجدنى باخع النفس أسى وأسفا لهذا الوضع الذى انحدر إليه رجل كبير المقام مثل يونس بن حبيب ! .

على أن هذا السباب النابى ــ حتى ولو لم يكن موجبا للحد ــ لا يليق بإنسان مهذب ! فما الذى جرى ليونس حتى انحدر إلى مراتب الدهماء ! .

كنت أود أن ألتمس له العذر فأضيف هذه الحادثة إلى ما أضفناه كثيرا من زيف التاريخ . . غير أنى لم أجد عندى تعليلا لذلك ، ولست أدرى ما السر فى عدم التقبل .

ربما كان السبب فى ذلك أننا نتهم التاريخ أكثر من اللازم ، فلماذا نقبل منه ما يوافق أهواءنا ، ونرد عليه ما يخالف الأهواء والنزعات ؟ .

---

(١) انظر هذا المبحث فى ص ١٦ من هذا الكتاب ، وانظر تفصيل الخبر فى وفيات الأعيان لابن خلكان ٣/٥٤٧ .

(٢) وفى رواية أخرى أن القذف كان موجها للشاعر (محمد بن مناذر) انظر معجم الأدباء ١٩/٥٧ فما بعدها ، ولعلها تكررت من يونس بتكرار السب .

إنصافًا للتاريخ وقفت هذا الموقف ، كما أنه اتباع للمنهج الحر فى البحث ، فليس من اللازم أن يكون يونس بن حبيب مبرأ من كل عيب ، وإذا حاولنا أن نلتمس له المعاذير ينبغى أن نقول : « كفى المرء نبلا أن تعد معايبه » .

هذا إلى أن أخلاق يونس — فى حدته وتطرفه — ترشح بل ترجح أن هذه الحادثة يمكن أن تقع منه ومن أمثاله المتطرفين ، وسأقص عليك نبأ من هذه الحدة، لعله يكون سببا فى ضم صوتك إلى صوتى إذ أننى بحاجة إلى مساندة الرأى ، وأخشى أن أكون قد ظلمت الرجل فى هذا التعبير ، أو ذلك التصوير.

حدثنا أبو الطيب اللغوى ، كما حدثنا الزبيدى فى طبقاته فقال : « حدثنا أبو عبيدة عن يونس قال : كنت عند أبى عمرو بن العلاء ، فجاء شُبَيْل بن عَزْرة الضُّبَعى ، فقام إليه أبو عمرو ، فألقى لِبْدَ بغلته فجلس عليه، ثم أقبل يحدثه فقال شبيل : يا أبا عمرو، ألا تعجبون لرؤبتكم هذا سألته عن اشتقاق اسمه فلم يدر ماهو؟ قال يونس : فلم أملك نفسى عند ذكره لرؤبة فزحفت إليه ثم قلت : لعلك تظن أن معد بن عدنان أفصح من رؤبة ومن أبيه ! فأنا غلام رؤبة ، فما الروبة والروبة والروبة والروبة والرؤبة (الخامسة مهموزة فقط) فلم يحر جوابا وقام مغضبا، فأقبل على أبى عمرو وقال . هذا رجل شريف يقصد مجلسنا ويقضى حقوقنا ، وقد أسأت فيما واجهته به، فقلت: لم أملك نفسى عند ذكره رؤبة ، فقال له أبو عمرو : أو سُلِّطت على تقويم الناس !! .

ثم فسر لنا يونس فقال . . إلخ[1] .

(١) انظر مراتب النحويين ص ٢٢، وطبقات الزبيدى ص ٤٨ فمنهما معا استخلصت هذا النص ، وكملت أحدهما بالآخر فى تصرف يسير ، وتكملة النص هكذا « الروبة خميرة اللبن ، والروبة قطعة من الليل ، وفلان لا يقوم بروبة أهله أى بما أسندوا إليه من أمورهم ، والروبة جمام ماء الفحل ، والرؤبة (مهموزة) القطعة تدخلها فى الإناء يشعب بها الإناء » ص ٤٨ من طبقات الزبيدى .

ألا ترى معى أن يونس بن حبيب قد جاوز الحد حينما جابهَ الضيف بهذه الحدة المتطرفة ؟. إن أبسط قواعد الذوق تحتم عليه أن يسلك مسلكا آخر فى الدفاع عن رؤبة ، كما أن (أدب البحث والمناظرة) يكفل حرية الرأى لكل ذى رأى ، فما بالك برجل خطير مثل شبيل بن عزرة [1] .

ثم إن المجال ليس مجال بحث أو مناظرة ، وإنما هو مجال مساءلة ومسامرة علمية بين صديقين .

وإذا سلمنا جدلا بأن المجال كان مجال بحث أومناظرة ، فهل كانت المناظرة بين شبيل ويونس ، أو كانت بين شبيل وأبى عمرو بن العلاء ؟ .

لا أرى عذرا واضحاً أعتذر به ليونس . . . اللهم إلا أن تكون الحدة المركوزة فى طبعه ـ إن صح لك أن تجعل هذا عذرا ، وليس بعذر فى نظرى ـ وقد اعترف يونس بحدته وتطرفه وغلبة النفس عليه حين قال : « لم أملك نفسى عند ذكره لرؤبة » [2] .

---

(١) قال عنه أبو الطيب اللغوى : « وشبيل بن عزرة هذا ، كان راوية نسابا عالما بالغريب ، وكان شاعراً . . » . انظر مراتب النحويين ص ٢٣ ط أولى : وانظر تهذيب التهذيب ج ٤ ص ٣١٠ فقد جاء فيه : « كان من أفاضل أهل البصرة وقرائهم ، وقيل : إنه كان يرى رأى الخوارج ثم عدل عنه » .

(٢) لعل القدر أراد أن يقتص من يونس فى الكبر ، فكما أنه اعتدى فى صغره على ضيف شيخه فأحرج الزائر والمزور معاً ، سلط الله عليه فى كبره من يحرجه فى ضيفه الكسائى حينما زاره فى حلقة درسه :

«روى المؤرخون أن مروان بن سعيد سأل الكسائى بحضرة يونس عن كلمة (أى) فأحرج الكسائى وقال : « أى هكذا خلقت » فغضب يونس وقال : « تؤذون جليسنا ومؤدب أمير المؤمنين » .

انظر تفصيل الخبر فى أخبار النحويين للسيرافى ص ٢٧ فما بعدها .

وإن أردت دليلا آخر على التطرف فى هذه القصة فإليك قول يونس: « لعلك تظن أن معد بن عدنان أفصح من رؤبة ومن أبيه » ، ومثل هـذا التطرف لا يحتاج إلى بيان .

تلك حادثة وقعت منه وهو صغير فى ريعان الشباب . . . وإذا كنا قد التمسنا له المعاذير وهو كبير قد تقدمت به السن،حينما أساء إلى الرجل الذى كان يتهمه على مودته . . . فماذا أنت قائل فى هذه الحدة التى رأيناها فى شرخ الشباب ؟ .

يبدو أنها طبيعة متأصلة فى نفسه ، تجرى فى دمائه وتسرى فيها سريان الماء فى العود ، لا يحيد عنها ولا تفارقه فى الصغر أو الكبر! .
هكذا رأيته . . . وهكذا تمثلته خلال صحبتى الطويلة لتاريخه المديد ... وقديما قالوا : « شنشنة أعرفها من أخزم » .

هكذا بدا لى صاحبنا وشيخنا يونس بن حبيب !، وإنه ليسعدنى كل السعادة أن أكون مخطئا كل الخطأ فيما علق بنفسى من الشوائب التى قد تشوه صورة هذا الشيخ الجليل .

وكان فى مقدورى أن أزيف هذه الصورة الماثلة فى نفسى وحسّى ، أو أغض الطرف عن هذه المساوىء . . . فلا أنبشها للقارىء . . . ولا أوقظها من سباتها العميق ... ولكنها الأمانة العلمية تحتم علىّ ألا أكتمك نفسى ، وقد صحبت الرجل طويلا صحبة لعلها لم تتهيأ لبعض القارئين أو الباحثين ... أردت الأمانة وإليها قصدت ، فصورته كما رأيته وتمثلته من خلال قراءاتى .. صورته بخيره وشره . . . بعيوبه ومزاياه . . . وحسبى أنى أرضيت قلبى

ومنهجى . . . فما تعصبت له ولا تجنيت عليه . . فإن أكن قد أصبت فذلك الذى أبغى ، وإن تكن الأخرى فما على المحسنين من سبيل .

هل كان وشاء مشاء بنميم :

بعض الباحثين المعاصرين نسب إلى يونس بن حبيب أنه سعى بالوشاية إلى الخليفة المهدى ضد بشار بن برد ، فكان سببا فى قتله ، غير أننى لا أرى هذا الرأى لأمور عدة :

١ — أننى بالرغم من تتبعى لحياة يونس فى كتب التاريخ والطبقات لم أجد مرجعاً واحدا يعتمد عليه نسب هذه الوشاية إلى يونس .

٢ — أن القضية جاءت غفلا دون إسناد إلى مصدر أو مرجع .

٣ — أن المراجع المعتمدة تنسب هذه الوشاية إلى سيبويه لا إلى يونس ابن حبيب .

٤ — هناك احتمال اللبس فى نقل الخبر . . وذلك أن المؤرخين يقولون : «إن سيبويه كان فى حلقة يونس يوم أن هجا بشارٌ الخليفة [1] »، فربما التبس الأمر على الباحث فنقل كلمة يونس بدل سيبويه . . إنه احتمال . . مجرد احتمال لا أكثر ولا أقل . . وجلَّ من لا يسهو . . « وماسمى الإنسان إلا لنسْيه » كما يقولون .

---

(١) وخلاصة الخبر أن بشارا حضر يوما حلقة يونس بن حبيب ، وكانت بينه وبين سيبويه خصومة فقال : هل هنا من يرفع خبرا ؟ فقالوا : لا ، فأنشدهم :

بنى أمية هبوا من رقادهم   إن الخليفة يعقوب بن داود
ليس الخليفة بالموجود فالتمسوا   خليفة الله بين الناى والعود

وكان فى الحلقة سيبويه فوشى به . انظر الأغانى ٣/٢٠٩ ، فما بعدها ط دار الكتب .

٥ — أن الخصومة بلغت مداها بين بشار وسيبويه[1]، حتى إن بشاراً هجا سيبويه هجواً مقذعا حين قال :

أسبويه يا ابن الفارسية ما الذى　　تحدثت عن شتمى وما كنت تنبذ؟
أظَلْتَ تغنّى سادراً فى مساءتى　　وأمك بالمصرين تعطى وتأخذ[2]

وقد عقب بعض الباحثين على هذين البيتين بقوله : « وأى هجاء أبلغ من حذف المفعول فى الفعلين : تعطى وتأخذ ؟ »[3] .

لئن كانت هناك حفيظة تدفع إنسانا ما، لينتقم لعرضه وشرفه بالوشاية إلى الخليفة . . . فإن هذا الإنسان كان يمكن أن يكون سيبويه لا يونس ، وربما لا يعدم من يبرر له عمله ، قصاصاً لنفسه ، ووقاية لأعراض المسلمين الأبرياء من لسان هذا الشاعر الماجن الجسور .

غير أن سيبويه كان أرفع من ذلك . . فهو أجل وأكبر من أن ينتقم لنفسه بهذا الأسلوب ! وقديما دافع عنه حكيم المعرة حين قال فى رسالة الغفران، تعقيبا على تلك الرواية : « وسيبويه فيما أحسب كان أجلّ موضعا من أن يدخل فى هذه الدَّنِيَّات ، بل يعمد إلى أمور سنيات »[4] .

---

(١) وسبب الخصومة يتلخص فيما يقول الرواة : إن سيبويه كان يطعن على شعر بشار ، وخطأه فى استعمالات كثيرة منها كلمة (نينان) حين قال بشار فى وصف السفينة :

تلاعب نينان البحور وربما　　رأيت نفوس القوم من جريها تجرى

غير أن صاحب القاموس أثبت استعمال كلمة (نينان) وقال : إنها جمع (نون) وكذلك فعل ابن منظور فى لسان العرب ، فكان الحق إلى جانب بشار . ومع ذلك فإن بشارا خضع لنقد سيبويه وغير كلمات (نينان) وجعلها (تيار) فيما يرويه صاحب الأغانى ٣/٢٤٢ ط دار الكتب ، ويقال إنه غيرها رجاء أن يستشهد بشعره ففعل .

(٢) انظر الأغانى ج ٣ ص ٢٠٩ فما بعدها ط دار الكتب .

(٣) انظر (سيبويه . حياته وكتابه) للمرحوم الدكتور أحمد أحمد بدوى ص ٤١ ط ثانية .

(٤) انظر رسالة الغفران لأبى العلاء المعرى ٢/٣٥ .

لهذا أستبعد كل البعد أن يكون يونس بن حبيب وشاء مشاء بنميم ، وآية ذلك أن الدس والسعى فى الخفاء لا يتفق مع مكانته وجلالة قدره ، كما أنه لا يتفق مع طبيعته التى تعتمد على الصراحة التامة والمجابهة بكل ما يسوء ، وحاشا للعالم الجليل أن يكون من الدساسين ، وحاشا لتلميذه العظيم — سيبويه إمام النحاة — أن يكون كذلك، هذا وإنك لترى فى الصورة التى نعرضها لهذا الشيخ الجليل كثيراً من الجوانب المشرقة المشَرِّفَة .... ولولا خشية الإطالة لأسهبنا فيها أيما إسهاب... غير أننا سنعرضها باختصار مركز، إيثاراً للإيجاز ، وإليك البيان :

(ا) من شمائله الجميلة تلك الأمانة العلمية التى تحلى بها، فلا يبالى أن يقول: (لا أعرف) بملء فيه، إذا لم يكن واثقا من الجواب .

سأله مرة بكار بن محمد قائلا : « ما العجيزُ من الرجال ؟ قال يونس : لا أعرفه ، قال : فما المليخ ؟ قال : أما إذ جئت بالمليخ ، فالعجيز الذى لا يأتى النساء ، والمليخ الذى لا يولد له » (١) .

(ب) ومن تواضعه ورقة جانبه أن كان يزور تلاميذه ويلاطفهم ويخفض جناحه لهم، ويشرب معهم النبيذ الحلو والحازر، كما فعل عند تلميذه المرموق محمد ابن سلام الجمحى (٢) .

(ج) ويبدو أنه كان طاهر القلب لا يعرف الحقد ولا الضغينة ، بل إنه كان يتهم الحاقد بالغباء ، لأنه لو كان ذكيا لما كان حاقدا ولا حسودا ، فكيف يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله ، وإلا كان اعتراضاً على مشيئة الله،

---

(١) طبقات النحويين للزبيدى ص ٥٠ ط أولى .

(٢) انظر تفصيل الخبر فى طبقات الزبيدى ص ٥٠

وذلك فضل الله يوتيه من يشاء فلا حسد ولا اعتراض ؛ ولهذا كان يونس يضرب المثل الرائع ويقول قولته المشهورة : « ليس لحاقد ذكاء »[١] .

ولم يكن هذا مجرد قول يقوله ، بل كان يترجمه إلى عمل واضح على رءوس الأشهاد ، فليتك كنت حاضره عندما تخلى عن مكان الصدارة لأحد تلاميذه حينما أحس منه التفوق فى العلم ... يحدثنا ياقوت الحموى عما كان بين يونس وتلميذه الكسائى: « .. مرت بينهما مسائل أقر له يونس فيها ، وصدره موضعه[٢] » ... ليتنا كنا شهودا آنذاك فصفقنا بقلوبنا لهذا الرجل العظيم يونس بن حبيب ، هكذا يكون الخلق . . . وهكذا يكون العلماء .

(د) على أن تقدم السن ترك ظلالا من الكآبة فى روح يونس ، فتراه أحيانا يتبرم بالحياة ويضيق بها ، تلمس ذلك فى ثنايا حديثه ، ومن خلال عباراته ، كتلك التى تراها فى مناظرة آدم عليه السلام حين قال له محتجا عليه : أخرجتنا من الجنة ، وطرحتنا فى هذا المكروه[٣] .

وربما كانت هذه النفثة ضجرا بالضعف ، وتأففا من الشيخوخة ، لا تبرما بالحياة نفسها ، مصداقا لقول القائل ·

وإذا الشيخ قال أفٍّ فما ملَّ الحياة ولكن الضعف ملَّا

(هـ) على أن هذه الشيخوخة كان لها أثرها الواضح فى إرهاف الحس عند يونس ... استمع إلى روحه الشفافة تكاد تذوب أسىً ورقة على فراق

---

(١) طبقات النحويين للزبيدى ص ٥٠ . وقد جاء فى الأصل تحريف مطبعى فى كلمة (حاقد) حيث كتبت بالنون بدل الدال .

(٢) معجم الأدباء ١٣/١٦٩ ط دار المأمون .

(٣) انظر أخبار النحويين البصريين للسيرافى ص ٢٩ ، ونزهة الألباء ص ٣٣ .

الأحبة حين يقول : « فرقة الأحباب سقم الألباب »[1] ، وكان يتغنى بقول الشاعر .

شيئان لو بكت الدماء عليهما عيناى حتى يؤذنا بذهاب
لم يبلغا المعشار من حقيهما شرخ الشباب وفرقة الأحباب[2]

عقيدته :

أكبر الظن أن يونس بن حبيب كان من أهل السنة ، ولكن هل كان من المحافظين ، أو كان يميل إلى الاعتزال مثلما كان يفعل الفراء[3] ؟

يبدو أنه كان من أهل السنة المحافظين الذين ينأون عن المعتزلة ! وعما كان يدور فى مجالس الاعتزال ، وآية ذلك أنه حينما سئل عن (القَدَر) أمسك عن الخوض فيه ، بل نفى أن يكون له علم أو دراية به ... حدثنا الزبيدى فى طبقاته فقال : « قال ابن سلام : وتذاكرنا القدر مرة فى مجلس يونس ، فقالوا : ما تقول يا أبا عبد الرحمن ؟ فقال : لا فكر لى فيه »[4] .

وهناك نص صريح يدل أنه كان من أصحاب السنة ، وهو أحد أربعة كانوا كذلك على عهد أبى عمرو بن العلاء ، يقول الأنبارى : « كان أهل العربية على عهد أبى عمرو كلهم أصحاب أضواء إلا أربعة ، فإنهم كانوا أصحاب سنة : أبو عمرو بن العلاء ، والخليل بن أحمد ، ويونس بن حبيب البصرى ، والأصمعى »[5] .

---

(١) شذرات الذهب لابن العماد الحنبلى ص ٣٠١ نشر القدسى .

(٢) المصدر السابق ، وانظر الوفيات ٣/٥٤٧ .

(٣) انظر أبو زكريا الفراء ، للمؤلف ، مبحث (عقيدته) .

(٤) طبقات النحويين واللغويين ص ٥٠ ط أولى .

(٥) نزهة الألباء فى طبقات الأدباء ص ٣٤ وانظر المعارف لابن قتيبة ص ١٨٤ .

ورب قائل يقول: إن ظلال الاعتزال تبدو واضحة فى آراء يونس ومنهجه، فأنت تراه مثلا يتمنى أن يناظر الأنبياء يوم القيامة ليظهر لهم خطأهم[١] ... وهذا المسلك يتنافى قليلا أو كثيرا مع مذهب المحافظين من أهل السنة، أولئك الذين يجعلون الأنبياء معصومين فى كل تصرف، قبل الرسالة أو بعدها.

كما تراه ينحى باللائمة على طلحة والزبير فى خروجهما على الإمام على[٢]، مع أن أهل السنة يكرهون الخوض فى هذا ويقولون:

وأوّل التشاجر الذى ورد إن خضت فيه واجتنب داء الحسد[٣]

ولعله يقول أيضا: ليس هذا فحسب، بل إن ظلال الاعتزال تبدو واضحة جلية فى منهجه الحر الجرىء حين خرج على إجماع النحاة قاطبة، وانفرد بمقاييسه ومذاهبه[٤].

وللرد على هذه الشبهة نقول: متى كان الرأى الحر الجرىء وقفا على المعتزلة وحدهم؟ أفلا يكون الإنسان حر الفكر. مستقل الرأى إلا إذا كان من المعتزلة! ، كأنهم قد احتكروا هذا الاتجاه احتكارا لا يتسع لواحد من أعلام المفكرين مثل يونس بن حبيب؟.

أكبر الظن أن هذا من التعسف والتحكم الغريب.

ذلك مبلغ العلم بعقيدته من حيث الاعتزال، وكذلك الحال فى عقيدته من حيث التشيع .... لا أملك عليها نصا قاطعا فى التشيع، وكل الذى

---

(١) انظر مثلا أخبار النحويين البصريين للسيرافى ص ٢٩ فما بعدها ط الحلبى.

(٢) نفس المصدر.

(٣) متن الجوهرة فى علم التوحيد.

(٤) انظر مثلا الوفيات ٣/٥٤٥.

أملكه هو ذلك النص الذى يدافع فيه عن الإمام على ضد صاحبيه طلحة والزبير[1] ، وهو وإن لم يكن قاطع الدلالة إلا أنه يميل بنا إلى القول بأن هواه كان مع العلويين .

وأقول : يميل بنا ، ولا أقول : حجة لنا ، إذ أن طبيعة يونس تأبى أن يكون مثل هذا دليلا على التشيع ، وإنما هو شبه دليل فقط ، ذلك أن يونس كان حرا بطبيعته يدافع عن الحق من حيث هو حق بصرف النظر عن الجانب الذى يكون فيه من العلويين أو من الأمويين ، أو غير هؤلاء وأولئك .

كذلك عرفته . . وهكذا رأيته فى شبابه والمشيب .

وقصارى القول فى عقيدته أنه كان ينزع منازع السلف بوجه عام ، مع الاحتفاظ بالتحرر الفكرى الجرىء ، وذلك هو الذى يتفق مع الخط الرئيسى فى شخصيته ومذاهبه ، فقد كان منهجه وسطاً بين الإمعان فى الرواية والإسراف فى القياس .

على أن اتفاق الخط الرئيسى فى كثير من زواياه يدلنا دلالة قوية على أن هذا الاستنتاج الذى وصلنا إليه فى عقيدته ، وهواه ربما كان قريبا من الرجحان ، بل إنه جد قريب .

وفاته :

تاريخ الوفاة يتأرجح بين خمس سنوات ، ابتداء من سنة ١٨١ هـ إلى نهاية ١٨٥ هـ ، غير أننى أبادر فأرجح أن وفاة يونس كانت سنة ١٨٢ هـ ، وذلك للأمور الآتية :

---

(١) انظر أخبار النحويين للسيرافى ص ٢٩ فما بعدها .

أولا : أن سنة ١٨١ هـ ينبغى أن نستبعدها من الآن ، إذ أن أحداً من المؤرخين لم يذكرها صراحة فى أى مرجع من المراجع التى اطلعت عليها ، وكل ما هنالك أن ابن العماد الحنبلى (ت ١٠٨٩ هـ) قال فى كتاب الشذرات : « وفيها (أى فى سنة اثنتين وثمانين ومائة) . . . توفى يونس بن حبيب النحوى[١] » ، «وقيل قبلها . . .»[٢] ، فنحن قدرنا ماقبلها بسنة واحدة ، وهو أقل مقدار تتحقق به القَبْلية لأن وحدة العدد هنا السَّنة ، وليست بالشهور مثلا ، لهذا اعتبرنا سنة ١٨١ هـ من سنى الوفاة التى قال بها المؤرخون بمجرد اعتبار فقط لنحصر مقدار التأرجح فى أقل عدد من السنوات ، وإلا فإن القبلية تصدق على أى سنة أخرى تقع قبل هذا التاريخ الذى يتحدث عنه ابن العماد الحنبلى وهو سنة ١٨٢ هـ .

ثانيا : أن سنة ١٨٣ هـ لم ترد صراحة إلا فى قليل من المراجع مثل الفهرست[٣] ، ونزهة الألباء[٤] . . وذلك قليل جدا بالنسبة للمراجع التى وردت فيها سنة ١٨٢ هـ ، يضاف إلى هذا أن ابن خلكان (ت ٦٨١ هـ) ذكرها بصيغة التضعيف[٥] ، بعد أن اعتمد سنة ١٨٢هـ تاريخا للوفاة[٦] .

ثالثا : أن سنة ١٨٤ هـ لم أرها إلا فى الوفيات ، حكاها ابن خلكان عن عبد الباقى بن قانع[٧] ، ويبدو أنه لم يقتنع بها ، فذكرها فى ذيل بعض

---

(١) انظر شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ص ٣٠١ نشر القدسى .

(٢) نفس المصدر .

(٣) انظر ص٦٣ من الفهرست لابن النديم طبع الرحمانية ونشر المكتبة التجارية بمصر .

(٤) انظر ص ٣٤ من نزهة الألباء فى طبقات الأدباء لابن الأنبارى تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائى، طبع بغداد سنة ١٢٩٩ هـ .

(٥) انظر الوفيات ٣/٥٤٥ طبع سنة ١٢٩٩ هـ .

(٦) المصدر السابق .

(٧) نفس المصدر

الروايات التى حكاها بصيغة التضعيف بعد أن اعتمد سنة ١٨٢ هـ كما سبق به البيان .

رابعا : أن سنة ١٨٥ هـ لم أطلع عليها إلا عند ابن خلكان ، ولم يكن حظها أسعد من أختيها ، فقد حكاها بصيغة التضعيف كذلك[١] .

خامسا : لم يبق أمامنا من تواريخ الوفاة إلا سنة ١٨٢ هـ ، وأغلب الظن أنها هى السنة التى توفى فيها يونس بن حبيب البصرى ، ذلك أنها سلمت ـ فى نظرنا ـ من التجريح الذى أصاب أخوات لها سابقات .

أضف إلى ذلك أن ابن خلكان ، وهو شيخ المحققين من مؤلفى التراجم قد ارتضى هذه الرواية واعتمدها فى صدر الحديث .

يضاف إلى هذا وذاك أنها هى السنة التى حددها الجاحظ للوفاة[٢] ، ومعلوم أن الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) كان قريب عهد بيونس بن حبيب ، بل كان معاصرا له .

ثم يبلغ الترجيح منتهاه حين نعلم أن معظم الروايات تضافرت على تحديد هذه السنة بالذات ، وعلى رأسها أبو الطيب اللغوى (ت ٣٥١ هـ) فى كتابه مراتب النحويين[٣] ، وكذلك الزبيدى (ت ٣٧٩)[٤] ، وحذا حذوهما ياقوت الحموى (ت ٦٢٦هـ) فى معجم الأدباء[٥] ، وقفى على آثارهم ابن خلكان[٦] ،

---

(١) انظر الوفيات ٣ / ٥٤٥ طبع سنة ١٢٩٩ هـ .
(٢) انظر مراتب النحويين لأبى الطيب اللغوى ص ٢١ تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم .
(٣) نفس المصدر .
(٤) انظر طبقات النحويين واللغويين ص ٥٠ تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم .
(٥) معجم الأدباء ٢٠/٦٧ طبع دار المأمون .
(٦) انظر الوفيات ٣/٥٤٥ طبع سنة ١٢٩٩ هـ .

(ت ٦٨١ هـ) وكذلك فعل اليافعي (ت ٧٦٨ هـ) في مرآة الجنان[1] ، والسيوطي (ت ٩١١ هـ) في بغية الوعاة[2] ، وفي المزهر[3] ، وشدا شدوهم صاحب الشذرات[4] (ت ١٠٨٩ هـ) . كما أن المستشرق (Howell) اعتمد هذا التاريخ[5] ، إلى آخر ماهنالك من الروايات المتعددة المتضافرة[6] .

وإذا كان هنالك شيء يستحق العجب ، أو يستحق الملاحظة والتسجيل فإن السيرافي (ت ٣٦٨ هـ) — وهو قريب عهد إلى حدما بيونس بن حبيب كما أنه أقرب من كل هؤلاء المؤرخين الذين ذكروا تاريخ الوفاة إذا استثنينا أبا الطيب اللغوي ، لم يتعرض لذكر الوفاة بقليل أو كثير ، مع أن يونس بصري ، وكتاب السيرافي خاص بأخبار النحويين البصريين[7] ! .

هذا إلى أن ابن الأنباري نص على أن وفاة يونس كانت في خلافة الرشيد[8] ، وهذا النص لا يفيدنا شيئا في الترجيح ، لأن الروايات جميعها داخلة في خلافة الرشيد[9] .

---

(١) انظر مرآة الجنان جـ ١ ص ٣٨٨ . الطبعة الأولى . طبع حيدر آباد ، الدكن ،
(٢) بغية الوعاة ص ٤٢٦ الطبعة الاولى .
(٣) المزهر جـ ٢ ص ٤٦١ ط الحلبي
(٤) انظر شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي ص ٣٠١ نشر القدسي .
(٥) Arabic Grammar by Howell
(٦) انظر مثلا دائرة معارف القرن العشرين جـ ١٠ ص ١٠٥٥ . الطبعة الثانية .
(٧) انظر ترجمة يونس ص ٢٧ فما بعدها من (أخبار النحويين البصريين) . ط الحلبي .
(٨) انظر نزهة الألباء ص ٣٤ ط بغداد .
(٩) خلافة الرشيد من (١٧٠ هـ — ١٩٣ هـ) وبدهي أن تواريخ الوفاة من سنة ١٨١ هـ إلى سنة ١٨٥ هـ كلها داخلة في زمن الخلافة .

الفصل الثاني

شيوخه وتلاميذه

كلمة :

كنت قد أعددت هذا الفصل إعداداً مستفيضاً .. تحدثت فيه عن كثير من شيوخه ، وتلاميذه ، ومعاصريه ، وبينت مدى التأثر والتأثير وحينما اضطرتني الظروف إلى اختصار هذا الكتاب رأيت أن هذا الفصل أحق الفصول بالحذف والإيجاز ... وكان من نتائج ذلك أن حذفت كثيرا من تراجم الشيوخ والأعراب الذين أخذ عنهم ، مثل رؤبة بن العجاج وكان أثيراً عنده شديد الاختصاص به ، ويفتخر بأنه غلام رؤبة ، وكذلك غيره من الأعراب الذين التقى بهم ، وسمع منهم ، أو روى عنهم شيئاً من الأخبار[1]. وكانت حلقة يونس بالبصرة ملتقى كثير من الأعراب .

ومن المعاصرين له الخليل بن أحمد الفراهيدى ، وكنت أوثر الحديث عنه هنا للمقارنة بين المذهبين ، غير أنى عدلت عن ذلك للظروف القاهرة ... ولكننى أحيل القارىء إلى كتابنا (التيارات الكبرى فى المدارس النحوية)[2] ففيه تفصيل الخلاف بين المنهجين : منهج يونس البصرى متفقا فيه - إلى حد كبير - مع منهج شيخه أبى عمرو بن العلاء ، وسميته (التيار المنهجى)... والمنهج الآخر هو الذى يتزعمه الخليل بن أحمد ويتبناه تلميذه النابه سيبويه إمام النحاة ، وسميته (التيار الخليلى) - ومن أراد الإسراع فى الاطلاع على هذه التيارات فليقرأ شيئاً من ذلك فى بحثنا المطبوع بعنوان: (التيار القياسى فى المدرسة البصرية)[3] وكذلك البحث الآخر بعنوان : (الموازنة بين المناهج البصرية)[4].

---

(١) من هؤلاء أبو مهدية الأعرابى ، وأبو الدقيش وغيرهما كثير وكثير .

(٢) تحت الطبع .

(٣) مستخرج من حوليات كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، المجلد الرابع والعشرون - الجزء الثانى - ديسمبر ١٩٦٢

(٤) بحث مستخرج من نفس الحوليات السابقة .

وهناك كتاب كامل عن الخليل لصديقنا الفاضل الأستاذ الدكتور مهدى المخزومى[١]، وله بحث آخر عنه بعنوان (عبقرى من البصرة)[٢] فليسعد القارىء بكل ذلك ، ويعفنى من الحديث هنا عن الخليل بن أحمد ، بعد أن اضطرتنى الظروف ... وللظروف أحكام .

ومن تلاميذ يونس المرموقين ، أبو زكريا الفراء ، وسيبويه إمام النحاة وغيرهما كثير ... وكثير[٣].

ولم أشأ أن أترجم للفراء هنا اكتفاء بكتابنا المطبوع[٤]، فقد تحدثت فيه عن صلة الفراء بشيخه يونس ، ومدى تأثيره فيه ، ومما جاء فيه : « ولعلى لا أخطىء إذا قلت . إن تأثير يونس على الفراء فى النحو بالذات كان أوضح من تأثير الكسائى فيه ، وآية ذلك تقارب الروح المنهجية بين يونس والفراء ، والتشابه بينهما فى الخروج على المذهبين معاً ... »[٥].

---

(١) راجع (الخليل بن أحمد الفراهيدى ـ أعماله ومنهجه) ط مطبعة الزهراء ـ بغداد ١٩٦٠

(٢) طبع وزارة الإعلام ـ مديرية الثقافة العامة بالجمهورية العراقية ـ سلسلة الكتب الحديثة رقم (٥٣) ط سنة ١٣٩٢ هـ سنة ١٩٧٢ م .

(٣) من أمثال خلف الأحمر ـ انظر (البيان والتبيين للجاحظ) تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ، وانظر (مقدمة فى النحو) تأليف خلف الأحمر ـ تحقيق الأستاذ عز الدين التنوخى طبع دمشق ، فقد ذكر الأستاذ المحقق ص ١٤ ـ « أن خلفا أخذ النحو عن أئمته كأبى عمرو بن العلاء ، ويونس بن حبيب » ـ على أن معظم كتب الطبقات تذكر ذلك أيضاً .

(٤) هو (أبو زكريا الفراء ومذهبه فى النحو واللغة) للدكتور أحمد مكى الأنصارى ـ طبع المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ـ توزيع دار المعارف بمصر .

(٥) راجع ص ٣٧٥ من كتاب أبو زكريا الفراء .

وكذلك لم أشأ أن أترجم هنا لسيبويه ، اكتفاء بالبحوث التى كتبت عنه ، وهى فى متناول الجميع ، ومنها كتاب سيبويه إمام النحاة[١]، وسيبويه حياته وكتابه[٢]، وكذلك سيبويه والكتاب[٣]، وبحث أول كتاب فى النحو العربى[٤]، وما إلى ذلك من البحوث المستفيضة مثل (سيبويه والقراءات)[٥].

واكتفيت بالترجمة لبعض الشيوخ من أمثال حماد بن سلمة ، وأبى عمرو ابن العلاء ، وعبد الله بن أبى إسحاق الحضرمى ، واجتزأت من التلاميذ بتلميذين اثنين ، أحدهما بصرى ، وهو أبوزيد الأنصارى ، والآخر كوفى، وهو الكسائى مؤدب الأمراء ، وإليك البيان :

---

(١) للأستاذ على النجدى ناصف ـ طبع مكتبة نهضة مصر بالفجالة .
(٢) للمرحوم الدكتور أحمد أحمد بدوى ـ ط نهضة مصر بالفجالة .
(٣) لفضيلة الأستاذ أحمد السيد غالى — مخطوطة بكلية اللغة العربية رقم (٣٧٨) نحو .
(٤) للأستاذ الدكتور حسن عون ـ طبع الإسكندرية .
(٥) للدكتور أحمد مكى الأنصارى ـ توزيع دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٢

أولا : شيوخه :

(أ) حماد بن سلمة[1]:

قال عنه يونس : « أول من تعلمت منه النحو حماد بن سلمة »[2]. وفيه يقول الرواة :

هو حماد بن سلمة بن دينار[3]، النحوى اللغوى[4]، أبو سلمة البصرى ، الإمام الكبير[5] مولى ربيعة بن مالك[6]، ذكره السيرافى فى نحاة البصريين ، وكان إماماً فى الحديث كما كان مولعاً بالنحو ، قال يونس حينما سئل عنه « أيما أسن ، أنت أو حماد بن سلمة ؟ قال هو أسن منى ، ومنه تعلمت العربية »[7].

---

(١) انظر ترجمته فى طبقات القراء ١/٢٥٨ وأخبار النحويين البصريين ص ٤٢ فما بعدها وميزان الاعتدال ١/٢٤٥ ونزهة الألباء ص ٥٠ فما بعدها وفيه نص رواه يونس عن حماد فى النسب إلى (شية) ص ٢٧ وتذكرة الحفاظ ١/١٨٩ ومعجم الأدباء ١/٢٥٤ ومرآة الجنان ١/٣٥٣ والنجوم الزاهرة ٢/٥٦ والبغية ص ٢٤٠ وشذرات الذهب ١/٢٦٢ وأخبار النحويين البصريين ص٤٢ وطبقات ابن قاضى شهبة ١/٣٢٥ وتلخيص ابن مكتوم ص ٦٣ وخلاصة تذهيب الكمال ص ٧٨ وتقريب التهذيب ص ٦٤ وتهذيب التهذيب ٣/١١

(٢) طبقات النحويين واللغويين للزبيدى ص ٤٨

(٣) غاية النهاية فى طبقات القراء ١/٢٥٨ وإنباه الرواة ١/٣٢٩ والبغية ص ٢٤٠

(٤) إنباه الرواة ١/٣٢٩

(٥) طبقات القراء ١/٢٥٨

(٦) البغية ص ٢٤٠

(٧) إنباه الرواة ١/٢٢٩ وأخبار النحويين البصريين ص٣٤ والبغية ص ٢٤٠

ومن دلائل اعتزاز حماد بالنحو قوله : « مثل الذى يطلب الحديث ولا يعرف النحو مثل الحمار عليه مخلاة ولا شعير فيها »(١) وربما كان هذا الاعتزاز الشديد سبباً فى عزوف سيبويه عنه حينما خطأه حماد مرتين نحوياً ولغوياً ، وفى هذا وذاك يقول الرواة : « كان سيبويه يستملى عليه يوماً فقال حماد : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما أحد من أصحابى إلا وقد أخذت عليه ليس أبا الدرداء» ، فقال سيبويه : ليس أبو الدرداء ، فقال حماد لحنت ياسيبويه ، فقال لاجرم لأطلبن علماً لاتلحننى فيه أبدا ثم لزم الخليل »(٢) .

ذلك هو الخطأ النحوى ، أما الخطأ اللغوى فيحدثنا عنه القفطى حين يقول : « سأل سيبويه حماداً فقال : أحدثك هشام بن عروة عن أبيه فى رجل رُعف فى الصلاة ؟ فقال : أخطأت ياسيبويه ، إنما هو رَعَف فانصرف سيبويه إلى الخليل شاكياً مالقيه من حماد ، فقال : صدق حماد ، أمثله يُلقى بمثل هذا »(٣).

قال الجرمى : « ما رأيت أفصح منه (أى من حماد) وكان يقول : « من لحن فى حديثى فقد كذب علىّ »(٤)، وقال يونس بن حبيب : « كان حماد

---

(١) إنباه الرواة ٣٢٩/١

(٢) البغية ص ٢٤٠ بتصرف يسير ، وانظر سيبويه والقراءات للدكتور أحمد مكى الأنصارى ص ٤٢ توزيع دار المعارف .

(٣) إنباه الرواه ٣٣٠/١ بتصرف يسير ، وعلق عليه الأستاذ المحقق محمد أبو الفضل إبراهيم فقال: «قال فى القاموس: رعف كنصر ومنع وكرم وعنى وسمع: خرج من أنفه الدم ، وقال الجوهرى : رعف بالضم لغة رديئة فيه . وقال الأزهرى : لم يعرف رعف (بالبناء للمجهول) ولا رعف (مثل كرم) فى فعل الرعاف» .

(٤) البغية ص ٢٤٠

رأس حلقتنا »(١) وذكره الزبيدى فى طبقات النحويين وقال : « كان حماد ابن سلمة يمر بالحسن البصرى فى الجامع فيدعه ويذهب إلى أصحاب العربية يتعلم منهم »(٢).

وقال الذهبى : « كان إماماً رأساً فى العربية فصيحاً بليغاً كبير القدر ، صاحب سنة ، شديداً على المبتدعة ، زاهداً ، حجة ، روى له مسلم والأربعة »(٣).

وفيه يقول ابن الجزرى : « روى القراءة عرضاً عن عاصم وابن كثير - روى عنه الحروف ، حرمى بن عمارة ، وحجاج بن المنهال ، وشيبة بن عمرو المصيصى ، وهو الذى روى عن ابن كثير أنه قرأ (٤): أن يعمروا مسجد الله ، إنما يعمر مسجد الله ، جميعاً بغير ألف على التوحيد ، تفرد فى الثانى كذلك عن ابن كثير ، وروى عن ابن كثير أيضاً(٥). ومنهم من يلازمك - بالألف ، تفرد بذلك عنه أيضاً »(٦).

وقد أشاد به اليزيدى فى قصيدته التى يمدح فيها نحاة البصرة ، وفيها يقول عن حماد :

« يا طالب النحو ألا فابكه   بعد أبى عمـــرو وحمـاد

(١) إنباه الرواة ٣٣٠/١

(٢) البغية ص ٢٤٠

(٣) نفس المصدر .

(٤) س ٩ ، آ ١٧ و ١٨ - غاية النهاية ٢٥٨/١

(٥) س ٩ ، آ ٥٨ - المصدر السابق .

(٦) غاية النهاية فى طبقات القراء ٢٥٨/١ بتصرف يسير .

يعنى أبا عمرو بن العلاء وحماد بن سلمة »[1].

توفى سنة سبع وستين ومائة[2]، فى شهر ذى الحجة[3].

(ب) أبو عمرو بن العلاء [4]

قال عنه يونس إكباراً له وتقديراً وتمجيداً : « لو كان أحد ينبغى أن يؤخذ بقوله كله فى شىء كان ينبغى أن يؤخذ بقول أبى عمرو بن العلاء كله فى العربية ، ولكن ليس أحد إلا وأنت آخذ من قوله وتارك »[5].

---

(١) راجع إنباه الرواة للقفطى ١/٣٣٠ وفى هامشها يقول الأستاذ المحقق محمد أبو الفضل إبراهيم «ذكرها السيرافى فى كتابه أخبار النحويين البصريين ثم قال: « وحماد الذى ذكره فى النحويين فيما أظن هو حماد بن سلمة لأنى لا أعلم فى البصريين من ذكر عنه شىء من النحو واسمه حماد إلا حماد بن سلمة » .

وبهذه المناسبة نرى أن الأستاذ العلامة على النجدى ناصف قد سها حينما ذكر أنه (حماد بن الزبرقان) فقال تعليقاً على هذا البيت : « ولعله يريد بحماد فى البيت حماد بن الزبرقان لا حماداً الرواية . فلم يعرف عن الآخر شىء من النحو ، وكان إلى ذلك من أهل الكوفة » . انظر كتاب (سيبويه إمام النحاة) للأستاذ النجدى ص ٨٦ وهامشها رقم (٢) فكيف يقول ذلك مع أنه ذكر فى الصفحة السابقة ص ٨٥ أنه حماد بن سلمة وأخذ يسرد ترجمته .. إلى أن قال: ومما قيل فى رثائه .. وذكر هذا البيت ص ٨٦ والغريب فى الموقف أنه يعلق عليه بهذا التعليق ... « جل من لا يسهو » .

(٢) البغية ص ٢٤٠ وانظر غاية النهاية ١/٢٥٨

(٣) طبقات القراء ١/٢٥٨

(٤) ترجمته الكاملة فى كتاب لنا تحت الطبع بعنوان (أبو العلماء أبو عمرو بن العلاء) لهذا سأقتصد فى ذكر الترجمة ومراجعها وفى بيان مذاهبه المتعددة وسأكتفى بالإشارة الخاطفة إلى أن نلتقى هناك إن شاء الله .

(٥) معجم الأدباء ١١/١٦٠ ونزهة الألباء ص ٣٠ وطبقات فحول الشعراء ص ١٥ وطبقات النحويين واللغويين للزبيدى ص ٢٨

وفيه يقول الرواة : إنه عربى الأصل ، موصول النسب بمعدّ بن عدنان[١] وهو أبو عمرو بن العلاء بن عمار ... إلى آخر السلسلة الذهبية فهو من أشراف العرب ووجوهها كما يقول صاحب البغية[٢] ... وبالرغم من مكانته الرفيعة ونسبه الوضاء ... اختلف الرواة فى اسمه إلى واحد وعشرين قولا ذكرها السيوطى بالتفصيل فى بغية الوعاة[٣]، وأصح الأقوال أن اسمه (زبان)[٤] ويؤيد هذا الرأى ما روى عن أبى عمرو أنه قال للفرزدق حين هجاه ثم جاء معتذراً إليه :

هجوت زبان ثم جئت معتذرا   من هجو زبان لم تهجو ولم تدع[٥]

على أن هذه الأسماء المتعددة بعضها تصحيف لبعض ومن اليسير على الباحث أن يفطن إلى ذلك من أول نظرة تلقى على الأسماء ، وقال السيوطى: « وسبب الاختلاف فى اسمه أنه كان لجلالته لا يسأل عنه »[٦] وفيه يقول : « كان إمام أهل البصرة فى القراءات والنحو واللغة ، أخذ عن جماعة من التابعين ... ووثقه يحيى بن معين ... وهو صدوق حجة فى القراءات ... وهو أحد القراء السبعة المشهورين »[٧].

(١) انظر معجم الأدباء ١١/١٥٦ وغاية النهاية ١/٢٨٨

(٢) بغية الوعاة ص ٣٦٧

(٣) راجع البغية ص ٣٦٧

(٤) بغية الوعاة ٣٦٧، والفهرست لابن النديم ص٤٢ ومعجم الأدباء ١٠/١٥٧ فما بعدها وغاية النهاية ١/٢٨٩ وطبقات النحويين واللغويين للزبيدى ص٢٨ ونزهة الألباء ص ٣١ فما بعدها ، وفوات الوفيات ١/١٦٤

(٥) معجم الأدباء ٤/٢١٦ ونزهة الألباء ص٣٠ وشرح شافية ابن الحاجب ـ الشاهد رقم ١٩٢ ص ٤٠٦ القسم الثانى الخاص بشرح الشواهد ، وقد عقب البغدادى على هذا الشاهد فقال ص ٤٠٧ (والبيت مع شهرته لم يعرف قائله) فكأنه لا يعترف بنسبة البيت إلى أبى عمرو ، وهو رأى له وجاهته .

(٦) البغية ص ٣٦٧

(٧) بغية الوعاة ص ٣٦٧ بتصرف كبير .

طلب العلم صغيراً وبذله كبيراً ... طلبه قبل أن يختن[١] .. وبذله للناس - عن جدارة واقتدار - وهو مايزال فى شرخ الشباب ، روى عنه أنه قال : «كنت رأساً والحسن حى »[٢] يريد الحسن البصرى شيخ البصرة وإمام العصر آنذاك ، وقد أعجب الحسن البصرى بأبى عمرو أيما إعجاب حينما مرّ على حلقته بالمسجد ورأى الناس عكوفاً من حوله يستمعون إليه فى شغف ولهف ... «فقال من هذا ؟ فقالوا : أبو عمرو بن العلاء ... فقال : لا إله إلا الله ، كادت العلماء أن تكون أرباباً ، كل عز لم يؤيد بعلم فإلى ذل يئول »[٣] .

وفيه يقول أبو عبيدة معمر بن المثنى : «أبو عمرو أعلم الناس بالقراءات والعربية وأيام العرب والشعر »[٤] وقال الأصمعى : «لم أر بعد أبى عمرو ابن العلاء أعلم منه »[٥] .

وكان من أهل السنة زاهداً متنسكا ، وفى أخريات أيامه تفرغ للعبادة وأحرق كل ما كتب ، «وكانت دفاتره ملء بيته إلى السقف»[٦] . فخسرنا بذلك خسارة كبرى لا يقدرها حق قدرها إلا من مارس العلم وعرف قدر أبى عمرو بن العلاء ، وقديماً وصفوه بأنه أبو العلماء[٧] .

---

(١) راجع ص ٣١ من طبقات النحويين واللغويين للزبيدى .

(٢) انظر مثلا ١٨٩/٢ من شرح مقامات الحريرى .

(٣) غاية النهاية ٢٩١/١ بتصرف .

(٤) البغية ٣٦٧ وانظر البيان والتبيين ٣٢١/١ تحقيق الأستاذ الكبير عبد السلام هارون .

(٥) غاية النهاية ٢٩٠/١ فما بعدها .

(٦) بغية الوعاة ٣٦٧ ، ومعجم الأدباء ١٦٠/٢١ وغاية النهاية ٢٨٩/١ وشرح مقامات الحريرى ١٨٨/٢ ، وفوات الوفيات ١٦٤/١

(٧) تناولت ذلك بالتفصيل فى كتابنا عنه وهو تحت الطبع ، وانظر الخصائص لابن جنى ٣١٠/٣

وكان مضرب الأمثال فى الزهد والورع ، وله فى ذلك أقاصيص كثيرة تناولناها بالتفصيل فى كتابنا عنه ، وقد أعجب ببيت فى الزهد فنقشه على على خاتمه ليكون دوما أمام سمعه وبصره ، ذلك هو قول الشاعر :

وإن امرءا دنياه أكبر همه لمستمسك منها بحبل غرور(١)

وغنى عن البيان أن نقول : إن هذا البيت من مروياته وليس من شعره وأكبر الظن أنه ليس له شعر على الإطلاق ، وقد نسبوا له بيتا من الشعر وهو :

وأنكرتنى وما كان الذى نكرت من الحوادث إلا الشيب والصلعا(٢)

وزعموا أنه انتحله انتحالا ... وقد ناقشت هذه القضية بالتفصيل وأثبت بالأدلة المتعددة أن البيت مدسوس عليه وأن أبا عمرو بعيد كل البعد عن هذا الانتحال المزعوم(٣).

وكانت بينه وبين المعتزلة صولات وجولات ، تراها كثيرا فى كتب الطبقات ، من أمثال ما كان بينه وبين عمرو بن عبيد — زعيم المعتزلة آنذاك(٤).

هذا وقد رأيت أن أطوى الحديث عن مولده ووفاته ورحلاته اكتفاء بالتحقيقات العديدة التى أودعتها بحثنا الخاص عن أبى عمرو بن العلاء ،

---

(١) راجع البغية ص ٣٦٧

(٢) انظر مثلا بغية الوعاة ص ٣٦٧ وراجع دائرة معارف البستانى ص ٤٨٢ من المجلد الرابع والخصائص لابن جنى ٣/٣١٠ والأغانى ٣/٢٣ ومجالس العلماء ص ٢٣٥

(٣) قريباً بإذن الله يطالعك البحث مطبوعاً بعنوان (أبو العلماء أبو عمرو ابن العلاء) .

(٤) راجع مثلا طبقات النحويين واللغويين للزبيدى ص ٣٤ ففيها حوار شائق عن (الوعد والوعيد) .

وكذلك الحديث عن شيوخه وما أكثرهم حتى قيل : إنه ليس فى القراء السبعة أكثر شيوخا منه[1]، وكذلك الشأن فى تلاميذه ، ومعظمهم من الأقطاب ولهذا لقبوه بأبى العلماء كما سلف به البيان ، وجدير بنا هنا أن نشير إلى تلمذة سيبويه عليه ، فقد تضاربت فيها الآراء ، فأثبتها بعضهم ونفاها آخرون ، وبخاصة فيما يتعلق بالجانب النحوى ، أما الجانب اللغوى فقد أثبته ياقوت فى معجم الأدباء حيث قال : روى سيبويه اللغة أيضا عن أبى عمرو بن العلاء[2].

أما جانب القراءات فيثبته المؤرخون ويقولون : إن سيبويه أخذ عن أبى عمرو بعض الحروف ، وفى الكتاب دليل على ذلك كما يقول الأستاذ النجدى[3]. « قال : ورأيت أبا عمرو أخذ بهن فى قوله عز وجل : « ياويلتا أألد ؟ »[4] » ثم يقول الأستاذ النجدى : « أما النحو فالراجح أنه لم يأخذه عنه ، فلم أر أحدا ذكره ، وليس فى الكتاب دليل عليه ، وعجيب أن يأخذ النحو عن عيسى بن عمر سماعا ولا يأخذه عن أبى عمرو بن العلاء إلا نقلا ، مع أنه أخذ عنه الحروف ، ومع أن وفاته كانت بعد عيسى بنحو خمس سنوات »[5].

ولنا وقفة طويلة فى تلمذة سيبويه على أبى عمرو بن العلاء نرجئها الآن إلى حين ظهور بحثنا عن أبى العلماء .

---

(١) غاية النهاية ١/٢٨٩

(٢) معجم الأدباء ١١/١٦٠ (عن سيبويه حياته وكتابه للمرحوم الدكتور أحمد أحمد بدوى ص ١٠ — الطبعة الثانية) .

(٣) سيبويه إمام النحاة للأستاذ العلامة على النجدى ناصف ص ٩٥ ط نهضة مصر .

(٤) الكتاب ٢/١٦٧

(٥) سيبويه إمام النحاة ص ٩٥ ط نهضة مصر بالفجالة .

أما آراؤه فى النحو واللغة والنقد فهى كثيرة كثرة غامرة . وقد حاولت جمعها ... وتصنيفها ... واستخلاص مذاهبه منها ... وأتمنى على الله أن أكون قد نجحت فى الكثير من ذلك ... وسأقتضب الحديث عنها هنا اقتضابا إيثاراً للإيجاز ، غير أننى أشير إلى بعض ما كتبت فى مذهب أبى عمرو ومقارنته بالمذاهب البصرية الأخرى ، وذلك فى بحث بعنوان : (الموازنة بين المناهج البصرية)[1] حيث جاء فيه :

« والمنهج الثانى ومن أبرز زعمائه أبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤ هـ) ويونس بن حبيب البصرى (ت ١٨٢ هـ) »[2].

ثم تحدثت عن خصائص كل منهج من المناهج البصرية الثلاثة ، وميزته عن رصيفيه تمييزا يجعله مستقلا بنفسه كأنه مدرسة مستقلة تمام الاستقلال ، فهذه التيارات الثلاثة أشبه ما تكون بالمدارس المتعددة داخل المدرسة البصرية الواحدة[3]، ويعنينا هنا حديثنا عن مذهب أبى عمرو بن العلاء وبالتالى مذهب تلميذه يونس بن حبيب حيث قلت عنهما[4]:

« أما خصائص المنهج الثانى فأهمها الاعتماد على الأثر مع القياس عليه

---

(١) راجع (الموازنة بين المناهج البصرية للدكتور أحمد مكى الأنصارى — بحث مستخرج من حوليات كلية الآداب جامعة القاهرة — المجلد الرابع والعشرون — الجزء الثانى — ديسمبر ١٩٦٢) .

(٢) المصدر السابق ص ٤٣ ، ٤٤

(٣) راجع تفصيل ذلك فى كتابنا (التيارت الكبرى فى المدارس النحوية) وهو تحت الطبع ، وإن شئت الإسراع فارجع إليه فى بحث لنا مطبوع بعنوان (التيار القياسى فى المدرسة البصرية — للدكتور أحمد مكى الأنصارى) مستخرج من حوليات كلية الآداب جامعة القاهرة — المجلد الرابع والعشرون — الجزء الثانى — ديسمبر ١٩٦٢ — وكذلك البحث الثانى بعنوان : الموازنة بين المناهج البصرية) .

(٤) الموازنة بين المناهج البصرية ص ٤٤

كلما توافرت له الكثرة المعتمدة ، ويتمثل هذا المنهج فى قول أبى عمرو بن العلاء حينما سأله أحد العلماء عن منهجه ، فيما يرويه ابن نوفل إذ يقول : سمعت أبى يقول لأبى عمرو بن العلاء : أخبرنى عما وصفت مما سميته عربية ، أيدخل فيه كلام العرب كله ؟ فقال : لا ، فقلت : كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهم حجة ؟ قال : أعمل على الأكثر وأسمى ما خالفنى لغات »[١].

ثم وضحت الفرق بين المنهج الأول والثانى[٢] ، كما بينت الفرق بين المنهج الثانى والثالث[٣]، ثم انتهيت إلى المفاضلة بين المناهج الثلاثة[٤] ، ورأيت أن المنهج الثانى ـ وهو منهج أبى عمرو ويونس ـ أفضل المناهج الثلاثة ، وأقربها إلى البحث الحديث ، ذلك أنه يعتمد على طبيعة اللغة أكثر مما يعتمد على تحكم القياس[٥] وحسب أبى عمرو فخراً واعتزازاً أنه أدرك طبيعة اللغة . . . وأنها لها منطقها الخاص الذى قد يتفق مع منطق العقل وقد يختلف معه[٦] ، وأن الذى ضاع من تراثنا اللغوى أكثر من الذى وصل إلينا فى عصر التدوين ، ولهذا قال قولته المشهورة . . . تلك التى أصبحت مبدأ ودستوراً أمام الباحثين الناضجين . حيث قال .

---

(١) طبقات النحويين واللغويين للزبيدى ص ٣٤ ط أولى .

(٢) راجع الموازنة بين المناهج البصرية ص ٤٥ فما بعدها .

(٣) المصدر السابق ص ٦٣ فما بعدها .

(٤) نفس المصدر ص ٦٥ فما بعدها .

(٥) المصدر السابق .

(٦) أبو زكريا الفراء للدكتور أحمد مكى الأنصارى توزيع دار المعارف بمصر ـــ راجع فيه مبحث (للغة منطقها الخاص ص ٤٠٣ ونماذج خروج اللغة عن منطق العقل ص ٤٠٤) .

« ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ، ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير »(١)

وكما اختلف الرواة فى مولد أبى عمرو اختلفوا فى وفاته ، والراجح أنه توفى سنة ١٥٤هـ(٢) رحمه الله رحمة واسعة بقدر ما أخلص للعلم وبذل للعلماء ، وقد رأينا أنه أعظم الشيوخ أثرا فى تلميذه(٣) العظيم يونس البصرى .

(م) عبد الله بن أبى إسحاق الحضرمى(٤) :

سئل يونس البصرى عن علم الحضرمى فقال : « هو والنحو سواء أى هو الغاية »(٥) وفيه يقول الرواة :

---

(١) غيث النفع فى القراءات السبع للصفاقسى ص ١٠٠ ط الحلبى وانظر طبقات فحول الشعراء ص ٢٣ ط دار المعارف .

(٢) راجع معجم الأدباء ١١/١٥٩ والبغية ص ٣٦٧ ، ونزهة الألباء ص ٣٨ ، وفوات الوفيات ١/١٦٤ وطبقات النحويين واللغويين للزبيدى ص ٣٤

(٣) مراجع التلمذة كثيرة جداً، منها (سمط اللآلى لأبى عبيد البكرى ٢/١٩٥ طبع لجنة التأليف والترجمة بمصر — تحقيق الأستاذ عبد العزيز الميمنى .

(٤) يمكن الرجوع إلى ترجمته فى أخبار النحويين البصريين للسيرافى ٢٥-٢٨، وبغية الوعاة ٢٨٢ ، وتاريخ ابن الأثير ٤/٢٩٢ وتاريخ أبى الفداء ١/٢٠٨ وتقريب التهذيب ١٢٥ وتلخيص ابن مكتوم ٩٠ وتهذيب التهذيب ٥/١٤٨ وخزانة الأدب ١ : ١١٥ — ١١٦ وخلاصة تذهيب الكمال ١٦٢ وطبقات الزبيدى ١١ — ١٣ وطبقات الشعراء لابن سلام ١١ — ١٣ وطبقات ابن قاضى شهبة ٢ : ٢٢ - ٢٣ وطبقات القراء لابن الجزرى ١/٤١٠ والفهرست ٤١ ومراتب النحويين ٢٠ ومسالك الأبصار جـ ٤ مجلد ٢ : ٢٦٩ — ٢٧٠ ، والمعارف ٢٣٠ والنجوم الزاهرة ١ : ٣٠٣ ونزهة الألباء ٢٢ — ٢٥ (كل ذلك عن إنباه الرواة هامش ص ١٠٤ جـ ٢ تحقيق الأستاذ محمد أبى الفضل إبراهيم) وانظر ترجمة الحضرمى كذلك فى دائرة المعارف الإسلامية ص ٤٢ وفى بحث التيار القياسى فى المدرسة البصرية للدكتور أحمد مكى الأنصارى ص ١٧ فما بعدها .

(٥) أخبار النحويين البصريين للسيرافى ص ٢٠ ط الحلبى ، والبغية ص٢٨٢ وإنباه الرواة ٢/١٠٥

هو «عبد الله بن زيد بن الحارث الحضرمى البصرى[1]» وكنيته (أبو بحر)[2]، غير أنه اشتهر بكنية والده فكان معروفا (بابن أبى إسحاق)[3] «المقرىء النحوى العلامة فى العربية . . . وهو فى أول الطبقة الرابعة من النحاة»[4] ويجعله الزبيدى من الطبقة الثالثة ـ أخذ قراءته عن يحيى بن يعمر ونصر بن عاصم[5] كما أنه «روى عن أبيه عن جده»[6] وفى هذا دلالة على أنه كان من بيت علم موروث بالرغم من أنه كان من الموالى[7]، بل إنه كان مولى الموالى كما يقول الفرزدق، فلم يكن ذلك حائلا بينهم وبين تلقى العلم، بل إن الولاء كان من أقوى الدوافع للتحلى بالعلم فى تلك العصور.

ومن شيوخه ميمون الأقرن، وفيه يقول أبو الطيب اللغوى: «وليس فى أصحابه أحد مثل عبد الله بن إسحاق الحضرمى»[8]، وكان الحضرمى أعلم أهل البصرة فى زمانه وأعظمهم[9]، وكان رئيس الناس وواحدهم[10]، ولهذا أنصفه يونس خير إنصاف حينما قاسه بأهل زمانه فجعله الغاية التى لامطلب لأحد بعدها، ولكن إذا قيس علمه بمقاييس العصور المتأخرة كان

(١) بغية الوعاة للسيوطى ص ٢٨٢

(٢) المصدر السابق

(٣) نفس المصدر.

(٤) إنباه الرواة ١/١٠٤

(٥) الإنباه ٢/١٠٥ والبغية ص ٢٨٢

(٦) البغية ص ٢٨٢

(٧) البغية ٢٨٢ والإنباه ٢/١٠٤ وغيرهما كثير.

(٨) مراتب النحويين ص ١٢

(٩) خزانة الأدب للبغدادى ج١ ص ١١٥ — ١١٦ ط بولاق، والمراتب ص ١٢ ط أولى.

(١٠) مراتب النحويين ص ١٢

أمثولة وأضحوكة للضاحكين ، وليس فى ذلك ما يعيبه أو يضير ، فتلك سنة الله فى خلقه وفى نشأة العلوم بالتدريج ، وحسبه فخراً أنه كان فى عصره قمة من القمم الشوامخ بالرغم من اختلافنا معه فى منهجه الذى ارتضاه كما سيأتى بالتفصيل .

يقول القفطى : « سئل يونس بن حبيب عن ابن أبى إسحاق وعلمه، فقال: هو والنحو[1] سواء ، أى هو الغاية ، وقيل له : فأين علمه من علم الناس اليوم ؟ قال : لو كان اليوم فى الناس أحد لا يعلم إلا علمه لضحك منه ، ولو كان فيهم من له ذهنه ، ونفاذه ، ونظره كان أعلم الناس »[2].

وكانت له عناية خاصة (بالهمز) حتى عمل فيه كتاباً مما أملاه[3] كأنه كان متخصصاً فيه ولا غرابة فى ذلك فهو مقرىء[4] ، بل « أحد الأئمة فى القراءات[5] » ولهذا تغلب على أبى عمرو بن العلاء فى المناظرة التى أقامها بلال بن أبى بردة فى البصرة ـ يقول الرواة : « وكان بلال بن أبى بردة جمع بينهما وهو على البصرة عامل لخالد بن عبدالله القسرى أيام هشام بن عبدالملك ، قال يونس : قال أبو عمرو : فغلبنى ابن أبى إسحاق يومئذ بالهمز ، فنظرت فيه بعد ذلك ، وبالغت فيه »[6] .

ومع أن أبا عمرو بن العلاء كان من المقرئين ... قد تغلب عليه الحضرمى فى الهمز بالذات » ويبدو أن أبا عمرو كان مايزال تلميذاً شادياً فى ذلك الحين

---

(١) فى رواية أخرى (هو والبحر سواء) فجاءت كلمة (البحر) بدل (النحو) وكلاهما سليم يستقيم به المعنى ، وربما كانت إحداهما تصحيفاً من الأخرى .

(٢) إنباه الرواة ٢/١٠٥

(٣) المزهر للسيوطى ٢/٣٩٨ ط الحلبى ومراتب النحويين ص ١٢

(٤) المصدر السابق ٢/١٠٤

(٥) البغية ٢٨٢

(٦) راجع مثلا إنباه الرواة ٢/١٠٥ فما بعدها .

بالنسبة للحضرمى ، ولكن هذه المناظرة لفتت نظره إلى أهمية (الهمز) فبالغ فيه ، وسيطر عليه فيما بعد ، وآية ذلك أنه قال : « فجعلت إقبالى على الهمز حتى ما كنت دونه »[1]، يريد أنه ما كان دون الحضرمى فى الهمز .

وكان شديد التمسك بالقياس النحوى - كما سيأتى بالتفصيل - لا يبالى فى سبيل ذلك أن يخالف جمهور القراء ، أو جمهرة العلماء — ومن خلافه للقراء ما رواه الزبيدى حين قال[2]: « وكان ابن أبى إسحاق يقرأ (ياليتنا نردّ ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) بالنصب — أى نصب المضارع (نكون) — وكان يقرأ : (الزانية والزانى) — (والسارق والسارقة) بالنصب ، وهو خلاف ما قرأ به القراء »[3] — ومن خلافه لجمهرة العلماء أنه كان يخطىء (عثمان البتى) ويقول للعلماء (أخطأ عربيكم) إشارة إلى أنهم كانوا يلقبون (البتى) (بالعربى) لفصاحته وبلاغته ، حتى قال فيه يونس البصرى : « ما جاءنا عن أحد من روائع الكلم ما جاءنا عن البتى »[4].

ودخلت البغضاء بينه وبين ابن سيرين فى فترة من الفترات ، وكان ابن سيرين ممن يفسرون الأحلام وللرؤيا يعبرون ، ويبدو أنه كان بعيداً عن النحو ، ولهذا كان يبغض النحويين[5] ، وفى الأمثال يقولون : « من جهل

---

(١) مجالس العلماء للزجاجى ص ٢٤٣ ط الكويت تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون .

(٢) طبقات النحويين واللغويين ص ٢٧ بتصرف يسير .

(٣) تناولت هذه الآيات بالتفصيل فى كتابنا (سيبويه والقراءات) فارجع إليه إن شئت .

(٤) راجع (فى أصول النحو) للأستاذ الدكتور سعيد الأفغانى ص ٥٦ طبع الجامعه السورية - الطبعة الثانية (بتصرف) .

(٥) إنباه الرواة للقفطى ١٠٦/٢

شيئاً عاداه » ، هذا بالإضافة إلى مايثيره النحويون عادة من الصخب فى مجالسهم ، وكانت الحلقتان متجاورتين[1] ، ثم إنهم فوق هذا وذاك يعتبرون أنفسهم سدنة اللغة وحراسها الأشداء ، لايكادون يسمعون مايخالف مذهبهم النحوى حتى يثبون على القائل تخطيئاً وتجريحاً كما حدث ذلك مع الفرزدق من عبد الله بن أبى إسحاق نفسه ، وسيأتى بالتفصيل ، وإليك بعض ما كان بين الحضرمى وابن سيرين :

قالوا : « ... وكان ابن سيرين يبغض النحويين ، وكان يقول : لقد بغّض إلينا هؤلاء المسجد ، وكانت حلقته إلى جانب حلقة ابن أبى إسحاق .

وبلغ ابن أبى إسحاق أنه يعيب عليه تفسيرَ الشعر ، ويقول : ماعلمه بإرادة الشاعر ! فقال ابن أبى إسحاق : إن الفتوى فى الشعر لاتحل حراماً ، ولا تحرم حلالا ، وإنما نفتى فيما استتر من معانى الشعر ، وأشكل من غريبه وإعرابه بفتوى سمعناها من غيرنا ، أو اجتهدنا فيها آراءنا ، فإنْ زللنا أو عثرنا فليس الزلل فى ذلك كالزلل فى عبارة الرؤيا ، ولا العثرة فيه كالعثرة فى الخروج عما أجمعت عليه الأئمة من سنة الوضوء ، وكرهته الجماعة من الاعتداء فى الطّهور .

فبلغ ذلك ابن سيرين ، فأقصر عما كان عليه من الإفراط فى الوضوء ، وكان إذا جاءه الرجل يسأله عن الرؤيا قال : هات حتى أظن لك .

وكان ابن أبى إسحاق بعد أن بلغه كلام ابن سيرين يقول : أظن الشاعر أراد كذا ، واللغة توجب كذا »[2] .

---

(١) إنباه الرواة للقفطى ٢/١٠٦

(٢) نفس المصدر .

وفى هذه القصة دلالات متعددة ، وأهمها — فى نظرى — أن كلاًّ من العالمين الجليلين عدّل من موقفه ، واحتمى بالظن بدل القطع والتأكيد ، وتلك شيمة العلماء ، وهذا أثر من آثار النقد البناء ، مصداقا لقول القائل : « رحم الله امرءاً أهدى إلينا عيوبنا » وتصديقاً لقول الشاعر :

عداى لهم فضل على ومنة فلا أبعد الرحمن عنى الأعاديا
هم عرفونى زلتى فاجتنبتها وهم نافسونى فارتقيت المعاليا

ومما كان بينهما أيضا أنهما اجتمعا فى جنازة أحد العلماء ، فقال ابن سيرين مترحماً على الفقيد : « إنما يخشى اللهُ من عباده العلماءَ »(1) فرفع لفظ الجلالة ونصب لفظ العلماء ... وهنا تدخل الحضرمى ورماه بالكفر لأنه نسب الخشية إلى الله من العلماء ، وكان العكس صحيحاً فى نظر الحضرمى ... وفى هذا يحدثنا الرواة فيقولون :

« اجتمع (الحضرمى) وابن سيرين فى جنازة ، فقال ابن سيرين : (كذلك إنما يخشى اللهُ من عباده العلماءَ) فقال ابن أبى إسحاق : كفرت يا أبا بكر بعيبك على هؤلاء الذين يقيمون كتاب الله (يريد النحويين) ، فقال ابن سيرين : إن كنت أخطأت فأنا أستغفر الله ، ورجع إلى حلقته »(2)

على أن هذه القراءة التى كفره بها الحضرمى ... قد وردت عن بعض العلماء من أمثال أبى حنيفة وعمر بن عبد العزيز ، وذكرها الزمخشرى عن أبى حيوة ، وخرجوها على أن الخشية من الله مجاز لتعظيم العلماء ، هكذا قال الألوسى فى تفسيره روح المعانى ، وإليك النص كما نقله محقق

---

(1) سورة فاطر ، آية (٢٨) .
(2) إنباه الرواة ١٠٧/٢ بتصرف يسير .

الكتاب [1] :

قال الألوسى : « وروى عن عمر بن عبد العزيز وأبى حنيفة رضى الله عنهما أنهما قرأا (إنما يخشى الله) بالرفع ، و (العلماء) بالنصب ، وطعن صاحب النشر فى هذه القراءة ، وقال أبو حيان : لعلها لا تصح عنهما ، وقد رأينا كتبا فى الشواذ ، ولم يذكروا هذه القراءة ، وإنما ذكرها الزمخشرى ، وذكرها عن أبى حيوة أبى القاسم يوسف بن على بن جنادة فى كتابه الكامل ، وخرجت على أن الخشية مجاز عن التعظيم بعلاقة اللزوم ، فإن المعظم يكون مهيباً » [2] .

صحيح أن هذه القراءة ليست من القراءات المشهورة ... ولا يضيرها أن بعض العلماء لم يطلع عليها فى كتب الشواذ ... فما أكثر الشواذ ... وليس من المعقول أن يطلع الإنسان على كل شىء فى الوجود ... وحسبها أنها رويت عن بعض العلماء الأجلاء ، وأن الزمخشرى ذكرها منسوبة إلى صاحبها ، « ومن حفظ حجة على من لم يحفظ » ... ثم إن العلماء خرجوها تخريجاً بلاغياً مناسباً ، ولكن الحضرمى استغل عدم إلمام ابن سيرين بالقراءات وبالنحو ... فهجم عليه هجوماً عنيفاً ، ورماه بالكفر ، وليس بعد الكفر ذنب .

---

(١) الأمانة العلمية تقتضينا أن نذكر الفضل لصاحب الفضل . . فهذا النص الذى استشهدت به من كلام الألوسى . . استخرجه محقق كتاب الإنباه الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم ووضعه تعليقاً بالهامش رقم (٢) ص ١٠٧ من الجزء الثانى . فلزم التنبيه .

(٢) روح المعانى للألوسى ١٨٠/٧ — نقلا عن هامش إنباه الرواة ١٠٧/٢

ولست أدرى أكان الحضرمى يعرف هذه القراءة ... وطواها فى نفسه انتهازاً لموقف التغلب على خصمه الذى لا يجيد هذه البضاعة ... أم أنه لايعرفها ولم يسمع بها على الإطلاق ؟

أكبر الظن أنه لم يسمع بها من قبل ... ذلك أن القراءات الشاذة كثيرة متعددة وقد بلغت السبعين فى رأى بعض الباحثين ، ولم تكن قد جمعت فى كتاب أو كتب ليتمكن الحضرمى من الاطلاع عليها آنذاك .

أقول إن الحضرمى لم يسمع بهذه القراءة ... ليتسق موقفه مع الأمانة العلمية وهو خليق بالحضرمى ، كما أنه بأخلاق العلماء أشبه .

وهناك احتمال آخر ... وهو أنه سمع هذه القراءة ... ولكنها لاتتفق مع هواه ... أو مع مذهبه النحوى ... فرأى أن يعارضها كما كان يعارض الكثير من أقوال الشعراء من أمثال الفرزدق وغيره ... بالرغم مما لها من تخريج قوى أقره جهابذة العلماء وسيأتى كل ذلك بالتفصيل .

هو والنحو(١) :

لما كان عبد الله بن أبى إسحاق قمة شامخة فى النحو وبخاصة فى القياس والتعليل ... قالوا إنه أول من وضع النحو العربى ... نادى بذلك أستاذنا المغفور له إبراهيم مصطفى(٢) — كما أشار إليه بعض المستشرقين فى دائرة المعارف الإسلامية(٣) ، لكن الأستاذ المرحوم عبد الوهاب حمودة تصدى للرد على هذه الفكرة فى مجلة كلية الآداب(٤) ، وأثبت أن أبا الأسود الدؤلى

---

(١) اعتمدت فى هذا المبحث وما يليه على بحث لى مطبوع بعنوان (التيار القياسى فى المدرسة البصرية) وسأشير إليه كثيراً فيما بعد .

(٢) راجع مجلة كلية الآداب — الجزء الثانى من المجلد العاشر ، وانظر الدورة السادسة عشرة من مؤتمر المجمع اللغوى .

(٣) انظر ص ٣٠٨ من المجلد الأول .

(٤) عدد مايو سنة ١٩٥١ — الجزء الأول ص ١٣٣ فما بعدها .

هو أول من وضع النحو العربى ، واتهم زميله بالخطأ والسرقة من كتاب ضحى الإسلام دون أن يشير إليه[١] .

« وربما كانت رواية ابن سلام الجمحى هى السبب فى نسبة أولية وضع النحو إلى عبد الله بن أبى إسحاق ... يقول ابن سلام فى ترجمة الحضرمى : (كان أول من بعج النحو ومد القياس والعلل) ... ولكن كلمة (بعج) تفيد التوسيع والامتداد ولا تفيد الوضع والإنشاء ابتداء ... وفرق كبير بين من يضع النحو ابتداء وبين من يتوسع فيه ... ومن هنا كان ابن سلام فى تعبيره غاية فى الدقة على حين كان أستاذنا المرحوم إبراهيم مصطفى على النقيض[٢] .

ومما يؤسف له أن شيئاً من آثار الحضرمى لم يصل إلينا على الإطلاق .

الحضرمى زعيم التيار القياسى :

حينما صاحبت المدرسة البصرية ... وطالت صحبتى بها منذ نشأتها ... رأيت أنها تشتمل على تيارات ثلاثة ، كل تيار منها يمثل مدرسة مستقلة داخل المدرسة البصرية الأم ، وانتهيت فى بحثى إلى أن الحضرمى هو زعيم التيار القياسى فى المدرسة البصرية ، يشاركه فى ذلك تلميذه الوفى عيسى بن عمر الثقفى[٣] .

---

(١) راجع بحث (التيار القياسى فى المدرسة البصرية للدكتور أحمد مكى الأنصارى ص ٨) بتصرف .

(٢) المصدر السابق ص ٨ فما بعدها بتصرف .

(٣) راجع بحث (التيار القياسى فى المدرسة البصرية ، مستخرج من حوليات كلية الآداب جامعة القاهرة — المجلد الرابع والعشرون — الجزء الثانى — ديسمبر ١٩٦٢) ولنا كتاب فى هذا الموضوع بعنوان (التيارات الكبرى فى المدارس النحوية) تحت الطبع .

خصائص هذا التيار :

« أهم خصائصه (تجريد القياس) بمعنى أن أصحاب هذا التيار لا يهتمون بالآثار المسموعة عن العرب قدر اهتمامهم بالقياس ، فهم يجعلون القياس فى المرتبة الأولى ، ويعتمدون الأثر الذى يتفق معه ، فإذا ما اختلف القياس مع الأثر قدموا القياس على كل أثر ، مهما كان موثوقا به ، ولو كان من القرآن الكريم ... وترتب على هذا التجريد كثير من الظواهر مثل الطعن على العرب ، وتخطئ الشعراء ولو كانوا من الجاهليين ... ولما كان القياس أهم خصائص هذا التيار سميناه (التيار القياسى) للتفرقة بينه وبين التيارين الآخرين ،وهما (التيار المنهجى) و (التيار الخليلى)[1] » .

وهناك نصوص كثيرة تثبت أن الحضرمى « كان شديد التجريد للقياس[2] » ومن هنا جاء الطعن على العرب ،حتى قال قائلهم : « وكان عبد الله بن أبى إسحاق وعيسى بن عمر يطعنان على العرب[3] » وكذلك قال الزبيدى فى طبقاته[4] ، والقفطى فى إنباه الرواة[5] ، وابن سلام الجمحى فى طبقات فحول الشعراء[6] وقريب منه ما جاء عند السيوطى فى بغية الوعاة[7] .

---

(١) راجع بحث (التيار القياسى فى المدرسة البصرية) ـ المصدر السابق ص ٢٠ فما بعدها بتصرف يسير .

(٢) راجع مثلا نزهة الألباء ص ٢٢ ـ وتهذيب التهذيب للعسقلانى ١٤٨/٥ ـ ط أولى . وإنباه الرواة ١٠٤/٢ وطبقات فحول الشعراء ص ١٠ ط المحمودية . وضحى الإسلام ٢٧٩/٢ .

(٣) راجع نزهة الألباء لابن الانبارى ص ٢٣ فما بعدها .

(٤) طبقات النحويين واللغويين ص ٢٦ ط أولى .

(٥) ١٠٤/٢ فما بعدها .

(٦) ص ١٠ ط المحمودية .

(٧) ص ٢٨٢

ولدينا أمثلة كاشفة لهذا الطعن ذكرتها بالتفصيل فى بحث آخر مطبوع[١] وأكتفى هنا بالإشارة إليها إيثاراً للإيجاز :

من ذلك طعن الحضرمى والثقفى معاً على النابغة الذبيانى فى قوله :

فبت كأنى ساورتنى ضئيلة من الرقش فى أنيابها السم ناقع[٢]

حيث جاءت كلمة (ناقع) مرفوعة وكان حقها أن تكون منصوبة فى نظر الحضرمى وتلميذه عيسى بن عمر الثقفى ومن حذا حذوهما من النحويين ، ولهذا خطئوا النابغة الذبيانى مع أنه شاعر جاهلى ومن أصحاب المعلقات السبع ، بل إنه الحكم الفصل بين الشعراء فى الأسواق الأدبية الكبرى .

على أن توجيه الرفع فى كلمة (ناقع) ميسور مقبول عند القدامى والمحدثين على السواء[٣] ، وله نظائر متعددة فى الشعر العربى الفصيح[٤] ، وفى القرآن الكريم[٥] كذلك ، وهو المثل الأعلى فى الفصاحة والبيان .

ومن الأمثلة الكاشفة أيضاً طعن الحضرمى على الفرزدق فى قوله[٦] :

---

(١) هو بحث (التيار القياسى فى المدرسة البصرية ص ٢٢ فما بعدها)

(٢) راجع (التيار القياسى ص ٢٢) وانظر طبقات الزبيدى ص ٣٥ وطبقات ابن سلام ص ١٠ وكتاب (العربية) ليوهان فك ص ٤٧ فما بعدها .

(٣) انظر الكتاب لسيبويه ١/٢٦١ ط بولاق وانظر بحثنا (التيار القياسى ص ٢٣) فما بعدها .

(٤) راجع بحث (التيار القياسى ص٢٣ فما بعدها وقد جاء فيها شعر مماثل للمنخل الهذلى وابن مقبل .

(٥) مثل قوله تعالى : (قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة) برفع (خالصة) ونصبها ، وبهما قرىء — راجع كتاب سيبوية ١/٢٦٢ط بولاق وانظر بحث (التيار القياسى) ص ٢٤

(٦) انظ الموشح للمرزبانى ص ٩٩ وخزانة الأدب ١/١١٥ فما بعدها وطبقات الزبيدى ص ٢٦ وطبقات ابن سلام ص ١٦

مستقبلين شمال الشام تضربنا بحاصب كنديف القطن منثور
على عمائمنا يلقى ، وأرحلنا على زواحف تزجى مخها رير

فقال له ابن أبي إسحاق : أسأت يافرزدق ، إنما هو (رير) . . . ولكن يونس البصري وقف إلى جانب الفرزدق فأجاز قوله ، ووصفه بالحسن . . ولا غرابة في ذلك فيونس من (التيار المنهجي) وهو يغاير (التيارالقياسي) الذي يتزعمه الحضرمي[1] .

وهناك موقف آخر للحضرمي مع الفرزدق أيضاً حيث اعترض عليه حين رفع كلمه (مجلف) من قوله :

وعض زمان يابن مروان لم يدع من المال إلا مسحتا أو مجلف[2]

غير أن أبا عمرو بن العلاء — زعيم التيار المنهجي — قال للفرزدق : « أصبت وهو جائزعلى المعنى ، أي لم يبق سواه »[3] .

« وإن أردت المزيد من الأمثلة الكاشفة للطعن على العرب فإليك ملحمة أخرى من الملاحم[4] التي دارت بين الحضرمي والفرزدق أيضاً ، يقول ابن خلكان في حديثه عن الحضرمي : «وكان عبد الله كثيرا مايأخذ على الفرزدق الغلط في شعره ، فقال الفرزدق : والله لأهجونه ببيت يسير بين أهل الأدب ويتمثلون به ... فقال :

---

(١) راجع بحث (التيار القياسي) ص ٢٧ فما بعدها .

(٢) راجع المفضليات ص ١٩٥ ونقائض جرير والفرزدق ٥٤٦/٢ فما بعدها والموشح ص ١٠١ والخزانة ١١٥/١ فما بعدها . ونزهة الألباء ص٢٥ وطبقات فحول الشعراء ص ١٤ .

(٣) راجع بحثنا (التيار القياسي) ص ٤٠ فما بعدها بمراجعها .

(٤) اعتمدت في الملاحم المتعددة بين الحضرمي والفرزدق على بحث (التيار القياسي في المدرسة البصرية) وقد سبقت الإشارة إليه كثيرا .

فلو كان عبد الله مولى هجوته ولكن عبد الله مولى مواليآ (١)

وبالرغم من قسوة الهجاء فى هذا البيت فإن الحضرمى لم يأبه بذلك، وصرف همه إلى تعقب الفرزدق وتخطيئه نحوياً فى هذا البيت أيضاً - «فقال له لحنت، ينبغى أن تقول : مولى موالٍ»(٢) ويقول البغدادى: «لما بلغ هجو الفرزدق لعبد الله قال: قولوا للفرزدق لحنت فى هذا البيت أيضاً حيث حركت موالى فى الخفض» (٣).

الحضرمى من شيوخ يونس :

أبادر فأقول: إن رواية الزبيدى قاطعة فى سماع يونس من ابن أبى إسحاق حين سئل عن ذلك فقال (نعم) لقد سمعت، وإليك النص كما ورد فى طبقات النحويين واللغويين للزبيدى : «قال ابن سلام فقلت أنا ليونس : هل سمعت من ابن أبى إسحاق شيئاً ؟ قال (نعم)، قلت له : هل يقول أحدٌ (الصويق) يعنى (السويق) ؟ قال نعم : عمرو بن تميم تقولها، وما تريد إلى هذا ؟ عليك بباب من النحو يطرد وينقاس» (٤).

على أن رواية ابن سلام هذه جاءت أصرح فى طبقات الزبيدى منها فى طبقات فحول الشعراء (٥) وإن كانت كل منهما تثبت سماع يونس من ابن

---

(١) انظر هامش رقم (٢) ص ٣٦ من بحثنا (التيار القياسى) ففيه مراجع متعددة من بينها وفيات الأعيان ٥/٤٣٣ ط النهضة، والكامل لابن الأثير ٥/١٦٢ ط أولى والنجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ١/٣٠٣ ط دار الكتب.

(٢) بغية الوعاة ص ٢٨٢ .

(٣) خزانة الأدب ١/١١٥ فمابعدها، وتاريخ أبى الفداء ج١ ص٢١٩-٢٢٠ والكامل لابن الأثير ٥/١٦٢ ط أولى .

(٤) راجع طبقات النحويين واللغويين للزبيدى ص ٢٦ تحقيق الأستاذ محمد أبى الفضل إبراهيم .

(٥) انظر ص ١٥ ط دار المعارف — تحقيق الأستاذ محمود محمد شاكر .

أبى إسحاق ، غير أن حرف الجواب (نعم) جاء صريحاً فى طبقات الزبيدى فقطعت جهيزة قول كل خطيب .

ومن هنا يتبين لنا أن رواية الفهرست بعدم السماع[١] تحتاج إلى تصحيح أو تأويل لتتفق مع النصوص التى رواها يونس مباشرة من الحضرمى وإليك بعض النماذج :

(ا) قال المرزبانى : « حدثنى إبراهيم بن شهاب ، قال حدثنا الفضل بن الحباب ، عن محمد بن سلام قال : أخبرنى يونس أن عبد الله بن أبى إسحاق قال للفرزدق ... أسأت ... »[٢] .

(ب) إن يونس سأل الحضرمى عن (السويق) هل جاء بالصاد إلى جانب السين ؟ ذلك الذى رواه الزبيدى عن ابن سلام[٣] . كما جاء فى طبقات فحول الشعراء[٤] .

(ج) وأصرح من هذا وذاك مارواه الزجاجى فى مجالس العلماء[٥] من

---

(١) جاء فى الفهرست لابن النديم ص ٦٣ أن يونس قال : « لم أسمع من عبد الله بن أبى إسحاق ، ولكنى سألته : هل يعلم أحداً يقول الصويق مكان السويق ؟ فقال : هى لغة عمرو بن تميم » بتعديل يسير حيث جاءت كلمة (أحدا) فى هذه الطبعة المحرفة (أحد) بدون ألف مع أنها مفعول به منصوب .

(٢) راجع الموشح فى مآخذ العلماء على الشعراء للمرزبانى ص ٩٩ ط السلفية وانظر ص ٢٦ فما بعدها من بحثنا (التيار القياسى فى المدرسة البصرية) ففيهما اعتراض الحضرمى على قول الفرزدق (مستقبلين شمال الشام تضربنا ..) .

(٣) طبقات النحويين واللغويين ص ٢٦ .

(٤) انظر ص ١٥ ط دار المعارف .

(٥) راجع مجالس العلماء لأبى القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجى ص ٢٤٧ بعنوان (مجلس يونس مع عبد الله بن أبى إسحاق) تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون طبع الكويت سنه ١٩٦٢ .

أن يونس سأل الحضرمى عن قراءته فى قوله تعالى : (فإذا برق البصر) ... وإليك تفصيل ما جاء فى هذا الخبر ... قال الزجاجى :

« حدثنا محمد بن الحسن البُلخىّ : قال حدثنا أبو حاتم سهل بن محمد ، قال حدثنا أبو عبيدة عن يونس : قال مضيت إلى عبد الله بن أبى إسحاق الحضرمى فقلت له : كيف تقرأ (فإذا برق البصر) ؟ فقال : فإذا بَرَق البصر، وفتح الراء ، فقمت من عنده إلى أبى عمرو فقال : من أين بك ؟ قلت : من عند عبد الله بن أبى إسحاق الحضرمى، سألته كيف تقرأ : (فإذا برق البصر) فقال: فإذا برَق البصر، بفتح الراء ، فقال أبو عمرو : وأين يراد به ! يقال: برَقت السماء وبرق النبت وبرقت الأرض (١) ، فأما البصر فبرِق (٢) ، كذا سمعنا »(٣) .

تعقيب : فى هذا النص دلالات متعددة ، منها أن يونس سمع مباشرة من شيخيه الحضرمى وأبى عمرو بن العلاء ـ ومنها أن أبا عمرو ينكر أو كأنه ينكر قراءة عبد الله بن أبى إسحاق ، بفتح الراء فى (برق) ... لكنه كان مهذباً فى إنكاره حيث روى ما سمع من فتح الراء إذا ما أسند الفعل إلى غير البصر مثل السماء والنبت والأرض ... أما إذا أسند إلى البصر فإنه يكون بكسر الراء فقط فى نظر أبى عمرو بن العلاء .

والآن آن لنا أن نعرف وجه الحق فى هذه القراءة ، أهى بفتح الراء أم بالكسر ؟ وهل سمع من العرب شيء من هذا وذاك ؟ وهل هناك قراءة أخرى بإبدال اللام من الراء ؟ الخ . . الخ . .

---

(١) بفتح الراء فيها جميعا .

(٢) بكسر الراء .

(٣) مجالس العلماء ص ٢٤٧ ط الكويت .

والجواب أن الخلاف الذى حدث بين الحضرمى وأبى عمرو ... حدث نظيره بين شيخين آخرين من شيوخ ذلك العصر ... هما : هارون والخليل ابن أحمد . استمع إلى الزجاجى يقول: «حدثنا محمد بن أبى سعيد عن الرومى فقال : بلغنى عن الخليل بن أحمد وهارون أنهما اجتمعا ، فقال أحدهما : (برِق البصر) وقال الآخر : (برَق البصر)[1] ، فطلع عليهما أعرابى من بنى فزارة فسألاه ، فقال : لا أقول شيئاً مما قلتما ، ولكنى أقول : (بلق البصر)[2] . وقد سمعتها باليمن من غير واحد ، يعنى (فُتح البصر) يقولون (بلق الباب إذا فُتح) وقرأ أبو السمال العدوى : (فإذا بلق البصر) باللام بدلا من الراء »[3] .

وقد حسم الفراء موضع الخلاف بين الحضرمى وأبى عمرو . فأجازهما معاً ولكنه رجح قراءة أبى عمرو استناداً إلى السماع اللغوى فقال : « القراءتان لغتان فيهما والكسر أكثر وأجود »[4] .

---

(١) أحدهما بفتح الراء والآخر بالكسر .

(٢) باللام بدل الراء .

(٣) راجع مجالس العلماء ص ١٩٢ فما بعدها ... وفيها أن العرب تبدل اللام من الراء فى كثير من كلامهم فيقولون متاع رثيد ولثيد ، وقد رثدته ولثدته أى نضدته — ويقال ردم ثوبه ولدم أى رقعه — وهدل الحمام وهدر هديلا وهديرا — ويقال للظلمة طرمساء وطلمساء ويقال للدرع نثرة ونثلة — ويقال جلمه وجرمه إذا قطعه — ويقال سهم أملط وأمرط إذا لم يكن عليه ريش ... ومما جاء بالإبدال قراءة بعضهم (فانفلق فكان كل فلق) باللام بدل الراء إتباعا لقوله فانفلق .. » انتهى بتصرف .

(٤) راجع مخطوطة (البرهان فى رواية الدورى عن أبى عمرو بن العلاء تأليف الشيخ موسى بن قاسم المغربى ص ٢٨٣) وهى مخطوطة نادرة بمكتبة فضيلة المرحوم الشيخ محمد الأمين الضرير — من أجلاء علماء السودان ، وقد تكرم أنجاله البررة بإطلاعى عليها بأم درمان .

وجاء صاحب اللسان فوضح رأى الفراء خير توضيح حين قال: « وفى التنزيل ـ فإذا برِق البصر وبرَق ـ قرىء بهما جميعاً ـ قال الفراء : قرأ عاصم وأهل المدينة برِق بكسر الراء ، وقرأها نافع وحده برَق بفتح الراء من البريق ، أى شخص ، ومن قرأ برق فمعناه فزع ، وأنشد قول طرفة :

فنفسك فانع ولا تنعنى ودواِ الكلوم ولا تبرِق

يقول : لا تفزع من هول الجراح التى بك »[1] .

ويؤخذ من هذا النص أن قراءة الكسر معناها الفزع ... وأن قراءة الفتح معناها الشخوص .

ويؤيد المعنى الأول ما جاء فى مخطوطة (البرهان فى رواية الدورى عن أبى عمرو بن العلاء أنه « قرأ فإذا (برق) بكسر الراء ، وحجته جعله بمعنى (تحير فزعاً) وأصله من برق الرجل إذا نظر إلى البرق فدهش بصره ، كما يقال : أسِد وبقِر إذا رأى أسداً وبقراً كثيراً فتحير من ذلك »[2] .

ويؤيد المعنيين معاً ماجاء فى اللسان حيث قال: « وبرق بصره ... دهش فلم يبصر . وقيل تحير فلم يطرف ، قال ذو الرمة :

ولو أن لقمان الحكيم تعرضت لعينيه مىّ سافراً كاد يبرق

... (ثم قال) ومن قرأ (برق) يقول فتح عينيه من الفزع ... ورجل بروق جبان ثعلب ... وفى حديث ابن عباس رضى الله عنهما : «لكل داخل برقة» أى دهشة، والبَرق الدهش ... وفى حديث الدعاء : إذا برقت الأبصار يجوز كسر الراء وفتحها، فالكسر بمعنى الحيرة ، والفتح بمعنى البريق اللموع

---

(١) لسان العرب لابن منظور ـ مادة (برق) .

(٢) انظر ص ٢٨٣ من مخطوطة البرهان ـ هذا والفعل فى النص بكسر العين (أسد وبقر) .

— وفى حديث وحشى : فاحتمله حتى إذا برقت قدماه رمى به ، أى ضعفتا — وهو من قولهم : برق بصره أى ضعف[1] » .

ذلك مبلغ الحديث فى النص الذى سمعه يونس من شيخيه الجليلين : الحضرمى وأبى عمرو بن العلاء . وفيه دلالة قاطعة على السماع المباشر من الشيخين ، والذى يعنينا هنا هو سماع يونس من عبد الله بن أبى إسحاق الحضرمى بالذات لأن سماعه من أبى عمرو ليس فيه شك أو خلاف ـ وكان ينبغى أن يكون سماعه من الحضرمى كذلك ... غير أن بعض الغبار أثير حول هذا السماع استناداً إلى مقالة ابن النديم فى الفهرست ... وقد أتينا بما يدحض هذا الزعم ... ويقشع الغبار ، ... ويقطع الشك باليقين .

هذا إلى أن يونس كان يحتج برأى شيخه الحضرمى ، ويستند إليه حينما سئل عن مسألة نحوية فى باب التحذير . . . استمع إلى ابن سلام يقول : « قلت ليونس : (إياك زيداً) تجيزها ؟ قال : أجاز ابن أبى إسحاق للفضل بن عبد الرحمن :

فإياك إياك المراء فإنه ‌ ‌ ‌ إلى الشر دعاء وللشر جالب »[2]

إلى غير ذلك من النصوص العديدة التى تشير إلى الصلة العلمية بين الرجلين وإن لم تكن فى قوة النص الصريح الذى يثبت السماع مباشرة كما سلف به البيان .

ازدواج الولاء :

لم يكن عبد الله مولى فحسب ، وإنما كان مولى الموالى ، ولهذا استغل الفرزدق هذا الولاء المزدوج فهجاه بالبيت المشهور[3] يقول بعض المؤرخين إنه

---

(١) لسان العرب لابن منظور — مادة (برق) بتصرف وتلخيص .

(٢) راجع طبقات النحويين الزبيدى ص ٥٠ تحقيق الأستاذ محمد أبى الفضل إبراهيم .

(٣) فلو كان عبد الله مولى هجوته ... ولكن عبد الله مولى مواليا .

كان مولى حضرموت[١] ولكن الأكثرين يقولون: إنه مولى آل الحضرمى[٢] وهم : حلفاء بنى عبد شمس بن عبد مناف[٣] ومن هنا جاء ازدواج الولاء ، فالحليف عند العرب مولى[٤] ، ولهم على ذلك شواهد[٥] ، من ذلك قول الراعى :

جزى الله مولانا (غنيا) ملامة ... شرار الموالى عامر فى العزائم[٦]

وفاته :

توفى سنة سبع عشرة ومائة[٧] ويرى بعض المؤرخين أنه مات سنة سبع وعشرين ومائة[٨] ، وصلى عليه بلال بن أبى بردة وهو أمير البصرة[٩] ، واتفق أن مات فى نفس اليوم أحد الفقهاء ، فانقسم الناس بين تشييع النحوىّ والفقيه وفى هذا يقول الرواة : « مات عبدالله بن أبى إسحاق ، وقتادة بن دعامة فى يوم واحد ، فشيّع الأدباء والأشراف جنازة ابن أبى إسحاق ، وشيع النساك والفقهاء جنازة قتادة بن دعامة »[١٠] .

---

(١) راجع إنباه الرواة للقفطى ٢/١٠٥ .

(٢) انظر أخبار النحويين البصريين للسيرافى ص ٢١ — ٢٢ والوفيات لابن خلكان ٥/٤٣٥ وإنباه الرواة ٢/١٠٥ وبغية الوعاة ص ٢٨٢ .

(٣) الوفيات ٥/٤٣٥ والبغية ٢٨٢ وإنباه الرواة ٢/١٠٥ وأخبار النحويين البصريين ٢١ — ٢٢ .

(٤) راجع الوفيات ٥/٤٣٥ ، والسيرافى ٢١ — ٢٢

(٥) القفطى فى الوفيات ٥/٤٣٥

(٦) راجع أخبار النحويين البصريين للسيرافى ٢١ — ٢٢

(٧) إنباه الرواة ٢/١٠٧ ودائرة المعارف الإسلامية ص٤٢ وغيرهما كثير .

(٨) بغية الوعاة ص ٢٨٢ .

(٩) إنباه الرواة ٢/١٠٧ .

(١٠) المصدر السابق ٢/١٠٨ .

توفى الحضرمى » وهو ابن ثمان وثمانين سنة »[1] ومن الطريف أن جماعة من نسله ورثوا هذه المدة من السنين فكانوا يموتون فى الثامنة والثمانين ، فإذا بلغ أحدهم هذه السن توقع الموت . فوافاه الأجل ، كأنما كان معه على ميعاد ، من هؤلاء ابنه « زيد بن عبد الله بن أبى إسحاق ، مات وهو ابن ثمان وثمانين سنة »[2] ، ومنهم حفيده ، القارىء المشهور : « يعقوب بن إسحاق ابن زيد بن عبدالله بن أبى إسحاق إمام البصرة فى القراءة - مات وهو ابن ثمان وثمانين سنة »[3] فرحمة الله على الجميع ؟

ثانياً : تلاميذه :

(١) أبو زيد الأنصارى[4] :

روى ابن خلكان عن أبى زيد الأنصارى أنه قال « جلست إلى يونس

---

(١) راجع البغية ص٢٨٢ ، وإنباه الرواة ٢/١٠٧

(٢) أنظر إنباه الرواة ٢/١٠٧ فما بعدها .

(٣) المصدر السابق ٢/١٠٨

(٤) راجع ترجمته فى البغية ص ٢٥٤ فما بعدها الطبعة الأولى ، وإنباه الرواة على أنباء النحاه للقفطى ٢/٣٠ تحقيق الأستاذ محمد أبى الفضل إبراهيم ، وفى هامشها يقول الأستاذ المحقق : « ترجمته فى إشارة التعيين الورقة ١٩ — ٢٠ وأخبار النحويين البصريين ٥٢ — ٥٧ ، وبغية الوعاة ٢٥٤ — ٢٥٥ ، وتاريخ الإسلام للذهبى (وفيات سنة ٢١٥) وتاريخ بغداد ٩ : ٧٧ — ٨٠ وتاريخ أبى الفداء ٢/٣٠ وتاريخ ابن كثير ١٠ : ٢٦٩ — ٢٧٠ وتلخيص ابن مكتوم ٧٦ ، وتقريب التهذيب ٩٠ وتهذيب التهذيب ٤ : ٣ — ٥ ، وتهذيب اللغة للأزهرى ١ : ٥ - ٦ وخلاصة تذهيب الكمال ١١٥ ، وابن خلكان ١ : ٢٠٧ — ٢٠٨ وشذرات الذهب ٢ : ٣٤ — ٣٥ ، وطبقات الزبيدى ١١٦ — ١١٧ ، وطبقات ابن قاضى شهبة ١ : ٣٤٩ — ٣٥١ وطبقات القراء لابن الجزرى ١ : ٣٠٥ وطبقات =

ابن حبيب عشر سنين ، وجلس إليه قبلى خلف الأحمر عشرين سنة »[1] وقريب منه ماجاء فى مرآة الجنان [2] ، فهو تلميذ[3] ليونس . ضالع فى هذه التلمذة إلى عشر سنين .

وفى نسبه يقول السيوطى : هو « سعيد بن أوس بن ثابت بن بشير ابن قيس بن زيد بن النعمان بن مالك بن ثعلبه بن كعب بن الخزرج »[4] .

وذكر ابن القدّاح هذه السلسلة النسبية نفسها ولم تختلف عن رواية السيوطى إلا فى الجد الثانى حيث جاء فيها اسم (زيد)[5] بدلا من اسم (بشير) . وبالرغم من هذا الاتفاق عقب القفطى على رواية ابن القداح فقال :

« هكذا نسب أبى زيد فى هذه الرواية ، وفيه إخلال ، والصواب ماذكره محمد بن سعيد ، قال : « أخبرنا أبو زيد النحوى . واسمه سعيد بن أوس ابن ثابت بن بشير بن أبى زيد ، [قال] ثابت بن زيد بن قيس [هو جدّى،

= المفسرين للداودى ٧٦ ب — ١٧٧ ، وعيون التواريخ (وفيات سنة ٢١٥) والفهرست ٥٤ — ٥٥ ، وكشف الظنون ١٣٨٣ ، ١٤٠٩ ، ١٤٤٧ ، ١٤٥٤ ، ١٤٥٩ ، ١٤٦٥ ، ١٤٦٦ ، ١٤٧٢ ، ومراتب النحويين ٦٧ - ٧٠ ومرآة الجنان ٢ : ٥٨ — ٥٩ ، والمزهر ٢ : ٤٠٢ ، ٤١٩ ، ٤٦١ ، ومسالك الابصار ج ٤ مجلد ٢ : ٢٢٤ — ٢٢٥ ، والمعارف ٢٣٧ ، ومعجم الأدباء ١١ : ٢١٢ - ٢١٧ والنجوم الزاهرة ٢/٢١٠ ونزهة الألباء ١٧٣ - ١٧٩ .

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان ٦/٢٤٢ .

(٢) انظر مرآة الجنان لليافعى ج ١ ص ٣٨٨ فما بعدها طبع حيدر أباد - وقد خلت من كلمة « قبلى » التى وردت فى رواية ابن خلكان .

(٣) راجع مثلا معجم الأدباء ٢٠/٦٤ والوفيات ٦/٢٤٢ وشذرات الذهب ١/٣٠١ .

(٤) بغية الوعاة ص ٢٥٤ .

(٥) راجع إنباه الرواة ٢/٣١ .

وقد شهد أحدا] »[1] كما شهد « المشاهد بعدها ، وهو أحد الستة الذين جمعوا القرآن فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم »[2] ، « وأحد العشرة الذين بعث عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ مع أبى موسى الأشعرى إلى البصرة »[3] .

وكان ثقة ثبتاً[4] ، قال السيرافى : « كان أبو زيد يقول : كلما قال سيبويه أخبرنى الثقة فأنا أخبرته به »[5] ـ « روى له أبو داود والترمذى »[6] ، وفيه يقول الإمام السيوطى : « أسندنا حديثه فى الطبقات الكبرى ، وذكره فى جمع الجوامع »[7] .

« حدث عن عمرو بن عبيد وأبى عمرو بن العلاء »[8] ، ورؤبة ابن العجاج[9] ومن تلاميذه : « أبو عبيد القاسم بن سلام ، ومحمد بن سعد الكاتب ، وأبو حاتم السجستانى ، وأبو زيد عمر بن شعبة وأبو حاتم الرازى »[10] لكن رواية السيوطى جاء بها شيء من الخلط فيما أحسب ، حيث جعل كلا من « أبى حاتم السجستانى وأبى عبيد القاسم بن سلام »[11] ممن روى عنهم

---

(١) راجع إنباه الرواة ٢/٣١

(٢) البغية ١٥٤ وإنباه الرواة ٢/٣١ .

(٣) إنباه الرواة ٢/٣١ .

(٤) إنباه الرواة ٢/٣١ وفيها يقول المحقق : « الثبت بالتحريك ، وقد يسكن : الثقة الحجة ، وجمعه أثبات » .

(٥) بغية الوعاة ص ٢٥٤ .

(٦) المصدر السابق .

(٧) نفس المصدر ص ٢٥٥ .

(٨) إنباه الرواة ٢/٣٠ .

(٩) البغية ص ٢٥٤ .

(١٠) إنباة الرواة ٢/٣٠ فما بعدها .

(١١) راجع البغية ص ٢٥٤ .

أبوزيد الأنصاري. فكأنهما شيخان له في حين أنهما في الحقيقة تلميذان، ومن هنا جاء الخلط .

وكان من أهل البصرة[١]، عاش فيها ومات بها[٢] . ومع ذلك كان مبرأً من العصبية المذهبية ، يعرف الفضل لصاحب الفضل ، أياً كان مذهبه وأياً كانت بلدته ، ولهذا خالف البصريين جميعاً فأخذ عن الكوفيين . وفي هذا يقول الرواة : « ولم يأخذ أحد من علماء البصريين عن الكوفيين إلا أبا زيد، فإنه روى عن المفضل في أول كتابه (النوادر) ، قال: أنشدني المفضل لضمرة ابن ضمرة :

بكرتْ تلومك بعدوهْنٍ في الندى ... بَسلٌ عليكِ ملامتي وعتابي»[٣]

وجاء في النوادر بعد هذا البيت قوله :

« أأصرُّها وبُنيُّ عمي ساغب ... فكفاك من إبةٍ على وعاب

قال أبو الحسن : وزاد الأصمعي :

أرأيت إن صرختْ بليل هامتي ... وخرجتُ منها عارياً أثوابي

رجعت الرواية إلى أبي زيد :

هل تَخمشنْ إبلي عليَّ وجوهها ... أم تعصبنَّ رؤوسَها بسلاب »[٤]

---

(١) إنباه الرواة ٢/٣١ .

(٢) البغية ص ٢٥٥ .

(٣) إنباه الرواة ٢/٣٤ .

(٤) النوادر في اللغة ص٢ طبع بيروت ، ومما جاء فيها شرحاً لبعض الكلمات اللغوية قوله : « بكرت أي عجلت ، ولم يرد بكور الغدو ، ومنه باكورة الرطب والفاكهة للشيء المتعجل منه ، وتقول : أنا أبكر العشية فآتيك أي أعجل ذلك وأسرعه ولم يرد الغدو ألا تراه يقول (بعد وهن) أي بعد نومة ... بسل عليك أي حرام عليك وكذلك قول زهير :

بلاد بهـا نادمتهم وألفتهم ... فإن تُقويا منهم فإنهمـا بَسـْلُ =

تعقيب : لعلك تلحظ أن كتاب (النوادر) المطبوع فى بيروت ليس كله خالصاً لأبى زيد ، لما ترى فيه من أقوال وروايات لأشخاص عديدين بعد أبى زيد ، منهم على سبيل المثال : أحمد بن يحيى ثعلب ، فقد ذكر أكثر من مرة [1] ، وغيره كثير ، ولعل السر فى ذلك أن الراوى حينما جمع كتاب النوادر لأبى زيد أراد أن يشرحه بأقوال الآخرين ، فاختلط الأصل بالشرح ، ومن الأشخاص الذين ترددت أسماؤهم فى هذا الكتاب (أبو الحسن) والمراد به (على بن سليمان الأخفش) وكذلك تردد اسم أبى حاتم السجستانى ، وهما من رواة الكتاب كما جاء فى أوله حيث يقول : « أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن أحمد بن بسام ، قال : أخبرنا أبو الحسن على بن سليمان الأخفش قال : أخبرنا أبو العباس محمد بن يزيد الأزدى ، قال : أخبرنى التوزى ، وأبو حاتم السجستانى عن أبى زيد ، قال : وأخبرنى أبو سعيد الحسن بن الحسين البصرى المعروف بالسكرى ، عن الرياشى وأبى حاتم

= والبسل : الحلال (أيضا) وهذا الحرف من الأضداد ، قال عبد الله بن همام :

زيادتنا نعمان لا تحرمننا ... تق الله فينا والكتاب الذى تتلو

أيثبت ما زدتم وتلغى زيادتى ... دمى إن أسيغت هذه لكم بسل

أى دمى حلال لكم إن أجيزت هذه ... ـ وقال أبو حاتم : هى بسل ، وهما بسل ، وهن بسل ، والواحد والاثنان والثلاثة ، والذكر والأنثى فيه سواء ، كما يقال : رجل عدل وامرأة عدل ، ورجلان عدل وامرأتان عدل ، وقوم عدل .

يقول الشاعر لامرأته التى تلومه على الكرم : لا أصر إبلى وابن عمى جائع حتى أرويه ، فحسبك من هذا الخزى والعار ـ (والإبة) معناها الخزى والاستحياء والسلاب : عصائب سود ، يقال امرأة مسلبة إذا لبست السواد ... الخ » انتهى بتصرف كبير من ص ٢ و ٣ و ٤ .

(١) راجع مثلا ص ٦ وص ٦٥ من (النوادر فى اللغة) ط بيروت .

عن أبي زيد ، قال أبو سعيد: هذا كتاب أبي زيد سعيد بن أوس بن ثابت »
... إلخ[١] .

وقد اشتملت النوادر على شعر ورجز ولغويات ، واختلفت الروايات في نسبتها ، قال أبو حاتم : « قال لي أبو زيد : ما كان فيه من شعر القصيد فهو سماعي من المفضل بن محمد الضبي ، وما كان من اللغات وأبواب الرجز فذلك سماعي من العرب - قال : وأخبرني أبو العباس عن التوزي : أن أبا زيد قال : ما كان فيه من رجز فهو سماعي من المفضل ، وما كان فيه من قصيد أو لغات فهو سماعي من العرب »[٢] .

وكان الأصمعي يقدره كل التقدير ، يقول المازني : « رأيت الأصمعي وقد جاء إلى حلقة أبي زيد فقبل رأسه ، وجلس بين يديه ، وقال : أنت سيدنا ورئيسنا منذ خمسين سنة »[٣] .

كان إماما في النحو واللغة[٤]، غير أنه « غلبت عليه اللغة والنوادر والغريب »[٥] ولهذا قال المؤرخون : « كان الأصمعي يحفظ ثلث اللغة ، وأبو زيد ثلثي اللغة ، والخليل بن أحمد نصف اللغة . . . » ففضلوه في اللغة على الأصمعي وعلى الخليل بن أحمد - صحيح أن مثل هذه الأقوال لا يعتد بها

---

(١) انظر ص ١ من النوادر .

(٢) المصدر السابق ص١ و ص ٢ .

(٣) بغية الوعاة للسيوطي ص ٢٥٥ وانظر إنباه الرواة ٣٢/٢ حيث جاء فيها : « هذا عالمنا ومعلمنا منذ عشر سنين » - وفي هامشها كتب المحقق يقول : « في ابن خلكان : أنت رئيسنا وسيدنا منذ خمسين سنة » - وفي نزهة الألباء : هذا عالمنا ومعلمنا منذ عشرين سنة » .

(٤) راجع البغية ص ٢٥٤ وإنباه الرواة ٣٠/٢ .

(٥) البغية ص ٢٥٤ .

فى مجال التمحيص ، لما فيها من مبالغة وتهويل ، كما أنها خالية من الإحصاء الدقيق . . . لكنها لا تخلو من دلالة على أية حال تشير إلى علمه الغزير ، وآية ذلك ما تراه مبثوثاً فى كتب اللغة منسوباً إلى أبى زيد الأنصارى ، بالإضافة إلى ما جاء فى كتابه (النوادر فى اللغة) وفيه يقول أحد المعاصرين : « وهو من عيون كتب القدماء ، ومن أوثق المراجع التى يرجع إليها الفصحاء . . . ولقد سرّحت النظر فيه فوجدته مما تبيع العذراءُ عِقدها لتشتريه ، ويقتصد الأديب فى قوته ليقتنيه »[1].

ولهذا شهد له القدماء والمحدثون على السواء ، فقال قائلهم : « كان كثير السماع من العرب ، وقال أبو زيد : سألنى الحكم بن قنبر عن (تعاهدت ضيعتى) فقلت : (تعهدت) فقال : لا ـ وكان عنده ستة من الأعراب الفصحاء ـ فقلت: اسألهم فسألهم ، فكلٌّ قال : (تعهدت) فقال : يا أبا زيد، علمٌ كنتَ سببه ، أو كلاماً نحو هذا »[2].

* * *

أما النحو فكان عالماً[3] فيه ، كما كان إماما[4]، غير أنه لم يبلغ مبلغ أستاذه يونس ، ولم يكن مثل سيبويه والخليل ، ولكنه كان أعلم من الأصمعى وأبى عبيدة ، استمع إلى القفطى يقول فى أبى زيد : « وكان عالما بالنحو ، ولم يكن مثل سيبويه والخليل ، وكان يونس أعلم منه بالنحو ، وكان مثله فى اللغات ، وكان أبو زيد أعلم من الأصمعى وأبى عبيدة بالنحو ، وكان يقال له : أبو زيد النحوى ، وله كتاب فى تخفيف الهمز على مذهب النحويين ،

---

(١) انظر ص (د) من تقدمة كتاب النوادر ـ طبع بيروت .
(٢) إنباه الرواة ٢/ ٣٤
(٣) المصدر السابق ٢/٣٣
(٤) البغية ص ٢٥٤ .

وفى كتبه المصنفة فى اللغة وشواهد النحو عن العرب ماليس لغيره »[١] .

وكان له اعتراض فى النحو على الإمام أبى حنيفة رضى الله عنه ، وفى هذا يحدث عن نفسه فيقول : « لقيت أبا حنيفة فحدثنى بحديث فيه « يدخل الجنة قوم حفاة عراة مُنتنين قد أمحشتهم النار » فقلت له : (منتنون قد مَحَشَتْهم النار) ، فقال : ممن أنت ؟ قلت : من أهل البصرة ، قال : كل أصحابك مثلك ؟ قلت : أنا أخسهم حظاً فى العلم ، فقال : طوبى لقوم تكون أخسهم »[٢].

تعقيب :

ورب قائل يقول : إن هذه الرواية من المفتريات التى نسبت إلى الإمام أبى حنيفة على لسان هذا العالم الثقة ، إيغالا فى الحط من قيمة الإمام الأعظم، نتيجة للعصبية المذهبية بين الأتباع . . . لكنها على أية حال لاتخلو من دلالة على علم أبى زيد ، وتواضعه الجم حين جعل نفسه أقل أهل البصرة حظاً من العلم .

ومن آرائه الجريئة فى النحو إعراب (جوار) وأمثالها إعراب الممنوع من الصرف ، فوافق الثقفى فى ذلك[٣].

ومن أخباره أنه قال : « أتيت بغداد حين قام المهدى ، فوافاه العلماء من كل بلدة بأنواع العلوم ، فلم أر رجلا أفرسَ ببيت شعر من خلف ولا عالما أبذل لعلمه من يونس »[٤] وفيه دلالة ضمنية على سماعه من شيخه يونس ، إذ أن الحكم على الشىء فرع عن تصوره .

---

(١) إنباه الرواة ٢/٣٣

(٢) المصدر السابق .

(٣) راجع شرح الرضى على الكافية ١/٥٨

(٤) نفس المصدر ٢/٣٥ .

ومن صلات أبي زيد بعلماء الحديث الشريف . . . ما رواه المؤرخون من لقائه بإمام من أئمة الحديث ، هو شعبة بن الحجاج[1]، وفى هذا يقول روح بن عبادة : « كنا عند شعبة فضجر من الحديث فرمى بطرفه ، فرأى سعيد بن أوس فى أخريات الناس ، فقال : يا أبا زيد :

استعجمت[2] دارميّ ما تكلمنا والدار لو كلمتنا ذات أخبار

إلىّ أبا زيد ، فجاءه ، فجعلا يتناشدان الأشعار ، فقال بعض أصحاب الحديث : يا أبا بسطام : نقطع إليك ظهور الإبل لنسمع منك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتدعنا وتقبل على الأشعار ! قال : فرأيت شعبة قد غضب غضباً شديداً ، ثم قال : ياهؤلاء : أنا أعلم بالأصلح لى ، أنا والله الذى لا إله إلا هو فى هذا أسلم منى فى ذاك ! »[3] .

وتأويل هذه المقالة ـ فى نظرى ـ أن شعبة ـ رضى الله عنه وأرضاه ـ خشى على نفسه الخطأ فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما أخذ منه الجهد كل مأخذ ، حتى بلغ به الضجر من شدة التعب ، وقد جاء ذلك صريحاً فى النص حين قال : (فضجر) . . . ولهذا آثر السلامة ، فأمسك

---

(١) هو شعبة بن الحجاج بن الورد العتكى مولاهم أبو بسطام نزيل البصرة ، قال ابن المدينى : له نحو ألفى حديث ، وقال أحمد : شعبة أمة وحده ، وقال ابن معين : إمام المتقين ، مات سنة ١٦٠ ـ خلاصة تذهيب الكمال ص ١٤٠ (نقلا عن هامش ص ٣٢ جـ ٢ من إنباه الرواة تحقيق الأستاذ محمد أبى الفضل إبراهيم)

(٢) استعجمت : عيت عن الجواب ، والبيت من قصيدة تنسب إلى النابغة الذبيانى ، مذكورة فى جمهرة أشعار العرب ص ٧٧ ، ومطلعها :

عوجوا فحيوا لنعم دمنة الدار ماذا تحيون من نؤى وأحجار

أنظر إنباه الرواه جـ ٢ ص ٣٢ بالهامش تحقيق الأستاذ محمد أبى الفضل إبراهيم .

(٣) راجع إنباه الرواة ٢/٣٢ فما بعدها .

عن رواية الحديث ، وأقبل على أبي زيد يناشده الأشعار ، وغني عن البيان أن نقول : الخطأ في الأشعار أسلم من الخطأ في الحديث الشريف ، ولهذا أشار شعبة في قوله : (أنا . . . في هذا أسلم مني في ذاك) .

ذلك هو تأويل المقالة في نظري . . . وإلا فقل لي بربك كيف تفسر موقف شعبة وهو إمام تقي ورع من كبار أئمة الحديث ، كما أنه « إمام المتقين »[1] فيما يرويه ابن معين ؟

صحيح أن بعض رجال الحديث لم يكونوا من الورع بمكان، ولكن شعبة كان مشهوداً له بذلك ، فينبغي أن نفسر قوله بما يتفق مع حاله من التقوى والصلاح .

ومن طرائف أبي زيد الأنصاري مع أصحاب الحديث أنه كان يخشى على متاعه حين يغشون مجلسه مخافة أن يسرقوه كما سرقوا نعله من قبل ، وفي هذا يحدثنا الرواة فيقولون : « سرق أصحاب الحديث نعل أبي زيد ، فكان إذا جاء أصحاب الشعر والعربية والأخبار رمى بثيابه ولم يتفقدها ، وإذا جاء أصحاب الحديث جمعها كلها ، وجعلها بين يديه ، وقال: ضمّ ياضمام ، واحذر لا تنام »[2]

ومن طرائفه العامة ما كان بينه وبين أحد القصابين ، استمع إليه حين يقول : « وقفت بباب سليمان بن أبي العاص الثقفي على قصاب ، وقد أخرج بطنين سمينين موفورين ، فعلقهما ، فقلت : بكم البطنان ؟ فقال : بمصفعان يامضرطان . قال (أبو زيد) فغطيت رأسي وفررت ، لئلا يسمع الناس فيضحكوا مني »[3].

---

(١) إنباه الرواة هامش ص ٣٢ جـ ٢ .
(٢) إنباه الرواة ٢/٣٣
(٣) المصدر السابق ٢/٣٢

وفى هذه الحادثة أكثر من دلالة . . . فيها أن أبا زيد كان يحرص على النطق باللغة العربية السليمة ، ولا غرابة فى ذلك فهو من أئمة النحو كما سلف به البيان ـ وفيها أن بعض العامة من الناس كانوا يضيقون بالذين يتمسكون بالقواعد النحوية فى ذلك الحين . . . وهنا موضع الغرابة إلى حد ما . . . فكيف يضيقون بالنطق السليم فى ذلك العصر المتقدم ! وماذا يكون الحال فى عصرنا هذا !

لو كان أبو زيد تقعر فى حديثه لالتمسنا العذر للقصاب ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث من أبى زيد . . . وكل الذى حدث أنه جاء بكلمة (البطنان) مرفوعة (بالألف) على مايقتضيه الإعراب ، ولو نطق بها كما تنطق العامة (بالياء) . . . لما لقى من القصاب مثل هذا الرد الوقح . . . وفرق كبير بين موقف أبى زيد هذا . . . وبين موقف عيسى بن عمر الثقفى حينما تقعر فى حديثه مع الصبيان فقال : « مالكم تكأكأتم علىّ كتكأكئكم على ذى جنة ؟ افرنقعوا »(١).

وهناك دلالة أخرى على أخلاق أبى زيد ورقته حيث لم يصطدم بالقصاب قولا أو عملا ... ضنا بكرامته أن ينزل بها إلى مستوى الدهماء ... ومن حيائه المحبب أنه غطى رأسه ... وفرّ هارباً ، واكتفى من الغنيمة بالإياب .

وفيها دلالة أخرى على روحه المرحة ... حيث حدّث الناس بهذه الحادثة ، وكان فى استطاعته أن يلوذ بالكتمان ، فلا يسمع بها أحد ، ولا يرويها الرواة على مدى القرون .

ومن دلائل الروح المرحة عند أبى زيد أنه كان يتلطف مع تلاميذه ،

---

(١) راجع بحث (التيار القياسى فى المدرسة البصرية — للدكتور أحمد مكى الأنصارى ص ١٩) .

وأحياناً يلقبهم ببعض الألقاب المضحكة مثلما فعل مع المازنى ، فسماه باسم طائر يشبه الجراد (١) ، وكما فعل مع التوزى حينما لقبه بأبى الوذواذ ، لخفة حركته وذكائه (٢) .

أما عقيدته فقالوا عنها : إنه كان من أهل العدل والتشيع(٣)، وربما كان لأستاذه عمرو بن عبيد(٤) أثر فى مذهبه العدلى ، وأياماً كان الأمر فقد كان موضع ثقة الجميع .

وكانت وفاته سنة خمس عشرة ومائتين(٥)، وبه قال ابن النديم(٦) وقيل أربع عشرة ومائتين(٧) ، وقيل ست عشرة (٨) ، وكان ذلك فى البصرة (٩)، وله من العمر ثلاث وتسعون (١٠) .

---

(١) راجع إنباه الرواة ٣٤/٢ فما بعدها ، وفيها « لقب المازنى (تدرج) لمشيته » - « والتدرج : طائر كالجراد يغرد فى البساتين بأصوات طيبة ، يسمن عند صفاء الهواء وهبوب الشمال ، ويهزل عند كدورته وهبوب الجنوب ، يتخذ داره فى التراب اللين ، ويضع البيض فيها لئلا يتعرض للآفات » حياة الحيوان للدميرى ٢٠٣/١ - (نقلا عن هامش ص ٣٤ ج ٣ من إنباه الرواة ، تحقيق الأستاذ محمد أبى الفضل إبراهيم .

(٢) المصدر السابق .

(٣) نفس المصدر ٣٣/٢ .

(٤) البغية ص ٢٥٤ والإنباه ٣٠/٢ .

(٥) البغية ص ٢٥٥ .

(٦) إنباه الرواة ٣٥/٢ .

(٧) البغية ص ٢٥٥ والإنباه ٣٣/٢

(٨) بغية الوعاة ص ٢٥٥ .

(٩) البغية ٢٥٥ والإنباه ٣٣/٢

(١٠) المصدران السابقان .

مؤلفاته : له مؤلفات كثيرة متنوعة ... حدثنا عنها المؤرخون فقالوا :
« ... وله من الكتب المصنفة كتاب (إيمان عثمان) ، كتاب حيلة ومحالة ، كتاب القوس والترس ، كتاب مسائية ، كتاب المعزى ، كتاب الإبل ، كتاب خلق الإنسان ، كتاب الأبيات ، كتاب المطر ، كتاب المياه ، كتاب الغرائز ، كتاب النبات والشجر ، كتاب اللغات ، كتاب قراءة أبي عمرو ، كتاب النوادر ، كتاب الجمع والتثنية ، كتاب اللبن ، كتاب بيوتات العرب ، كتاب تخفيف الهمز ، كتاب (حياة) ، كتاب المقتضب ، كتاب الوحوش . كتاب الفرق ، كتاب فعلت وأفعلت ، كتاب غريب الأسماء ، كتاب الهمز ، كتاب المصادر ، كتاب الحلبة ، كتاب نابه ونبيه ، كتاب معانى القرآن ، كتاب النحو الكبير ، كتاب الصفات »(١) .

تلك رواية القفطى فى إنباه الرواة ، « وقد فاته مما ذكره ابن النديم : كتاب التمر ، وكتاب نعت الغنم ، وكتاب نعت المشافهات ، وزاد ياقوت : كتاب الجود والبخل ، وكتاب الأمثال ، وكتاب التثليث ، وكتاب اللامات ، وكتاب المكتوم ، وكتاب المنطق . »(٢) .

وترى من هذه الأسماء مدى تنوع تلك الآثار ، من نحو ، ولغة ، وقراءات ، وأخبار ... وليتها وصلت إلينا جميعاً ... لنتبين منها فكر هذا الرجل العظيم ... ولكن ... ما كل مايتمنى المرء يدركه ... فقد عدت العوادى على معظم هذه الذخائر ... وعصف بها الدهر فيما عصف ... فلم يصل إلينا إلا النزر اليسير !

---

(١) إنباه الرواة ٢/٣٥ .

(٢) بتصرف يسير من هامش ص ٣٥ جـ ٢ من إنباه الرواة تحقيق الأستاذ محمد أبى الفضل ابراهيم .

(ب) الكسائى مؤدب الأمراء :

كلمة :

عهدى بالكسائى قديم ... قدم بحثى فى أبى زكريا الفراء ... حيث كان الكسائى شيخاً للفراء ، وكان لزاماً على أن أتتبع حياة الرجلين ، لأرى مدى التأثر والتأثير ... وكنت قد كتبت عن الكسائى كلمة موجزة مركزة ... أودعتها كتابى « أبو زكريا الفراء » [١] ... ريثما أتفرغ لبحث طويل شامل عن حياة الكسائى وآثاره ومذاهبه ...

ومضت الأيام ... وطالت صحبتى للكسائى العظيم ... وحينما جمعت آراءه النحوية واللغوية ... واستنتجت منها مذهبه فى النحو واللغة ... تبين لى أن الكسائى هو إمام المدرسة الكوفية بحق وصدق ... وأن تلميذه أبا زكريا الفراء هو المؤسس الحقيقى للمدرسة البغدادية [٢] ...

وآنذاك [٣] لم أجد للكسائى كتاباً فى الوجود مطبوعاً أو مخطوطاً غير الكتاب الذى يسمى (ما تلحن فيه العوام) [٤] ذلك الذى تشكك فيه المستشرق

---

(١) راجع ترجمة الكسائى ص ١٢٧ - ١٣٢ من كتاب (أبو زكريا الفراء) للدكتور أحمد مكى الأنصارى - طبع المجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية - ونشر دار المعارف بمصر .

(٢) المصدر السابق — انظر الباب الثانى (مذهبه فى النحو واللغة) ص ٣٤٩ فما بعدها .

(٣) وحتى الآن لم يصل إلى يدى أى كتاب آخر للكسائى ، وبالتالى لم أطلع على شىء من ذلك .

(٤) رسالة حققها بروكلمان ، كما حققها الميمنى — انظر (ما تلحن فيه العوام) طبع (برسلاو) بدار الكتب رقم ٢٣٧ — لغة ضمن مجموعة رسائل طبع السلفية ، وانظر كتابنا (أبو زكريا الفراء) ص ١٣١ .

الألمانى (يوهان فك)(١) .. ولهذا عمدت إلى الآراء المبثوثة فى بطون الكتب ، واستخرجتها من أمهات المراجع على اختلاف ألوانها ... فكانت ثروة ضخمة مكنتنى من استنتاج مذاهبه فى ضوء ماورد من آثاره هو ... لا من أحاديث الآخرين عنه ...

واطمأنت نفسى إلى هذا العمل ... وأوشكت أن أدفع به إلى المطبعة ... غير أن بعض الأصدقاء الفضلاء من العراق ... أبلغنى أن أحد الباحثين فى جامعة بغداد عثر على بعض المخطوطات النادرة للكسائى ... فكانت فرحتى بهذا النبأ تعادل فرحتى بإنجاز بحثى عن الكسائى ... لهذا تريثت .. وأجلت طبع الكتاب ، حتى أرى هذه المخطوطات ... لعلها تغير رأيا ... أوتضيف جديدا إلى ما كتبت ...

وفى هذه الأيام اتخذت خطوة إيجابية بالكتابة إلى رئيس قسم اللغة العربية بجامعة بغداد — وهو صديق فاضل(٢) — أرجوه فيها موافاتى بكل مايتعلق بالكسائى ... وإنى فى انتظار .

غير أن كتاباتى السابقة عن الكسائى بالتفصيل ... لا تحول بينى وبين إلقاء الضوء الآن على بعض الزوايا فى حياة هذا الشيخ الجليل .. ذلك الذى تولى تأديب الخلفاء فى أزهى العصور ... فكان مؤدب الرشيد(٣) ... كما تولى تأديب

(١) راجع كتاب (العربية) ليوهان فك — تحقيق أستاذنا العلامة المرحوم الدكتور عبدالحليم النجار ص ٨٩ فما بعدها . طبع دار الكتاب العربى .

(٢) هو الأستاذ الدكتور مهدى المخزومى — العميد السابق لكلية الآداب بجامعة بغداد - كما كتبت لنفس الغرض إلى صديقى الحميم العظيم الأستاذ عبد الحميد الراضى - أستاذ اللغة العربية بجامعة بغداد .

(٣) راجع إنباه الرواة جـ ٢ ص٢٥٦ وكذلك ٢/٢٦٠ وفيها (وكان الرشيد يعظم الكسائى لتأديبه إياه) .

الأمين[١] والمأمون[٢] ... ولهذا استحق أن يطلق عليه لقب « مؤدب الأمراء » .

وإليك البيان :

على بن حمزة الكسائى ... هو « إمام الكوفيين فى النحو واللغة[٣] » ... « وأحد القراء السبعة المشهورين[٤] » ... أخذ عن البصريين كما أخذ عن الكوفيين ... ومن أكابر الذين أخذ عنهم من البصرة : يونس بن حبيب[٥] ، وأبو عمرو بن العلاء[٦] ، والخليل بن أحمد[٧] ، وعيسى بن عمر الثقفى[٨] ، وناظر سيبويه مناظرة مشهورة ... اختلفت فيها الآراء منذ مئات السنين ... وقد فصلنا فيها القول فى غير هذا البحث .

ويختلف المؤرخون فى سبب تسميته بالكسائى ، فيقولون : « سمى الكسائى لأنه كان يحضر مجلس معاذ الهراء ، والناس عليهم الحلل ؛ وعليه كساء رُوذ بارى[٩] » ، ويقولون: سمى بذلك لأنه أحرم فى كساء[١٠]، ويروى

---

(١) انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ٢/٤٥٧ وإنباه الرواة ٢/٢٥٦ .

(٢) راجع الفهرست لابن النديم ص ٦٥ ، والإنباه - ٢/٢٧٠ .

(٣) بغية الوعاة ص٣٣٦ .

(٤) المصدر السابق .

(٥) إنباه الرواة ٢/٢٥٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٤ - والبغية ص ٣٣٦ ، وأخبار النحويين البصريين للسيرافى ص ٤٤ طبع الحلبى .

(٦) الإنباه ٢/٢٧٤ ، وأخبار النحويين البصريين للسيرا فى ص ٤٤ طبع الحلبى .

(٧) غاية النهاية ١/٥٣٦ تحقيق برجشتراسر وانظر الإنباه ٢/٢٥٨ والبغية ص ٣٣٦ .

(٨) إنباه الرواة ٢/ ٢٧٤ .

(٩) المصدر السابق ٢/٢٧٠ .

(١٠) البغية ص ٣٣٦ والإنباه ٢/٢٧١ إنباه الرواة .

القفطى : « أنه دخل الكوفة ، فجاء إلى مسجد السبيع – وكان حمزة بن حبيب الزيات يقرئ فيه – فتقدم الكسائى مع أذان الفجر ، فجلس وهو ملتف بكساء من البركان الأسود . فلما صلى حمزة قال : من تقدم فى الوقت يقرأ ؟ قيل له : الكسائى أول من تقدم ، يعنون صاحب الكساء ، فرمقه القوم بأبصارهم ، وقالوا : إن كان حائكا فسيقرأ (سورة يوسف) ، وإن كان ملاحا فسيقرأ (سورة طه) فسمعهم فابتدأ بسورة يوسف فلما بلغ إلى قصة الذئب ، قرأ : (فأكله الذيب) بغير همز ، فقال له حمزة الزيات : (الذئب) بالهمز ، فقال له الكسائى : وكذلك أهمز الحوت (فالتقمه الحؤت) ؟ قال : لا ، قال : فلم همزت (الذئب) ولم تهمز (الحوت) وهذا (فأكله الذئب) وهذا (فالتقمه الحوت) ؟ فرفع حمزة بصره إلى خلاد الأحول – وكان أجل غلمانه – فتقدم إليه فى جماعة من أهل المجلس فناظروه ، فلم يصنعوا شيئاً ، فقالوا : أفدنا – رحمك الله .

فقال لهم الكسائى : تفهموا عن الحائك ! تقول إذا نسبت الرجل إلى الذئب : قد استذأب الرجل ، ولو قلت : قد استذاب – بغير همز – لكنت إنما نسبته إلى الهزال ، تقول : قد استذاب الرجل إذا استذاب شحمه (بغير همز) فإذا نسبته إلى الحوت تقول : قد استحات الرجل ، أى كثر أكله ، لأن الحوت يأكل كثيرا ، ولا يجوز فيه الهمز ، فلهذه العلة همز الذئب ولم يهمز الحوت ، وفيه معنى آخر : لا يسقط الهمز من مفرده ولا من جمعه ، وأنشدهم :

أيها الذئب وابنه وأبوه أنت عندى من أذؤب ضاريات

قيل : فسمى الكسائى من ذلك اليوم »(١) .

---

(١) راجع إنباه الرواة للقفطى ٢/٢٥٨ فما بعدها .

ويبدو أنه فى بواكير حياته لم يكن معنياً بالنحو ، حتى قالوا : إنه «تعلم النحو على كبر[١]» ، وذكروا سبب ذلك فقالوا : «إنه جاء يوما وقد مشى حتى أعيا ، فجلس إلى الهباريين ـ وكان يجالسهم كثيرا ـ فقال : قد عيّيت[٢] ، فقالوا له : تجالسنا وأنت تلحن ! قال : كيف لحنت ؟ قالوا له : إن كنت أردت من التعب فقل : (أعييت)[٣] ، وإن كنت تريد من انقطاع الحيلة فقل : (عييت)[٤] (مخففة) فأنت من هذه الكلمة لحنت ، ثم قام من فوره ذلك يسأل عمن يعلم النحو ، فأرشدوه إلى معاذ الهراء ، فلزمه حتى أنفد ما عنده ، ثم خرج إلى البصرة فلقى الخليل وجلس فى حلقته ، فقال له رجل من الأعراب : تركت أسد الكوفة وتميمها وعندهما الفصاحة ، وجئت إلى البصرة ! فقال للخليل : من أين أخذت علمك هذا ؟ فقال من بوادى الحجاز ونجد وتهامة ـ فخرج ورجع وقد أنفد خمس عشرة قنينة حبر فى الكتابة عن العرب سوى ما حفظ ، فلم يكن له هم غير البصرة والخليل ، فوجد الخليل قد مات ، وقد جلس موضعه يونس النحوى ، فمرت بينهم مسائل أقر له فيها يونس ، وصدره فى موضعه[٥] » .

وفى هذا النص دلالات كثيرة ... يهمنا منها هنا موقف يونس من تلميذه الكسائى ... فقد أكبره وقدره حينما اطمأن إلى علمه الغزير ... وأبت مكارم أخلاقه إلا أن يبالغ فى تكريمه فيتخلى له عن موضعه ويصدره . وهذا خلق نادر قلما نجده إلا عند أمثال يونس البصرى من ذوى النفوس العالية والهمم الكبار .

---

(١) البغية ص ٣٣٦ ، وإنباه الرواة — ٢/٢٥٧

(٢) بتشديد الياء الاولى مع الفتح وتسكين الثانية .

(٣) بفتح الياء الأولى وتسكين الثانية .

(٤) بكسر الياء الأولى وتخفيفها .

(٥) راجع إنباه الرواة ـ ٢/٢٥٧ غير أن الجزء الأخير من النص اقتبسته من بغية الوعاة ص ٣٣٦ من ترجمة الكسائى فهو أوضح مما جاء فى إنباه الرواة .

وليست هذه هى الوحيدة من يونس مع تلميذه الكسائى ... فقد شهد له بالجدارة واستحقاق الرئاسة ، بعد ماسأله عن رأيه فى بيت للفرزدق ـ استمع إلى الرواة يقولون : « اجتاز الكسائى بحلقة يونس بالبصرة ـ وكان شخص مع المهدى إليها ـ فاستند إلى اسطوانة تقرب من حلقته ، فعرف يونس مكانه ، فقال : ماتقول فى قول الفرزدق :

غداةَ أحلت لابن أصرمَ طعنة ... حُصين ٍعبيطات السدائف والخمر

على أى شىء رفع (الخمر) ؟ وأجاب الكسائى ، فقال يونس : أشهد أن الذين رأسوا رأسوك باستحقاق »(١) .

وفى رواية الكامل للمبرد زيادة لا بأس بها ، نقتطف منها قوله : «فقال الكسائى : لما قال (غداة أحلت لابن أصرم طعنة حصين عبيطات السدائف) تم الكلام ، فحمل (الخمر) على المعنى ـ فقال له يونس : ما أحسن ماقلت ، ولكن الفرزدق أنشدنيه على القلب : فنصب الطعنة ورفع العبيطات والخمر على ما وصفنا من القلب(٢) » أى أنه قلب الوضع فجعل الفاعل مفعولا ، وله نظائر فى الكلام العربى .

قال العينى : « هذا البيت من قصيدة للفرزدق يذكر فيها أن حصين بن أصرم قد قتل له قريب ، فحرم على نفسه شرب الخمر وأكل اللحم العبيط حتى يقتل قاتله ، فلما طعنه وقتله أحلت له تلك الطعنة شرب الخمر وأكل اللحم العبيط ـ والشاهد فى قوله : (والخمر) بالرفع ، حيث حذف منه الفعل والتقدير : وحلت له الخمر »(٣) .

---

(١) إنباه الرواة ـ ٢/٢٦٥ .
(٢) راجع الكامل للمبرد ١/٣٢٣ ط الحلبى ـــ تحقيق الدكتور زكى مبارك
(٣) فرائد القلائد ص ١٥٦ ـ نقلا عن إنباه الرواة جـ ٢ ص ٢٦٥ تعليق رقم (٣) تحقيق الأستاذ محمد أبى الفضل إبراهيم (بتصرف يسير) ـ وفيها =

ولكن يونس نفسه وقف موقفاً حازما من الكسائى حينما خذلته الحجة، وأراد بعض من كان معه أن ينتصر له لمكانة الكسائى من الخليفة ... فأبى ذلك يونس، وقال قولته المشهورة: « مغالبة العلم بالحجة لا بالسلطة » فصارت مثلا.

وربما كان الجاه الذى يتمتع به الكسائى فى قصر الخلافة .. جعله يتصرف مع بعض العلماء تصرفا ... أقل مايقال فيه أن غيره أجدر بالكسائى — من ذلك ما رواه المؤرخون من موقف الكسائى مع شيخه يونس البصرى. قالوا: « حضر الكسائى حلقة يونس بالبصرة، فقال الكسائى ليونس: لم نصبتْ حتى الفعل المستقبل؟ فقال له يونس: هذا حالها من يوم خلقتْ، فضحك منه الكسائى »[1]، مع أنه شيخه[2]، وكان حقه أن يضحك من الكسائى حين سئل عن (أى) فقال نفس الجواب (أى كذا خلقت)، وإليك القصة من أولها:

« قال المبرد: أخبرنى أبو عثمان المازنى أن مروان بن سعيد بن عباد ابن حبيب بن المهلب بن أبى صفرة، سأل الكسائى بحضرة يونس: أى شىء يشبه (أى) من الكلام؟ فقال ما، ومن — فقال له كيف تقول: لأضربن من فى الدار؟ قال لأضربن من فى الدار — قال فكيف تقول: لأركبن ما تركب؟ قال: لأركبن ماتركب — قال: فكيف تقول: ضربت من فى الدار؟ قال: ضربت من فى الدار — قال فكيف تقول: ركبت

= أيضا ما يأتى: (غداة نصب على الظرفية، أضيف إلى الجملة — وطعنة: فاعل أحلت — وحصين بالجر: عطف بيان لابن أصرم — وعبيطات السدائف: كلام إضافى مفعول أحلت، وهو جمع عبيط، وهو اللحم الطرى — والسدائف جمع سديف، وهو شحم السنام وغيره مما غلب عليه السمن ».

(١) إنباه الرواة — ٢/٢٦٩.

(٢) شرح الرضى على الكافية والإنباه — ٢/٢٧٤، والبغية ص ٣٣٦.

ماركبت ؟ قال : ركبت ماركبت . قال : فكيف تقول لأضربن أيهم فى الدار ؟ قال : لأضربن أيهم فى الدار . قال : فكيف تقول : ضربت أيهم فى الدار ؟ قال : لايجوز . قال : لم لا ؟ : قال « أى كذا خلقت » (١) .

ويبدو من جو القصة أن الكسائى أحرج إحراجاً شديداً . وأن السائل طفق يلاحقه فى إلحاح وإلحاف حتى ضيق عليه الخناق فلم يحر جواباً كما جاء فى بعض الروايات (٢) ، ولهذا « غضب يونس وقال : تؤذون جليسنا ومؤدب أمير المؤمنين » (٣) .

على أن إجابة الكسائى ، وأمثالها من إجابة يونس ، وغيرهما ... كل ذلك يتفق - إلى حد ما - مع المنهج اللغوى السليم إذ أن اللغة لها منطقها الخاص كما وضحت ذلك بإسهاب فى كتابى (أبو زكريا الفراء) (٤).

وقد تولى ابن السراج توجيه رأى الكسائى فى هذه النقطة بالذات - استمع إلى صاحب التصريح يقول : سئل « الكسائى فى حلقة يونس : لم لايجوز أعجبنى أيهم قام ؟ فمنع ذلك - فقيل له ؟ فلم يلح له وجه المنع ، فقال : (أى كذا خلقت) ... قال ابن السراج موجها قول الكسائى بالمنع ما معناه : إن أيا وضعت على العموم والإبهام ، فإذا قلت يعجبنى أيهم يقوم فكأنك قلت يعجبنى الشخص الذى يقع منه القيام كائناً من كان - ولو

---

(١) أخبار النحويين البصريين للسيرا فى ص ٢٧ فما بعدها طبع الحلبى ، وانظر مجالس العلماء للزجاجى ص ٢٤٤ طبع الكويت تحقيق الأستاذ عبدالسلام هارون ، والمزهر للسيوطى ٢/٢٣٣ ط السعادة .

(٢) راجع شرح التصريح على التوضيح - باب الموصول .

(٣) راجع أخبار النحويين البصريين ص ٢٨ ومجالس العلماء ص ٢٤٤ طبع الكويت .

(٤) انظر ص ١٣٠ و ص ٤٠٣ فما بعدها .

قلت : أعجبنى أيهم قام لم يقع إلا على الشخص الذى قام ، فأخرجها ذلك عما وضعت له من العموم » (١).

وأياً ما كان الأمر بين الكسائى وشيخه يونس (٢) ، فإنه أهون مما كان بين الكسائى والأصمعى حينما نهره بحضرة الرشيد .. وقال له الكسائى : اسكت ما أنت وذاك .. فسكت الأصمعى ، ولم ينبس ببنت شفة ، رهبة من بطش الكسائى لتمكنه من البلاط .. ومن قلب الرشيد بالذات ... « وكان أثيراً عنده حتى أخرجه من طبقة المؤدبين إلى طبقة الجلساء والمؤانسين» (٣) يقول الراوة : أنشد الكسائى لشاعر تغلبى (٤) قوله :

أنى جزوا عامراً سُوءى بفعلهم   أم كيف يَجزوننى السوءى من الحسن؟
أم كيف ينفع ما تعطى العَلوق به   رئمان أنف إذا ما ضُنّ باللبن؟

فرفع الكسائى كلمة (رئمان) فى مجلس الرشيد ، فقال الأصمعى : هى بالنصب ، فقال له الكسائى : اسكت ما أنت وهذا يجوز الرفع والنصب والجر ، فسكت الأصمعى (٥) . ـ وقد وجه العلماء رأى الكسائى فقالوا : « إن الرفع على الإبدال من (ما) ، والنصب بتعطى ، والخفض بدل من (الهاء) ، ولكن ابن الشجرى « صوب إنكار الأصمعى ، فقال : لأن

(١) راجع شرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهرى ـ (باب الموصول) .

(٢) أحيانا كان الكسائى يناظر شيخه مناظرة النظير ـ انظر طبقات النحويين واللغويين ص ١٣٨ .

(٣) معجم الأدباء بتصرف يسير ج ١٣ ترجمة الكسائى .

(٤) هو الشاعر الجاهلى أفنون التغلبى ، والقصيدة فى المفضليات .

(٥) راجع مغنى اللبيب لابن هشام ج ١ ص ٤٤ فى الحديث عن (أم) وانظر أمالى ابن الشجرى وأمالى الزجاجى كذلك .

رئمانها للبو بأنفها هو عطيتها إياه لا عطية لها غيره فإذا رفع لم يبق لها عطية في البيت ، لأن في رفعه إخلاء (تعطى) من مفعوله لفظاً وتقديرا ، والجر أقرب إلى الصواب قليلا ، وإنما حق الإعراب والمعنى النصب ـ وعلى الرفع فيحتاج إلى تقدير ضمير راجع إلى المبدل منه . أى رئمان أنف له » (١) ـ والرئمان بكسر المهملة : الحنو والعطف (٢) .

ولم يكن الأصمعى فى النحو بمنزلة الكسائى فيه . . . ولعل هذا التفوق النحوى عند الكسائى جعله ينهر الأصمعى بالإضافة إلى عوامل أخرى كثيرة ... منها أن الأصمعى كان ضالعاً فى هواه مع الأمويين على حين كان الكسائى مع العباسيين ، والدولة لهم ، والسلطان والصولجان بأيديهم .

وقد استغل الكسائى كل الظروف المتاحة له من جاه وإلمام بالنحو . . ضد معاصره الفقيه المشهور القاضى أبى يوسف صاحب أبى حنيفة النعمان ـ ودارت بينهما طرائف علمية قيمة ، من ذلك ما رواه الزجاجى حيث قال : « دخل أبو يوسف الفقيه على الرشيد ، وعنده الكسائى يحدثه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، قد سعد بك هذا الكوفى وشغلك ـ فقال الرشيد : النحو يستفرغنى ، أستدل به على القرآن والشعر ، فقال الكسائى : إن رأى أمير المؤمنين أن يأمره بجوابى فى مسألة من الفقه . . . فضحك الرشيد . . . فقال : أبلغت إلى هذا يا كسائى ، يا أبا يوسف : أجبه .

---

(١) راجع المغنى ١/٤٤ طبع مصطفى محمد (بتصرف يسير) .

(٢) حاشية الأمير على المغنى ١/٤٤ ط مصطفى محمد ـ وفى المغنى يقول : « العلوق بفتح العين المهملة : الناقة التى عاق قلبها بولدها وذلك أنه ينحر ثم يحشى جلده تبنا ، ويجعل بين يديها لتشمه فتدر عليه فهى تسكن إليه مرة وتنفر عنه أخرى ـ وهذا البيت ينشد لمن يعد بالجميل ولا يفعله لانطواء قلبه على ضده » . والشاعر يتعجب من قومه الذين يعاملونه بالسوء كما يعاملون بنى عامر بأسوء أيضاً مع أنهم لم يفعلوا إلا الخير ... ولكنهم يجزون جزاء سنمار .

فقال (الكسائى) : ما تقول فى رجل قال لامرأته أنت طالق ان دخلت الدار ؟ قال أبو يوسف : إن دخلت فقد طلقت ـ فقال الكسائى : خطأ ، إذا فُتحت أن فقد وجب الأمر ، وإن كسرت فإنه لم يقع بعد فنظر أبو يوسف بعد ذلك فى النحو » (١)

ومن طرائف ما روى بينهما أيضاً ما رواه القفطى حيث يقول : « ذكر أن أبا يوسف القاضى كان يقع فى الكسائى ويقول أيش يحسن ؟ إنما يحسن شيئاً من كلام العرب ، فبلغ الكسائى ذلك، فالتقيا عند الرشيد ـ وكان الرشيد يعظم الكسائى لتأديبه إياه ـ فقال لأبى يوسف : يا يعقوب . بأيش تقول فى رجل قال لامرأته : أنت طالق طالق طالق ؟ قال : واحدة ـ قال : فإن قال لها : أنت طالق أو طالق أو طالق ؟ قال : واحدة ـ قال : فإن قال لها : أنت طالق ثم طالق ثم طالق؟ قال : واحدة ـ قال : فإن قال لها : أنت طالق وطالق وطالق ؟ قال : واحدة ـ قال الكسائى: ياأمير المؤمنين،أخطأ يعقوب فى اثنتين وأصاب فى اثنتين .

أما قوله: طالق طالق طالق ، فواحدة ، لأن الثانيتين تأكيد ، كما تقول : أنت قائم قائم قائم ، وأنت كريم كريم كريم .

وأما قوله : أنت طالق أو طالق أو طالق . فهذا شك ، وقعت فى الأولى التى تُتيقن .

وأما قوله : طالق ثم طالق ثم طالق ، فثلاث ، لأنها نسق (٢)، وكذلك طالق وطالق وطالق » (٣) .

---

(١) انظر مجالس العلماء للزجاجى ص ٢٥٧ تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ـ (بتصرف يسير) .

(٢) المراد بالنسق : العطف ، ومن المبادىء النحوية الغالبة أن العطف يقتضى المغايرة .

(٣) راجع إنباه الرواة ـ ٢/٢٦٠ بتصرف يسير .

وغنى عن البيان أن نقول: إن علاقة النحو بالعلوم الشرعية علاقة ضرورية يترتب عليها كثير من الحل والتحريم، واستنباط الأحكام على وجهها الصحيح من القرآن الكريم ومن السنة النبوية ... يعرف ذلك تمام المعرفة كل من له صلة بعلم الأصول .

وكانت المنافسة على أشدها بين الكسائى واليزيدى .. وذلك شيء طبيعى تقتضيه سنة الحياة فى ذلك العصر لأسباب متعددة .. منها اختلاف المذهبين بين الرجلين ، فالكسائى كوفى ، واليزيدى بصرى .. ومنها التسابق على إحراز الحظوة عند الخلفاء ، ومنها .. ومنها مما يطول شرحه الآن .
وسنكتفى هنا بإيراد بعض الحوادث الدالة على ذلك . وإليك البيان :

يقول الزجاجى : « حدثنى أبو الحسن ، قال : حدثنى أبو العباس ثعلب ، قال : حدثنى خلف البزاز ، قال : جمعت الكسائى واليزيدى فى عرس أمّ هؤلاء - يعنى أولاده - فقال له اليزيدى : يا أبا الحسن : تأتينا عنك أشياء ننكرها ، فقال : وأى شيء مع الناس إلا فضل بُزاقى ، قال فما كلمه حتى قام »(١) .

ويبدو أن الذى أنكره اليزيدى على الكسائى كان يتعلق بالناحية العلمية لا الخلقية ، بل إنه كان يتعلق بالعلوم العربية على وجه التحديد، وآية ذلك أن القفطى صرح بهذا فى روايته التى تقول :

« قال خلف: أولمت وليمة ، فدعوت الكسائى واليزيدى ، فقال اليزيدى للكسائى ، يا أبا الحسن ، أمور تبلغنا وحكايات تتصل بنا ، ننكر بعضها ، فقال الكسائى : أمثلى يخاطب بهذا ! وهل مع العالم من العربية إلا فضل بصاقى هذا ، ثم بصق ، فسكت اليزيدى »(٢) .

---

(١) مجالس العلماء للزجاجى ص ١١ ط الكويت تحقيـــق الأستاذ عبد السلام هارون .

(٢) إنباه الرواة - ٢/٢٦٤ تحقيق الأستاذ محمد أبى الفضل ابراهيم .

ولعلك تلحظ مدى غطرسة الكسائى على منافسه اليزيدى ... يتجلى ذلك فى قوله : أمثلى يخاطب بهذا ! ويبلغ القمة فى الغطرسة حين يزعم أن العالم كله لا يملك من العربية إلا أشياء تافهة مثل بصاق الكسائى .

ولاشك أن مثل هذا الأسلوب فى التعامل ... يملأ قلب اليزيدى بالحقد والضغينة ... ولذلك طفق يهجو الكسائى وتلاميذه هجاء مرا[1] ... ويتهمهم بإفساد النحو ، ويستغل اتصال الكسائى بأعراب من الحطمة ينزلون « بقطربل » فيقول فى هجائه :

كنا نقيس النحو فيما مضى ... على لسان العرب الأول
فجاء أقوام يقيسونه ... على لغى أشياخ قطربل
فكلهم يعمل فى نقض ما ... به يصاب الحق لا يأتلى
إن الكسائى وأصحابه ... يرقون فى النحو إلى أسفل[2]

وبالرغم من أن هذه التهمة باطلة ... تهمة الكسائى بإفساد النحو إلا أن الأبيات لا تخلو من الطرافة التى تتركز فى الشطر الأخير :(يرقون فى النحو إلى أسفل) .

كما أن القضية من أساسها تحتاج إلى نقاش طويل ، حول القبائل التى يمكن الاستشهاد بأقوالها ... وقد تحدث عنها الأوائل ، وحصروها فى عدد محدود ، على حين أن القرآن الكريم استعمل لهجات أخرى كثيرة تنتسب إلى قبائل أخرى ، غير تلك التى ذكروها وحصروها - ويعجبنى فى هذا

---

(١) مثل قوله فى الكسائى وتلميذه الأحمر :

أفسد النحو الكسائى ... وثنى ابن غزاله (م)
وأرى الأحمر تيسا ... فاعلفوا التيس النخاله

راجع معجم الأدباء - (ترجمة الأحمر غلام الكسائى) وفيها بقية القصيدة ، وانظر البغية ص ٣٣٦ .

(٢) المصدر السابق .

المقام بحث مستفيض لأستاذنا العلامة ، الأستاذ عباس حسن ـ فى كتابه (اللغة والنحو[1]) حيث ناقش هذه القضية مناقشة علمية واعية ناضجة ، فأوفى على الغاية وأربى ، وقطعت جهيزة قول كل خطيب .

ومن هفوات الكسائى ـ ولكل عالم هفوة أنه أخطأ فى كلمة (الشراء) حين جعلها مقصورة وهى فى الحقيقة ممدودة كما قال أبو محمد فى المناظرة التى دارت بينهما فى مجلس أحد الوجهاء[٢] ، « قال أبو محمد : وسألنى أبو عبيدالله ... فقال : ماتقول ياأبا محمد فى الشراء ، مقصور أم ممدود ؟ قلت له : ممدود ، قال والكسائى حاضر ، قال فسأل الكسائى فقال : مقصور . قلت : أخطأ الكسائى ، قال : وكيف ذاك ؟ قلت له : كيف تجمع شرى ؟ قال: أشرية ، قلت فإن هذا دليل على أن شراء ممدود ، لأن كل ممدود جماعه بالهاء مثل قولك : كساء وأكسية ، وبناء وأبنية ، وسماء وأسمية ، وفناء وأفنية ، فقال الكسائى : ماسمعت أعرابياً إلا وهو يقصره ، فقلت : بَرِحَ الخفاء ، ادعُ بالأعراب فهم هنا حولك ـ وقد كانت أصابتهم مجاعة ـ فدعا منهم بعدة ، فدخلوا عليه ـ قال أبو محمد : فكلمت الأعراب الفصحاء ، وناشدتهم الشعر حتى عرفنا مذاهبهم فى العلم ، ثم قلت للكسائى : ترضى أن يكونوا بيننا وبينك ؟ قال نعم : فقلت لأفصحهم : كيف تقول فى الكلام : اكتب هذا فى شراك ، قال : سبحان الله ، اكتب هذا فى شرائك ، فمدّ ، فخجل الكسائى »[٣] .

---

(١) راجع اللغة والنحو بين القديم والحديث للأستاذ الكبير عباس حسن ـ عضو المجمع اللغوى ـ طبع دار المعارف بمصر .

(٢) جاء ذلك بعنوان (مجلس أبى محمد مع أبى عبيد الله والكسائى) ص١٦٩ من مجالس العلماء للزجاجى .

(٣) انظر مجالس العلماء للزجاجى ص ١٦٩ ط الكويت .

ذلك ما كان من الكسائى فى النحو ... أو بعبارة أدق : بعض ما كان بين الكسائى واليزيدى فى المسائل النحوية بوجه عام . وحين ينتقلان إلى زاوية أخرى من زوايا العربية نرى اليزيدى يتحدى الكسائى فى فهم الشعر[١] ، كما نرى الموصلى يجهل الكسائى فيما يرويه ياقوت فى معجم الأدباء حيث يقول :

« روى الزبير عن إسحاق الموصلى قال : مارأيت رجلا منسوبا إلى العلم أجهل بالشعر من الكسائى . ثم يقول ـ كان الكسائى من أشد خلق الله تسكعا فى تفسير شعر »[٢] .

على أن تفسير الشعر ، وتوجيه المعنى المراد كثيرا مايشير إلى الإعراب النحوى ، وقديما قالوا : « الإعراب فرع المعنى » ، وخير دليل على ذلك ماجرى بين الكسائى واليزيدى بحضرة الرشيد ـ استمع إلى الزجاجى يقول :

« سأل اليزيدى الكسائى بحضرة الرشيد ، وقال : انظروا ، فى هذا الشعر عيب ؟ وأنشد :

مارأينا خَرَباً[٣] نقـ قر عنه البيضَ صقْرُ
لا يكون العير مُهراً لا يكون المهرُ مُهرُ

فقال الكسائى : قد أقوى الشاعر ـ فقال اليزيدى : انظر جيدا ، فقال : أقوى ، لابد أن ينصب المهر الثانى على أنه خبر كان .

قال : فضرب اليزيدى بقلنسوته الأرض وقال : أنا أبو محمد ، الشعر صواب ، إنما ابتدأ فقال: المهرُ مهرُ .

(١) انظر معجم الأدباء ـ ١٣/ ١٧٨ .

(٢) راجـــع معجم الأدباء ١٣/١٨٨ و ١٣/١٨٩ (بتصرف) ط دار المأمون .

(٣) الخرب بفتح الخاء والراء ذكر الحبارى ، وهو نوع من الطيور .

فقال له يحي بن خالد : أتتكنّى بحضرة أمير المؤمنين ، وتكشف رأسك ؟ والله لخطأ الكسائى مع أدبه أحب إلينا من صوابك مع (سوء) فعلك .

فقال : لذة الغلب أنستنى من هذا ماأحسن(١) » ولعلك تلحظ أن هذا النص غنىّ بالدلالات والإشارات ... وأهمها فى نظرى الآن مساندة البرامكة للكسائى ... يتجلى ذلك فى دفاع يحي بن خالد عن الكسائى مع أنه مخطىء ... وحينما أعوزه الدفاع العلمى لجأ إلى الدفاع الأخلاقى متمسحاً « بالأدب » فى حضرة الرشيد ... ولئن دل ذلك على شىء إنما يدل على مدى تمكن الكسائى فى قصور الخلفاء ، وقلوب الوزراء . وليست هذه « بيضة الديك » بالنسبة لمساندة البرامكة للكسائى فقد رأيناهم كثيرا يقفون إلى جانبه يعضدون ويؤازرون، وأكبر دليل على ذلك موقف البرامكة فى المناظرة المشهورة بين سيبويه والكسائى ، وقد تناولتها بالتفصيل فى بحث آخر ، فلا حاجة بنا إلى التكرار .

وإن أنس لاأنس اعتذار اليزيدى ، ومافيه من لفتة جميلة حين قال : « لذة الغلب أنستنى من هذا ماأحسن » فقد استخفه الطرب ، حين ذاق لذة الغلب ، على منافسه اللدود ، وأنساه ما كان ينبغى له أن يتحلى به فى حضرة الرشيد ، وإن كان قد دافع عن نفسه دفاعاً خفياً قوياً حين أشار إلى أنه لاينقصه الأدب فى مجالسة الخلفاء ... بل إنه يحسن ذلك كل الإحسان .

على أن مكانة الكسائى من الخلفاء لاتحتاج إلى دليل أو برهان ... فماذا تقول فى موقف من يمازح الرشيد ممازحة النظير للنظير ؟ وآية ذلك مارواه الزبيدى فى الطبقات حين قال : « دخل أبو يوسف على الرشيد والكسائى

(١) مجالس العلماء للزجاجى ص ٢٢٥ تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون - (بتصرف يسير) .

عنده يمازحه ... فقال له أبو يوسف : هذا الكوفى قد استفرغكَ وغلب عليك ... فقال : يا أبا يوسف : إنه ليأتينى بأشياء يشتمل عليها قلبى » (١).

وكان الكسائى كالطاووس يعرف فى نفسه جمال الريش فيختال بذلك ... وكذلك كان الكسائى يعرف مكانته عند الخلفاء والوزراء فيتيه بها ويقول: صليت بهارون الرشيد ... فغلطت فى آية من القرآن الكريم ما أخطأ فيها صبى قط .. فوالله ما اجترأ هارون أن يقول لى أخطأت (٢) .

« وكان السبب فى اتصاله بالرشيد أنه كان عند المهدى مؤدب يؤدب الرشيد ، فدعا المهدى به يوماً وهو يستاك ، فقال له: كيف تأمر من السواك؟ فقال : « استَكْ » يا أمير المؤمنين .

فقال المهدى : « إنا لله وإنا إليه راجعون » — ثم قال : التمسوا لنا من هو أفْهمُ من ذا . فقالوا : رجل يقال له علىّ بن حمزة الكسائى ، من أهل الكوفة ، قدم من البادية قريباً ، فكتب بإشخاصه من الكوفة ، فساعة دخل عليه قال : يا على بن حمزة ، ما تأمر من السواك ؟ قال : « سُكْ » يا أمير المؤمنين. قال: أحسنت وأصبت، وأمر له بعشرة آلاف درهم» (٣) وأصبح فى عداد المؤدبين النابهين ، بل إنه فاق الجميع ، وسبق الأولين والآخرين فى ذلك الحين ، وخليق به هذا الفوق وذلك السبق . فقد كان ـ رحمه الله ـ نسيج وحده كما يقول المؤرخون: « اجتمعت للكسائى أمور لم تجتمع لغيره، فكان واحد الناس فى القرآن يكثرون الأخذ عنه ، حتى لا يضبط الأخذ عليهم ، فيجمعهم ويجلس على كرسى ، ويتلو القرآن من أوله إلى آخره وهم

---

(١) راجع طبقات النحويين واللغويين للزبيدى ص ١٣٨ تحقيق الأستاذ محمد أبى الفضل ابراهيم .

(٢) انظر انباه الرواة ـ ٢/٢٦٢ (بتصرف) .

(٣) إنباه الرواة ـ ٢/٢٥٩ .

يسمعون ، حتى كان بعضهم ينقط المصاحف على قراءته ، وآخرون يتبعون مقاطعه ومبادئه فيرسمونها فى ألواحهم وكتبهم ، وكان من أعلم الناس بالنحو وواحدَهم فى الغريب »(١) .

وما بالك فى رجل كالكسائى ... جمع الفصاحة والكياسة والذكاء والدهاء فى إهاب ... ومواقفه فى ذلك مشهودة مشهورة ... ومن دهائه العميق احتياله على الأخفش الأوسط لكسر حدته وتهدئة ثائرته ... فما زال به ... حتى أخرجه من صفوف الأعداء إلى دائرة الأصدقاء الأصفياء(٢) ، وكذلك موقفه مع أبى زكريا الفراء ، حينما أراد الفراء إعنات الكسائى بمسائل ألقاها عليه فى جمع من الناس فأخطأ الكسائى فى بعضها وأصاب فى بعض ، ثم كتب إلى الفراء كتاباً يحدثنا عنه الزجاجى فيقول : « حدث أبو توبة بن دراج قال : سمعت الفراء يقول : كنا بالرقة ، وكان الناس قد كثروا على الكسائى فشغلوه عنا ، فعملت له مسائل فيها محال، وفيها صواب ، فأقبل يقول فيصيب ويغلط لما شغله من الناس ، فلما صار إلى منزله كتب إلى رقعة ، فأعاد إلى فيها ما سألته عنه ، فقال فيها بالصواب كلها ، وقال : كنت مشغولا بمن كان عندى ، وقد ظننت أنك أردت ببعض مسائلك أن تتغفلنى ، وقد قيل لى :

ولا تبغ التغفل إن فيه ... تفرّقَ ذاتِ بَـيْنِ الأصفياء

ولا ينبغى لمثلك أن يفعل معى ذلك — وفى الكتاب :

وسوف تلوم نفسك إن بقينا ... وتبلو الناس والإخوان بعدى

قال الفراء : فبلغ منى هذا القول كل مبلغ ، وكأنى لجرت منه بحراً ».(٣)

---

(١) إنباه الرواة ٢/٢٦٤ .

(٢) راجع ترجمة الأخفش فى معجم الأدباء ١١/٢٢٨ فما بعدها .

(٣) مجالس العلماء للزجاجى ص ٢١١ طبع الكويت تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون (بتصرف يسير) .

أما فصاحته فحدث عنها ولا حرج ، يقول الزبيدى : « كان الكسائى فصيح اللسان لا يفطن لكلامه ، ولا يخيل إليك أنه يعرب وهو يعرب » [١] وقريب من هذا ما جاء فى إنباه الرواة للقفطى [٢] .

ومن الطرائف التى تتعلق بالفصاحة أن الكسائى قال: « وقفت على نجار فقلت : بكم هذان البابان ؟ فقال بسلحتان ، فحلفت ألا أكلّم عامياً إلا بما يصلح » [٣] ، وهذه الحادثة تشبه إلى حد كبير ما وقع لأبى زيد الأنصارى مع القصاب [٤]، غير أن الكسائى عزم على أن يغير موقفه مع هؤلاء الجهلاء فيخاطب الناس على قدر عقولهم ، على حين لاذ أبو زيد بالفرار .

وبالرغم من هذه الفصاحة المشهورة فقد كانت للكسائى هفوات وأخطاء متعددة — صحيح أن بعضها من سبق اللسان ، ولا يكاد يسلم منه سالم ، وفى هذا يقول الفراء «سمعت الكسائى يقول: ربما سبقنى لسانى باللحن فلا يمكننى أن أرده ، أو كلاماً نحو هذا » [٥] — ومن سبق اللسان ما رواه الكسائى نفسه حين قال : « صليت بهارون الرشيد فأعجبتنى قراءتى ، فغلطت فى آية ما أخطأ فيها صبى قط ، أردت أن أقول : (لعلهم يرجعون) فقلت : لعلهم (يرجعين) قال : فوالله ما اجترأ هارون أن يقول لى : أخطأت ، ولكنه لما سلمت ، قال لى: يا كسائى ، أى لغة هذه ؟ قلت : يا أمير المؤمنين قد يعثر الجواد ، فقال : أما هذا فنعم » [٦] .

---

(١) طبقات النحويين واللغويين للزبيدى ص، ١٤١ .
(٢) انظر ج ٢ ص ٢٧٠ تحقيق الأستاذ محمد أبى الفضل ابراهيم .
(٣) انباه الرواه - ٢/٢٦٧ .
(٤) راجع ترجمة أبى زيد من هذا الكتاب ، وانظر إنباه الرواة - ٢/٣٢ .
(٥) انظر مثلا تاريخ بغداد ١١/٤٠٨ ، وانباه الرواة - ٢/٢٦٣ .
(٦) إنباه الرواة - ٢/٢٦٢ فما بعدها .

وقريب من هذا وذاك ما رواه خلف بن هشام الأسدى (١) حين قال: «كان الكسائى إذا كان شعبان وُضع له منبر فقرأ هو على الناس فى كل يوم نصف سُبْع ، يختم ختمتين فى شعبان ، وكنت أجلس أسفل المنبر ، فقرأ يوماً فى سورة الكهف : (أنا أكثر) فنصب (أكثر) فعلمت أنه قد وقع فيه ، فلما فرغ أقبل الناس يسألونه عن العلة فى (أكثر) لم نصبه ؟ فثرت فى وجوههم : إنه أراد فى فتحه أقلّ (إن ترن أنا أقل منك مالا) فقال الكسائى : (أكثرُ) — بالرفع — فمحوه من كتبهم ، ثم قال لى يا خلف : يكون أحد من بعدى يسلم من اللحن ؟ قال : قلت : لا ، إنما إذا لم تسلم منه أنت ، فلم يسلم منه أحد بعدك ، قرأت القرآن صغيراً ، وأقرأت الناس كبيراً ، وطلبت الآثار فيه والنحو » (٢) .

ومن الخطأ العلمى الصريح عند الكسائى ما كان بينه وبين أبى محمد من الاختلاف فى كلمة (الشراء) فهى ممدودة على حين زعم الكسائى أنها مقصورة وذلك خطأ صراح (٣) كما سلف به البيان .

ويقول المؤرخون : « اجتمع الكسائى واليزيدىّ عند الرشيد لحضرت صلاة يجهر فيها ، فقدموا الكسائى يصلى ، فأرتج عليه قوله : (قل يأيها الكافرون) فلما سلم قال اليزيدى : قارىء أهل الكوفة يرتج عليه (قل يأيها الكافرون) ! لحضرت صلاة يجهر فيها فقدموا اليزيدى ، فأرتج عليه فى سورة (الحمد) فلما سلم قال :

احفظ لسانك لاتقول فتبتلى إن البلاء موكل بالمنطق (٤) » .

(١) راجع هامش ص ٢٦٣ ج ٢ من إنباه الرواة ، وانظر طبقات القراء لابن الجزرى ١/٢٧٤ .

(٢) راجع الإنباه للقفطى ٢/٢٦٣ (بتصرف يسير) .

(٣) انظر مجالس العلماء للزجاجى ص ١٦٩ طبع الكويت .

(٤) إنباه الرواه للقفطى - ٢/٢٦٣ .

ومهما يقال فى هذه القصة من أنها مصنوعة .. والصنعة بادية فيها إلى حد كبير ... فإن ذلك لا ينفى احتمال وقوع أمثالها من العىّ والحصر.. حتى عند أمثال الكسائى من الأذكياء الفصحاء . . وحسبه أنها هفوة ، أو هفوات معدودات ، وكفى المرء نبلا أن تعد معايبه .

وكثرت المغامز حول الكسائى ، وهمس بها الهامسون . . « وربما كان سبب هذا الاتهام الجائر ما كان فى الكسائى من دعابة وفكاهة ، ثم إلى جانب ذلك حقد البصريين عليه تعصبا مع سيبويه شيخ البصرة وإمام النحاة ، هذا إلى حسد المنافسين ممن لم يبلغوا مثل مكانته عند أمير المؤمنين » [(١)]

وليس من اليسير علينا أن نتقبل كل ما قيل عن الكسائى فى أخلاقه بالسهولة التى تقبلها بها القفطى حينما اعتقد أن الكسائى كتب إلى الرشيد بأبيات [(٢)] ، نابية عندما احتاج إلى التزويج وهو يؤدب ولده الأمين ، فصدق القفطى ذلك ، وعقب عليه تعقيباً جارحا فقال : « وهذا من الكسائى قبيح من وجوه .. إلخ » [(٣)] .

كما أننا نرفض بشدة تلك القصة التى رواها ياقوت عما كان بين الكسائى وتلميذه فى الكُتّاب [(٤)] مما جعل المحقق [(٥)] يعلق عليها بقوله : « كل ما يروى من هذا الضرب عن الكسائى لا إخاله إلا موضوعا ، فإن عظيما كهذا يبعد

---

(١) أبو زكريا الفراء للدكتور أحمد مكى الأنصارى ص ١٢٩ — توزيع دار المعارف بمصر .

(٢) راجع إنباه الرواة للقفطى ٢/٢٦٦ تحقيق الأستاذ محمد أبى الفضل إبراهيم

(٣) المصدر السابق ٢/٢٦٧ .

(٤) انظر معجم الأدباء ١٣/ ١٩٨ ط دار المأمون .

(٥) هو الأستاذ عبد الخالق ـ انظر المصدر السابق .

بل يستحيل أن يكون من هذا الصنف الممقوت . ولا سيما ثقة العلماء به فى تعليم أبنائهم ، وكونه من القراء السبعة »(١) .

وهو تعليق مقبول فى جملته لولا ما فيه من المبالغة والإسراف فى تنزيه الكسائى حين قال (يستحيل) عليه ذلك — وربما كانت هذه شطحة من شطحات المحقق التى نلحظها كثيرا فى تعليقاته ، فلعله توهم وهو يتحدث عن الكسائى أنه يتحدث عن نبى معصوم يستحيل عليه ذلك — ثم إن دراسة المجتمعات والنظرة إليها نظرة علمية لا عاطفية تجعلنا نضع مثل هذه الأشياء موضع الجائز لا موضع المستحيل ، وفرق كبير بين الجواز والاستحالة ، ومع ذلك نرفضها لعوامل أخرى أشرنا إلى بعضها آنفاً مثل المنافسين ، والمتعصبين ، إلى غير ذلك من مكانته الدينية فى القراءات السبعية .

ويعز علينا بعد هذا وذاك أن نذكر مقالة ابن الأعرابى فى شيخه الكسائى حين قال : « إنه كان يديم شرب النبيذ ويأتى الغلمان »(٢) . لكننا نضعها على بساط البحث ، لينظر إليها الدارس نظرة الحذر والارتياب بعد إدخالها فى بوتقة البحث والتمحيص .

ولئن كانت بعض الروايات التاريخية قد أساءت إلى الكسائى كثيراً ... إننا نجدها قد أنصفته كذلك فى علمه وأخلاقه ... فقالت عنه : « كان سخياً جميل الأخلاق »(٣) إلى غير ذلك من الصفات التى تليق بهذا الشيخ الجليل(٤)

ونسبوا إلى الكسائى شعراً كما نفوا عنه قول الشعر على الإطلاق ، ولهذا

---

(١) معجم الأدباء ١٣/١٩٨ ط دار المأمون .

(٢) راجع بغية الوعاة — ص ٣٣٦ .

(٣) انظر مثلا إنباه الرواة — ٢/٢٧٣ .

(٤) من أراد المزيد فعليه بكتابنا عن الكسائى — وهو الآن ينتظر الطبع .

قال ثعلب : « ولم يبلغنى أن الكسائى ولا الفراء قالا شعراً قط »[١] وربما كان الدافع لثعلب أن يقول مثل هذه المقالة ما سمعه من الشعر المبتذل الداعر، ذلك الذى وضعه الحاقدون على لسان الكسائى وهو يذكر (الأمين) فى موضع مشين[٢] .

وهناك شعر علمى نسبوه إلى الكسائى فى وصف النحو حيث قال[٣] :

إنما النحو قياس يتبع ... وبه فى كل أمر ينتفع
فإذا ما أبصر النحو الفتى ... مر فى المنطق مراً فاتسع
فاتقاه كل من جالسه ... من جليس ناطق أو مستمع
وإذا لم يبصر النحوَ الفتى ... هاب أن ينطق جبناً فانقطع
فتراه ينصب الرفعَ وما ... كان من نصب ومن خفض رفع
يقرأ القرآن لا يعرف ما ... صرّف الإعرابُ فيه وصنع
والذى يعرفه يقرؤه ... وإذا ما شك فى حرف رجع
ناظراً فيه وفى إعرابه ... فإذا ما عرف اللحن صدع
فهما فيه سواء عندكم ... ليست السنة منا كالبدع
كم وَضيع رفع النحو وكم ... من شريف قد رأيناه وضع

وغنى عن البيان أن نقول: إنه شعر مرذول، فهو خال من أهم خصائص الشعر، وليس له من مظاهر الشعر ومخبره إلا الوزن والقافية ، ومثل هذا اللون من النظم العلمى بعيد كل البعد عن الشعر الفنى .

---

(١) راجع طبقات الزبيدى ص ١٤٠ وإنباه الرواة – ٢/٢٧٠ .

(٢) انظر إنباه الرواة – ٢/٢٦٦ .

(٣) راجع البغية ص ٣٣٧ وإنباه الرواة –٢/٢٦٧ .

حتى لو سلمنا بأن هذه المقطوعة من نظم الكسائى ... فإنها تختلف اختلافاً بيناً عن ذلك الشعر الداعر المزعوم ... تختلف عنه روحاً ونسجاً وفناً ... وأكبر الظن أن الشعر الداعر لشاعر خبيث متمرس مقتدر ... أراد النكاية والزراية بالكسائى فوضعه على لسانه تجريحاً له وللأمين وللرشيد أيضاً ، لعله يستطيع بذلك أن يفسد العلائق القوية بين الكسائى والخليفة الرشيد ، وأنى له ذلك - وإن لم يستطع فقد شفا غليل نفسه بإشاعة الفاحشة على مرّ العصور ... وقد قيل ما قيل إن صدقا وإن كذبا .

ذلك ما كان من أمر الشعر ، أما المصنفات فقد ذكر المؤرخون أن الكسائى صنف «كتاب معانى القرآن ، كتاب مختصر النحو ، كتاب القراءات ، كتاب مقطوع القرآن وموصوله ، كتاب اختلاف العدد ، كتاب الهجاء ، كتاب النوادر الأوسط ، كتاب النوادر الكبير ، كتاب هاءات الكناية فى القرآن ، كتاب الحدود فى النحو ، كتاب العدد »[1].

تلك رواية القفطى عن ابن النديم ، وذكر السيوطى مجموعة من المؤلفات اتفق فى بعضها مع رواية الفهرست ، واختلف فى بعضها الآخر ، ومما زاده فى البغية كتاب النوادر الأصغر ، وكتاب المصادر ، وكتاب الحروف ، وأشعار المعاياة[2] .

وبعد حياة حافلة توفى الكسائى - رحمه الله رحمة واسعة - «برنبويه»[3] فى رحلة مع الرشيد سنة ١٨٩ هـ[4] ودفن بها هو والفقيه محمد بن الحسن

---

(١) إنباه الرواة -٢/ ٢٧١ .

(٢) راجع بغية الوعاة للسيوطى ص ٣٣٦ (بتصرف) .

(٣) قرية من أعمال الرى - انظر طبقات القراء ١/ ٥٤٠ .

(٤) هناك خلاف كثير فى تاريخ الوفاة ومكانها كذلك ، وقد رجح ابن الجزرى هذا التاريخ - ١/ ٥٣٩

الشيبانى فى يوم واحد ، فقال الرشيد : (دفنا الفقه والنحو بالرى) [١] .

وحينما مات الكسائى ماتت الضغينة فى قلب اليزيدى ... وتحركت العواطف النبيلة ، فقال قصيدة جميلة يرثى فيها الكسائى والفقيه محمد بن الحسن الشيبانى ، ومما جاء فيها عن الكسائى قوله :[٢]

وأوجعنى موت الكسائى بعده ... وكادت بى الأرض الفضاء تميد
وأذهلنى عن كل عيش ولذة ... وأرّق عينى والعيون هجود

ويقول المؤرخون: إن هذه القصيدة أثارت إعجاب الخليفة الرشيد حتى قال لليزيدى : « لئن كنت تسىء الكسائى فى حياته ، لقد أحسنت بعد موته » ـ [٣] وفى رواية أخرى ـ « أحسنت يا بصرى ، لئن كنت تظلمه فى حياته ، لقد أنصفته بعد موته » [٤] . — ورحمة الله على الجميع .

(١) راجع كتابنا (أبو زكريا الفراء) ص١٣١، وانظر غاية النهاية ١/٥٤٠ ط السعادة .

(٢) انظر معجم الأدباء ١٣/٢٠٢ وإنباه الرواة -٢/٢٦٨ .

(٣) معجم الأدباء لياقوت ١٣/٢٠٢ ط دار المأمون .

(٤) المصدر السابق — أما بقية القصيدة فارجع إليها إن شئت فى إنباه الرواة القفطى ٢/٢٦٨ وفيها يقول :

تصرمت الدنيا فليس خلود ... وما قد ترى من بهجة سيبيد
سيفنيك ما أفنى القرون التى مضت ... فكن مستعدا فالفناء عتيد
أسيت على قاضى القضاة محمد ... فأذريت دمعى والفؤاد عميد
وقلت إذا ما الخطب أشكل من لنا ... بإيضاحه يوما وأنت فقيد
وأوجعنى موت الكسائى بعده ... وكادت بى الأرض الفضاء تميد
وأذهلنى عن كل عيش ولذة ... وأرق عينى والعيون هجود
هما عالمان أوديا وتخرما ... وما لهما فى العالمين نديد

الباب الثاني

آثاره ومذاهبه

الفصل الأول

آثاره النحوية

مدخل : مما يؤسف له أن آثار يونس قد عدت عليها العوادى ، فلم يصل إلينا ـ فيما أعلم ـ أى أثر من آثاره ... مع كثرتها ، وتعدد نواحيها كما جاء فى كتب الطبقات ، حين قال ياقوت الحموى فى ترجمة يونس : « ومن تصانيفه كتاب معانى القرآن الكبير ، وكتاب معانى القرآن الصغير ، وكتاب اللغات ، وكتاب النوادر ، وكتاب الأمثال »[1] .

وقد جعل له ابن النديم كتابين فى النوادر : الصغير والكبير[2] ، أما صاحب الوفيات فقد ذكر له (النوادر الصغير)[3] ، ولم يذكر (الكبير) ... ولعله من قبيل الإيجاز .

على أن (بروكلمان) ذكر له كتابا فى القياس النحوى ، باسم (كتاب القياس فى النحو)[4] غير أنه لم يصل إلينا أيضاً مع الأسف الشديد ! !

ومع كل هذا الضياع استطعنا ـ بتوفيق الله ورعايته ـ أن نلتقط آراء المبعثرة فى بطون الكتب ... ونخضعها للبحث والدرس العميق ... فكان منها هذا الباب الذى أضعه بين يديك ، ممثلا فى فصوله المتعددة ، ومنها الفصل الخاص بالآثار النحوية ، ويشتمل على المباحث الآتية :

---

(١) راجع معجم الأدباء ٢٠/٦٧ (بتصرف يسير) .

(٢) انظر الفهرست لابن النديم ص ٦٣ .

(٣) راجع وفيات الأعيان لابن خلكان ٣/٥٤٦

(٤) انظر تاريخ الأدب العربى ـ بروكلمان ـ ترجمة أستاذنا العلامة المغفور له الأستاذ الدكتور عبد الحليم النجار ـ جـ ٢ ص ١٣٠ ـ طبع دار المعارف .

أولا : آراء يونس التى أشاد بها سيبويه - (ووصفها بالحسن والقياس والصواب والقرب .. الخ) .

ثانياً : آراء يونس التى عارضها سيبويه - (ووصفها بالقبح وغيره من الأوصاف) .

ثالثاً : موازنة بين آراء يونس والخليل - وفيها :

(ا) آراء ليونس أرجح من آراء الخليل - (مع إيراد بعض النماذج الكاشفة) .

(ب) وآراء للخليل أرجح من آراء يونس - (مع إيراد بعض النماذج الكاشفة) .

رابعاً : أقيسة أخرى ليونس (وفيها ألوان متعددة تغطى كثيراً من أبواب النحو والصرف) - وإليك البيان بالتفصيل :

أولا — آراء يونس التى أشاد بها سيبويه

أنموذج (١)

(باب إعراب الفعل) أو (باب إذن)[١]

من آراء يونس النحوية التى استحسنها سيبويه فى الكتاب جواز إلغاء (إذن) حين تقع بعد حرف عطف كالفاء أو الواو مثلا ... وبناء على هذا يجوز فى المضارع الرفع على الإلغاء ، قال سيبويه : « وهـذا قول يونس وهو حسن »[٢] كما يجوز فيه النصب على الإعمال ، وإليك نص ما جاء فى الكتاب :

---

(١) على رأى سيبويه كما جاء فى الكتاب ج ١ ص ٤١٠ ط بولاق .
(٢) الكتاب ١/٤١٢ ط بولاق .

قال سيبويه : « هذا باب إذن[١] ـ ... « وتقول إن تأتى آتك وإذن أكرمْك[٢] ، إذا جعلت الكلام على أوله ولم تقطعه ، وعطفته على الأول، وإن جعلته مستقبلا نصبت ، وإن شئت رفعت على قول من ألغى ، وهذا قول يونس ، وهو حسن ، لأنك إذا قطعته من الأول فهو بمنزلة قولك : فإذن أفعلُ[٣] إذا كنت مجيباً رجلا »[٤] .

ولتوضيح عبارة سيبويه نلخصها فى أن الفعل المضارع (أكرمك) يجوز فيه ثلاثة أوجه :

١ — الجزم عطفاً على الفعل السابق (آتك) .

٢ — والنصب بإذن على الإعمال .

٣ — والرفع على الإلغاء ، وهو قول يونس ، واستحسنه سيبويه .

* * *

وهناك مشاركة أخرى ليونس فى (باب إذن) حين أجاز ماسمعه عيسى ابن عمر من رفع المضارع بعد (إذن) فى الجواب مع استكمال جميع الشروط، ويبدو أن سيبويه استغرب ذلك حينما رواه عيسى بن عمر عن العرب ... فذهب إلى شيخه يونس يستوضحه الرأى ويسمع منه التوجيه السديد ... فما كان من يونس إلا أن أقر ذلك ، وشهد شهادة ضمنية بتوثيق عيسى بن عمر حين قال عنه : « لم يكن ليروى إلا ماسمع »[٥] ثم وجه هذه اللغة ، أو (اللغية)[٦] كما يقولون ، على إلغاء (إذن) وجعلها بمنزلة الحروف التى لا تعمل.

(١) الكتاب ١/ ٤١٠ ط بولاق .

(٢) بجزم الفعل (أكرمك) .

(٣) برفع المضارع (أفعل) .

(٤) الكتاب ١/ ٤١٢ ط بولاق .

(٥) المصدر السابق .

(٦) راجع (جمع الجوامع ج ٢ ص ٦) الطبعة الأولى .

شيئاً مثل (هل وبل) . استمع إلى سيبويه يروى لك القصة فيقول : «وزعم عيسى بن عمر أن ناساً من العرب يقولون : (إذن أفعلُ[١] ذاك) فى الجواب - فأخبرت يونس بذلك ، فقال : لا تبعدن ذا ، ولم يكن ليروى إلا ماسمع - جعلوها بمنزلة هل وبل »[٢] .

فأنت ترى يونس يعتمد السماع العربى دون تردد طالما كان الراوى موثوقاً به وهذا يتفق مع مذهبه الذى ارتضاه مع شيخه أبى عمرو بن العلاء ، ذلك الذى سميناه (التيار المنهجى) فى كتابنا (التيارات الكبرى فى المدارس النحوية)[٣].

* * *

وإمعانا فى توثيق آراء يونس النحوية رأيت أن أتتبعها فى مظانها من أمهات الكتب النحوية التى جاءت بعد كتاب سيبويه ، واضعاً نصب عينى ملاحظة التطور التاريخى لآراء يونس . ومدى ثبوت الفكرة أو تحويرها على مر السنين ، وإليك نص ماجاء فى المقتضب :

قال المبرد (ت ٢٨٥هـ) : « واعلم أنه إذا وقعت (إذن) بعد واو أو فاء ، صلح الإعمال فيها والإلغاء ، لما أذكره لك :

وذلك قولك : إن تأتنى آتك وإذن أكرمك ، إن شئت رفعت ، وإن شئت نصبت ، وإن شئت جزمت .

أما الجزم فعلى العطف على آتك وإلغاء (إذن) - والنصب على إعمال (إذن) . والرفع على قولك : وأنا أكرمك ، ثم أدخلت (إذن) بين الابتداء والفعل فلم تعمل شيئاً .

(١) بضم الفعل المضارع .
(٢) الكتاب ١/٤١٢ ط بولاق .
(٣) تحت الطبع .

وهذه الآية فى مصحف ابن مسعود (وإذن لايلبثوا خلفك)[1] الفعل فيها منصوب بإذن ، والتقدير ـ والله أعلم ـ الاتصال بإذن ، وإن رفع فعلى أن الثانى محمول على الأول ، كما قال الله عز وجل : (فإذاً لا يؤتون الناس نقيرا) أى فهم إذن كذلك .

فالفاء والواو يصلح بعدهما هذا الإضمار على ماوصفت لك من التقدير ، وأن تنقطع (إذن) بعدهما مما قبلهما ، ثم يدخلان للعطف بعد أن عملت (إذن) ونظير ذلك قولك : إن تعطنى أشكرك وإذن أدعو الله لك ، كأنه قال : إذن أدعو الله لك ، ثم عطف هذه الجملة على ماقبلها ، لأن الذى قبلها كلام مستغن »[2] .

ولعلك تلحظ معى أن هذا النص أشبه ما يكون بالشرح المستفيض لكلام سيبويه ، وتلك ظاهرة متكررة من المبرد فى كتابه المقتضب ، فهو يعتمد على كتاب سيبويه اعتمادا كبيرا ... غير أننا لا ننكر فضله فى توضيح الفكرة ، وإبرازها فى ثوب قشيب ، وإن كانت بعض عباراته تحتاج إلى توضيح كذلك ، مثل قوله : « وإن رفع فعلى أن الثانى محمول على الأول »[3] .

وجدير بالذكر أن المبرد أوجز فلم ينسب فكرة الإلغاء[4] . إلى صاحبها الأصلى وهو يونس بن حبيب ، وإنما لجأ إلى الإغفال حين قال : ... « صلح

---

(١) الإسراء : آية ٧٦ ـ وقراءة خلفك سبعية (الإتحاف ص ٢٨٥) وقراءة (يلبثوا) شاذة ، (شواذ ابن خالويه ص ٧٧) ـ عن هامش ص ١٢ جـ ٢ من المقتضب تحقيق فضيلة الأستاذ محمد عبد الخالق عضيمة .

(٢) بتصرف يسير من المقتضب للمبرد ١١/٢ فابعدها تحقيق الأستاذ عضيمة .

(٣) يريد بالثانى ما بعد إذن ، ويقول إنه (محمول على الأول) أى أنه خبر لما قبل (إذن) ، والتقدير (فهم ـ إذن ـ كذلك) .

(٤) أى إلغاء (إذن) حينما تقع بعد حرف العطف .

الإعمال فيها والإلغاء» ... مع أن الإلغاء رأى يونس بالذات كما نص عليه سيبويه فى الكتاب .

وأهم من هذا وذاك أن هذا الرأى الذى ارتآه يونس هو من الأقيسة التى تفرد بها كما يقول القدماء ، دون أن يحددوا لنا شيئاً من هذه المقاييس ، وإنما يطلقون القضية خلوا من كل مثال - ونحن نحاول الآن أن نحقق هذه القضية قدر المستطاع ، بالبحث عن الأمثلة والنماذج ، وهذا الرأى خير نموذج للإثبات .

* * *

ومن توثيق الفكرة ماجاء فى شرح المفصل لابن يعيش (ت ٦٤٣ هـ) حين قال : « وأما إذن فحرف ناصب أيضاً ... ولها ثلاثة أحوال :

أحدها : أن تدخل فى الفعل فى ابتداء الجواب فهذه يجب إعمالها لاغير ، نحو قولك : (إذن أكرمك) فى جواب (أنا أزورك) قال الشاعر : (وهو عبد الله بن محمد الضبى) .

اردد حمارك لايرتع بروضتنا   إذن يرد وقيد العير مكروب[1]

---

(١) هذا البيت من أبيات رواها أبو تمام والمفضل لعبد الله بن عنمة الضبى ومنها :

إن تسألوا الحق نعط الحق سائله   والدرع محقبة والسيف مقروب

وإن أبيتم فإنا معشر أنف   لا نطعم الخسف إن السم مشروب

فازجر حمارك .. الخ .

والشاهد فى قوله (إذن يرد) حيث نصب الفعل المضارع لوقوع (إذن) فى ابتداء الجواب ، وقوله (لا يرتع بروضتنا) يجوز عند الكسائى أن يكون مجزوماً على اعتبار (لا) فيه ناهية ، وليس الجزم لوقوعه فى جواب الأمر - وعنده أن (يرد) مجزوم (لا) منصوب كما هو مذهبه فى نحو لا تكفر تدخل النار ، أى

والثانى : أن يكون ماقبلها واوا أو فاء فيجوز إعمالها وإلغاؤها ، وذلك قولك : زيد يقوم وإذن يذهب ، فيجوز ههنا الرفع والنصب باعتبارين مختلفين ، وذلك أنك إن عطفت (وإذن يذهب) على (يقوم) الذى هو الخبر ألغيت (إذن) من العمل ، وصار بمنزلة الخبر ، لأن ماعطف على شىء صار واقعاً موقعه ، فكأنك قلت زيد إذن يذهب ، فيكون قد اعتمد مابعدها على ماقبلها لأنه خبر المبتدأ ، وإن عطفته على الجملة الأولى كانت الواو كالمستأنفة ، وصار فى حكم ابتداء كلام فأعمل لذلك ونصب به ، قال الله تعالى : (وإذاً لايلبثون خلافك إلا قليلا) وفى قراءة ابن مسعود (وإذاً لايلبثوا) بالنصب على ماذكرنا ، وقال تعالى : (فإذاً لايؤتون الناس نقيرا)

وأما الحالة الثالثة فأن تقع متوسطة لامحالة . معتمداً مابعدها على ماقبلها .. الخ »[1] .

وفى هذا النص مواقف ينبغى أن نشير إليها ، أو إلى بعض منها ... من ذلك قوله : « فهذه يجب إعمالها لاغير » فهو هنا يقف موقف المعارض لما جاء فى كتاب سيبويه من جواز الإلغاء ، إستناداً إلى ماسمعه عيسى بن عمر من العرب أنفسهم ، تلك الرواية التى أجازها يونس بن حبيب ووجهها توجيهاً مقبولا كما رأينا آنفاً .

فكيف يقول ابن يعيش « يجب إعمالها لاغير » !

لعله لم يتنبه إلى ماجاء فى الكتاب ... أو لعله تنبه ، ولكنه تعمد إهماله وعدم الاعتداد به . إذ أنه قليل لايقاس عليه فى نظره ، ولذلك استكثروا أن يطلقوا عليه كلمة (لغة) فقالوا (لغية)[2] .

= إن تكفر تدخل النار ، فيكون المعنى : لايرتع ، إن يرتع يرد ـ وعلى ما قررناه أولا (إذن) منقطع عما قبله مصدر ، كأن المخاطب قال : (لا أزجر) فأجاب بقوله : (إذن يرد) انظر هامش ص١٦ جـ٧ من شرح ابن يعيش (بتصرف) .

(١) راجع شرح المفصل لابن يعيش جـ٧ ص١٦ ط إدارة الطباعة المنيرية .

(٢) انظر جمع الجوامع ٢/٦ ـ ط أولى .

ومنها أنه قال : « فيجوز إعمالها وإلغاؤها » فاعتمد الإلغاء إلى جانب الإعمال ، ولكنه لم يشر إلى صاحب هذا الرأى ... شأنه فى ذلك شأن المبرد ، وكثيرين من المتأخرين . . . . وربما كان ذلك من باب الإيجاز . . . أو عدم التأكد من صاحب الرأى الحقيق ، لبعد العهد بين الرجلين .

* * *

ونذهب إلى مغنى اللبيب لابن هشام الأنصارى (ت ٧٦١ هـ) فنراه يقول : « قال جماعة من النحويين : إذا وقعت (إذن) بعد الواو أو الفاء جاز فيها الوجهان ، نحو (وإذن لايلبثون خلفك إلا قليلا) — (فإذن لايؤتون الناس نقيرا) وقرىء شاذا بالنصب فيهما — والتحقيق أنه إذا قيل : (إن تزرنى أزرك وإذن أحسن إليك) فإن قدرت العطف على الجواب جزمت ، وبطل عمل (إذن) لوقوعها حشوا — أو على الجملتين جميعاً جاز الرفع والنصب لتقدم العاطف ، وقيل يتعين النصب لأن ما بعدها مستأنف ، أو لأن المعطوف على الأول أول — ومثل ذلك (زيد يقوم وإذن أحسن إليه) إن عطفت على الفعلية رفعت ، أو على الاسمية فالمذهبان »[١]

وفى نفس القرن محمد ابن عقيل المعاصر لابن هشام ، والمتوفى بعده بسنوات معدودات[٢] يقول شارحا لقول ابن مالك[٣]

ونصبوا بإذن المستقبلا إن صدرت والفعل بعدُ موصلا
أو قبله اليمين وانصب وارفعا إذا (إذن) من بعد عطف وقعا

---

(١) انظر المغنى ١/٢١ - ط مصطفى محمد .
(٢) توفى ابن عقيل سنة ٧٦٩ هـ على حين توفى ابن هشام سنة ٧٦١ هـ .
(٣) راجع (ألفية ابن مالك) باب إعراب الفعل .

« تقدم أن من جملة نواصب المضارع (إذن) ولا ينصب بها إلا بشروط :

أحدها : أن يكون الفعل مستقبلا .

الثانى : أن تكون مصدرة .

الثالث : ألا يفصل بينها وبين منصوبها .

وذلك نحو أن يقال : أنا آتيك . فتقول : (إذن أكرمك) . فلو كان الفعل بعدها حالا لم ينصب ، نحو أن يقال : أحبك ، فتقول : (إذن أظنك صادقا) فيجب رفع أظن ، وكذلك يجب رفع الفعل بعدها إن لم تتصدر ، نحو (زيد إذن يكرمك) فإن كان المتقدم عليها حرف عطف جاز فى الفعل : الرفع والنصب ، نحو (وإذن أكرمك) وكذلك يجب رفع الفعل بعدها ، إن فصل بينها وبينه ، نحو (إذن زيد يكرمك) فإن فصلت بالقسم نصبت ، نحو (إذن والله أكرمك)[١]

وقريب من هذا ما جاء فى الأشمونى[٢] ، وشرح التصريح[٣] ، ثم جاء السيوطى (ت ٩١١ هـ) فقال فى (جمع الجوامع) وهو يتحدث عن الفعل المضارع بعد (إذن) : « والرفع حينئذ لغية ، أنكرها الكوفيون ، فإن وليت عاطفا قل النصب »[٤] — ثم قال فى (همع الهوامع) : « وإن وليت عاطفا قل النصب ، والأكثر فى لسان العرب إلغاؤها ، قال تعالى : (وإذاً لا يلبثون خلافك إلا قليلا) — (فإذاً لا يؤتون الناس نقيرا) . وقرىء شاذا (لا يلبثوا — ولا يؤتوا) فمن ألغى راعى تقدم حرف العطف ، ومن

(١) شرح ابن عقيل ٢/٣٤٤ فما بعدها .

(٢) باب إعراب الفعل .

(٣) شرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهرى .

(٤) راجع (جمع الجوامع ٢/٦) ط أولى .

أعمل راعى كون ما بعد العاطف جملة مستأنفة »[١] ثم قال : « وإلغاء (إذن) مع اجتماع الشروط لغة لبعض العرب ، حكاها عيسى بن عمر ، وتلقاها البصريون بالقبول ، ووافقهم ثعلب ، وخالف سائر الكوفيين ، فلم يجز أحد منهم الرفع بعدها ، قال أبو حيان : ورواية الثقة مقبولة ، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ ، إلا أنها لغة نادرة جداً ، ولذلك أنكرها الكسائى والفراء على اتساع حفظهما ، وأخذهما بالشاذ والقليل »[٢]

تعقيب :

لقد أفادنا صاحب الهمع إفادة جديدة جليلة ... حيث نبهنا إلى أن القياس الذى تفرد به يونس فى هذه المسألة هو الأكثر فى لسان العرب ، فهو قياس يسنده السماع الكثير ـ ومن هنا وجب علينا الاعتراف بالعبقرية الفذة عند يونس بن حبيب ... ذلك أنه هو الذى قال بإلغاء (إذن) حينما تقع بعد العاطف ... وقد نص على ذلك سيبويه حين قال : « وهذا قول يونس »[٣] وكان له الفضل الأول فى نسبة هذا الرأى إلى صاحبه يونس ، ولولا سيبويه لضاع هذا القياس الناضج فى غمار التعميم دون أن يعرف له قائل محدد .

ثم جاء السيوطى فوضع النقط فوق الحروف ، وأفادنا جديداً حين قال : إن الإلغاء هو الأكثر فى لسان العرب ، وإن النصب على الإعمال أقل من الإلغاء ـ استمع إليه يقول فى (إذن) : « وإن وليت عاطفا قل النصب ، والأكثر فى لسان العرب إلغاؤها »[٤] .

---

(١) انظر همع الهوامع ٢/٧ ـ ط أولى .
(٢) المصدر السابق .
(٣) الكتاب ١/٤١٢ ط بولاق .
(٤) همع الهوامع ٢/٧ ط أولى .

صحيح أن السيوطى لم يصرح بأن الإلغاء هو قول يونس .. لكنه صرح بأن الإلغاء هو الأكثر فى لسان العرب ... وتلك فائدة من فوائد تتبع الفكرة فى العصور المختلفة ، للتوثيق من ناحية ، وللتعرف على تطورها من ناحية أخرى ، ومن خلال ذلك يستطيع الدارس أن يتأمل ، وأن يستنتج ماشاء له الاستنتاج ، وقد شاء القدر أن يتحفنا بأن هذا القياس ليونس وأنه هو الأكثر فى اللسان العربى ، وبهذا يكون قد جمع بين الحسنيين : « القياس القوى ، والسماع الكثير » .

وهناك لمحة جميلة أشار إليها صاحب الهمع أيضاً ... وهى أن البصريين تقبلوا هذه اللغة النادرة[١] بقبول حسن ... على حين أباها الكوفيون وهم يأخذون بالشاذ والقليل ... وهذا شيء يدعو إلى العجب ، وكان العكس هو الصحيح المتعارف بين المدرستين .

حقاً إن هذا النص يمثل ظاهرة غريبة فى المدرستين معاً ... وكان المفروض أن يرفض البصريون هذه اللغة النادرة ... تلك التى تلغى عمل (إذن) مع توافر جميع الشروط ... غير أنهم تقبلوها واعتمدوها مع اعترافهم بأنها لغة نادرة ... ربما كان هذا التقبل بسبب الثقة المطلقة التى يتمتع بها عيسى بن عمر ، وقد حكى هذه اللغة بنفسه عن بعض العرب ...

أقول : ربما كان هذا هو السبب ... لكنه احتمال ضعيف لا أستطيع أن أعتمد عليه طويلا ، وقد رأيتهم أكثر من مرة يرفضون السماع الموثوق به كل الثقة ، حتى ولو كان وارداً فى القرآن الكريم[٢] .

---

(١) وهى إلغاء (إذن) مع توافر جميع الشروط .

(٢) راجع (سيبويه والقراءات) للدكتور أحمد مكى الأنصارى ـ توزيع دار المعارف بمصر ، ففيه كثير من النماذج القوية فى إثبات هذه القضية ، من القراءات السبعية وغير السبعية .

ومن الجانب الآخر ... ما الذى دعا الكوفيين إلى أن يرفضوا هذه اللغة ، مع أن الصبغة العامة فى مذهبهم هى اتساع الرواية ، واعتماد ماورد به الأثر مهما كان قليلا نادراً ؟ وما الذى جعل الكسائى إمام أهل الكوفة ينكر هذه اللغة ؟

أما الفراء فإنى أعرف سبب إنكاره تمام المعرفة ، وهو فى هذا يتسق مع مذهبه البغدادى ، ذلك الذى يمزج بين المذهبين جميعاً ، وقد ثبت لدينا أن أبا زكريا الفراء هو المؤسس الحقيقى للمدرسة البغدادية(١) ، وهذا شاهد جديد على أن الفراء كان ينزع منازع أهل البصرة أحياناً فى رفض الوارد من الشواهد مهما كان الراوى موثوقاً به . فليس غريباً من الفراء أن يلجأ إلى الإنكار ، وإنما الغريب حقاً هو إنكار الكسائى الكوفى ، وخروجه على مذهبه فى تقبل الوارد من الشواهد ...

ومهما يكن من شىء فإن هذا النص يمثل ظاهرة غريبة فى المدرستين معاً .. غير أن هذه الظاهرة وأمثالها لاترقى إلى درجة التشكيك فى وجود المدارس النحوية ، فتلك قضية ثابتة الدعائم ، وقد فرغنا من إثباتها(٢) كما فرغ الكثيرون من أقطاب العلماء قديماً ... وفى العصر الحديث .

ويخطىء من يظن أن المدارس النحوية تلتزم بمنهجها فى كل وقت وحين ... وإنما الحكم دائماً على الأغلب الأعم ... ولما كان الغالب على البصريين هو رفض القليل النادر بخلاف الكوفيين ... كان قبول هذه اللغة عجيباً من البصريين ... كما كان رفضها أعجب من الكوفيين . . . أما الفراء فكان متسقاً مع مذهبه تمام الاتساق .

---

(١) راجع (أبو زكريا الفراء) للدكتور أحمد مكى الأنصارى ـ توزيع دار المعارف ، وبخاصة ص ٣٦٦ فما بعدها .

(٢) المصدر السابق ص ٢٥٢ فما بعدها .

أنموذج (ب)

تصغير (أحوى) وأمثالها

قال يونس : إن (أحوى) تصغر على (أحيٌّ) وتكون ممنوعة من الصرف قياسا لها على كلمة (أحمر) وأمثالها ... وخالفه فى ذلك عيسى بن عمر فقال : إنها تصغر على (أحيٍّ) ولكنها تصرف فيدخلها التنوين ... كما خالفه أيضا أبو عمرو بن العلاء فقال : إنها (أحيٍّ) بياء مشددة مكسورة منونة ، ويبدو أنه يريد أن يعاملها معاملة المنقوص مثل (قاضٍ) .

ثم جاء سيبويه إمام النحاة فوازن بين هذه الآراء الثلاثة لهؤلاء الأقطاب الأفذاذ ... وأخيرا حكم ليونس وفضله على صاحبيه بعد أن ناقش رأى أبى عمرو مناقشة علمية هادفة ، وأبان أنه مخالف للقياس فى (عطاء وسقاية) وغيرهما من الكلمات .

أما رأى عيسى بن عمر فإنه حكم عليه بالخطأ حين قال : « وأما عيسى فكان يقول (أحيٌّ) ويصرف ، وهذا خطأ »(١)

وأما رأى يونس بن حبيب فقد أشاد به سيبويه حينما وصفه بأنه هو القياس ، وهو الصواب(٢)، وإليك القصة من أولها :

قال سيبويه : « هذا باب تحقير بنات الياء والواو اللاتى لاماتهن ياءات وواوات ... واعلم أنه إذا كان بعد ياء التصغير ياآن حذفت التى هى آخر الحروف ، ويصير الحرف على مثال (فُعيل) ويجرى على وجوه العربية ، وذلك قولك فى عطاء عُطىٌّ ، وقضاء قضىٌّ ، وسقاية سقية ، وإداوة أديَّة ،

---

(١) الكتاب ٢/١٣٢ ط بولاق .
(٢) المصدر السابق .

وفى شاوية شوية وفى غاو غوّى ... ، وكذلك (أحوى) إلا فى قول من قال أسَيْوِد ولا تصرفه ، لأن الزيادة ثابتة فى أوله ، ولا يلتفت إلى قلته كما لا يلتفت إلى قلة (يضع) ـ وأما عيسى فكان يقول (أحىٌّ) ويصرف ، وهذا خطأ ، لو جاز ذا لصرفت (أصمّ)(١) لأنه أخف من (أحمر) ... وأما أبو عمرو فكان يقول : (أُحَىٍّ) ولو جاز ذا لقلت فى عطاء عطىٍّ ، لأنها ياء كهذه الياء ، وهى بعد ياء مكسورة ، ولقلت فى سقاية سقية ، وشاوٍ شوىٍّ ـ وأما يونس فقوله : هذا (أُحىُّ) كما ترى وهو القياس والصواب»(٢)

تعقيب :

هذا الحديث جاء فى باب التصغير ، ويسميه سيبويه (التحقير) أيضا ، بل إنه هو الاسم المفضل عنده ، لدورانه كثيرا فى الكتاب ، ولأنه عنون به هذا الباب فقال : (هذا باب تحقير بنات الياء ... الخ) .

وبالرغم من أن الحديث فى باب التصغير إلا أن الحكم الذى اختلفوا فيه يدخل فى (باب مالا ينصرف) ، لأنهم لم يختلفوا فى صيغة التصغير ، وإنما اختلفوا فى ضبط آخر الكلمة :

(١) فقال عيسى : (أحىٌّ) بياء مشددة مع التنوين ، فهى مصروفة عنده ، غير أن سيبويه رفض هذا الرأى وخطأ صاحبه .

---

(١) قال السيرافى : « ورأيت أبا العباس المبرد يبطل رد سيبويه (بأصم)ـ قال : لأن (أصم) لم يذهب منه شىء ، لأن حركة الميم الأولى فى (أصمم) قد ألقيت على الصاد ـ وليس هذا بشىء ، لأن سيبويه إنما أراد الخفة مع ثبوت الزائد والمانع من الصرف لا يوجب صرفه ، وأصم أخف من أصمم الذى هو الأصل ، ولم يجب صرفه ، وكذلك لو سمينا رجلا بيضع ، ويعد ، لم نصرفه وإن كان سقط حرف من وزن الفعل » اهـ هامش ص ١٣٢ جـ ٢ من الكتاب .

(٢) راجع كتاب سيبويه ١٣٢/٢ ط بولاق .

(ب) وقال يونس : إنها ممنوعة من الصرف فلا تنون .

(ج) وقال أبو عمرو : (أحي) بياء مشددة مع الكسر والتنوين ، ذهب بها مذهب (قاضٍ) فلم تحظ بالقبول .

وهذا من الأقيسة التى تفرّد بها يونس كما يقول القدماء ، فهو حين منعها من الصرف قاسها على كلمة (أحمر) ، فهما متماثلتان وزنا وأصالة وزيادة... فكان لزاما أن تكون كلمة (أحوى) مماثلة لكلمة (أحمر) فى الحكم أيضا ، فتكون ممنوعة من الصرف - وقد أعجب سيبويه بهذا القياس الموفق ، فنوه به ، ووصفه بأنه هو القياس ، وهو الصواب .

أنموذج (ج)

(نونا التوكيد)

ومن الأقيسة التى تفرد بها يونس بن حبيب قياس العرض والتحضيض على نظير لها وهو الاستفهام ... فيأخذ كل منهما نفس الحكم الذى يأخذه الاستفهام ، من حيث دخول نون التوكيد على الفعل بعده جوازا ... وهو قياس موفق إلى حد كبير ، ولهذا قال عنه سيبويه : (وهذا أقرب) ، وإليك النص بالتفصيل :

قال سيبويه : « هذا باب النون الثقيلة والخفيفة[1]... (ثم قال) « ومن مواضعها الأفعال غير الواجبة التى تكون بعد حروف الاستفهام...فصارت بمنزلة أفعال الأمر والنهى ، فإن شئت أقحمت النون ، وإن شئت تركت

---

(١) الكتاب ٢/١٤٩ ط بولاق .

كما فعلت ذلك فى الأمر والنهى ... قال الأعشى :

فهــــل يمنعنّى ارتيادى البلا دَ من حذر الموت أن يأتين·[١]

...(ثم قال) ... وزعم يونس أنك تقول (هلاّ تقولنّ ، وألا تقولنّ) وهـذا أقرب ، لأنك تعرض ، وكأنك قلت : افعل ، لأنه استفهام فيه معنى العرض »[٢].

وغنى عن البيان أن نقول : إن العرض هنا معناه الطلب ، فإذا كان طلبا فيه شدة سمى تحضيضا ، وإن كان فيه لين ورفق سمى (عرضا) فى اصطلاح النحاة المتأخرين الذين فرقوا بين الأداتين (هلا) و (ألا) بينما نرى سيبويه فى هذا النص يأتى بهما فى قـَرَن واحد ، ثم يطلق عليهما معاً لفظ العرض[٣] دون تفرقة بينهما .

والذى يعنينا هنا هو بيان القياس الذى تفرد به يونس ، وارتضاه سيبويه إمام النحاة .

* * *

وهناك أقيسة أخرى ليونس فى هــــذا الباب[٤]... غير أن سيبويـ

(١) هذا البيت من بحر المتقارب ، وفيه يقول الأعلم الشنتمرى : « الشاهد فيه توكيد يمنعى بالنون الثقيلة ، لأنه مستفهم عنه غير واجب ، كالأمر ، فيؤكد كما يؤكد الأمر - والارتياد : المجىء والذهاب ، أى لا يمنع من الموت التجول فى آفاق الارض حذرا منه ، ولا الإقامة فى الديار تقربه قبل وقته ، فاستعمال السفر أجمل ، لان الموت بأجل » - ١٥١/٢ هامش الكتاب - وانظر البيت فى الهمع ٧٨/٢

(٢) راجع الكتاب ج ٢ ص ١٥١ و ص ١٥٢ ط بولاق .

(٣) فى قوله : (لأنك تعرض) .

(٤) المراد باب (نونى التوكيد) .

لا يرتضيها منه ، مع أن لها نظائر فى قراءة بعض السلف ، كما سيأتى بالتفصيل، ولنبدأ برأى سيبويه فى الكتاب ، ثم نستعرض آراء النحاة الآخرين على مرّ العصور ، ونعقب عليها تأييدا أو تفنيدا ، وإليك البيان :

قال سيبويه : (هذا باب النون الثقيلة والخفيفة)[1] وتحدث عن كثير من الأحكام ، ثم قال[2]« ومن مواضعها أفعال غير الواجب التى فى قولك (بجهدٍ ما تبلغنّ) وأشباهه ، وإنما كان ذلك لمكان (ما) ، وتصديق ذلك قولهم فى مَثَل : (فى عضة ماينبتن شكيرها) - وقال أيضا فى مَثَل آخر : (بألم ماتُختَنَنَّه) - وقالوا : (بعين ما أرينَّك) فـ (ما) هنا بمنزلتها فى الجزاء .

ويجوز للمضطر (أنت تفعلن ذاك) شبهوه بالتى بعد حروف الاستفهام، لأنها ليست مجزومة ، والتى فى القسم مرتفعة فأشبهتها فى هذه الأشياء ، فجعلت بمنزلتها حين اضطروا - وقال الشاعر (جذيمة الأبرش) :

ربما أوفيت فى علم ترفعن ثوبى شمالاتُ[3]

وزعم يونس أنهم يقولون : (ربما تقولن ذاك ، وكثر ما تقولن ذاك) لأنه فعل غير واجب ، ولا يقع بعد هذه الحروف إلا و (ما) له لازمة ،

---

(١) الكتاب ١٤٩/٢ ط بولاق .

(٢) الكتاب ١٥٣/٢

(٣) قال الأعلم الشنتمرى : « الشاهد فيه إدخال النون ضرورة فى (ترفعن)... والشاعر يصف نفسه بأنه يحفظ أصحابه فى رأس الجبل إذا خافوا من عدو ، فيكون طليعة لهم - والعرب تفخر بهذا لأنه دال على شهامة النفس، وحدة النظر - والعلم : الجبل - والشمالات : جمع الشمال من الرياح - وخصها لأنها تهب بشدة فى أكثر أحوالها ، وجعلها ترفع ثوبه لإشراف المرقبة التى يربأ فيها لأصحابه » هامش الكتاب ١٥٣/٢ (بتصرف) .

فأشبهت عندهم لام القسم ، وإن شئت لم تقحم النون فى هذا النحو ، فهو أكثر وأجود وليس بمنزلته فى القسم ، لأن اللام إنما ألزمت اليمين ، كما ألزمت النون اللامَ ، وليست مع المقسم به بمنزلة حرف واحد ، ولو لم تُلزم اللام التبس بالنفى إذا حلف أنه لا يفعل ، فـ (ما) تجىء لتسهل الفعل بعد (رب) فلا يشبه ذا القسم ، ومثل ذلك (حيثما تكونن آتك) لأنها سهلت الفعل أن يكون مجازاة - وإنما كان ترك النون فى هذا أجود لأن (ما) . و (رب) بمنزلة حرف واحد ، وليست كـ (ما) التى فى (بألم ما تختنِنّه) لأنها ليست مع ماقبلها بمنزلة حرف واحد ، ولأن اللام لا تسقط كما تسقط (ما) من هذا إن شئت » .

ثم قال فى موطن آخر : عند الحديث عن النون الخفيفة فى الوقف بعد الضمة والكسرة - ما يأتى : « وقال الخليل : إذا كان ما قبلها مكسورا أو مضموما ثم وقفت عندها لم تجعل مكانها ياء ولا واوا ، وذلك قولك للمرأة وأنت تريد الخفيفة : (اخشَىْ) - وللجميع وأنت تريد النون الخفيفة : (اخشَوْا) - وقال : هو بمنزلة التنوين إذا كان ماقبله مجرورا أو مرفوعا .

وأما يونس فيقول : (اخشَيِى) ، و (اخشَوُوا) يزيد الياء والواو بدلا من النون الخفيفة من أجل الضمة والكسرة .

فقال الخليل لا أرى ذاك إلا على قول من قال : (هذا عمرُو ومررت بعمرِى) - وقول العرب على قول الخليل .

وإذا وقفتَ عند النون الخفيفة فى فعل مرتفع لجميع رددت النون التى تثبت فى الرفع ، وذلك قولك وأنت تريد الخفيفة (هل تضربِينْ ، وهل تضربونْ ، وهل تضربانْ) ولا تقول : (هل تضربونا) فتجريها مجرى التى ثبتت مع الخفيفة فى الصلة ،

وينبغي لمن قال بقول يونس في (اخشيِ واخشَوُا) إذا أراد الخفيفة أن يقول (هل تضربوا) يجعل الواو مكان الخفيفة ، كما فعل ذلك في (اخشيِ) لأن ماقبلها في الوصل مرتفع إذا كان الفعل في الجميع ، ومنكسر إذا كان للمؤنث »[1] .

وكذلك اختلف سيبويه مع يونس في بعض الأحكام التي أوردها تحت عنوان (هذا باب النون الثقيلة والخفيفة في فعل الاثنين وفعل جميع النساء)[2] ووصف رأى يونس ومن وافقه بأنه خارج عن كلام العرب ، ولا نظير له في كلامهم - استمع إليه يقول : « وأما يونس وناس من النحويين فيقولون: (اضربان زيداً ، واضربنان زيداً) فهذا لم تقله العرب ، وليس له نظير في كلامها - لا يقع بعد الألف ساكن إلا أن يدغم .

ويقولون في الوقف : (اضربا واضربنا) فيمدون ، وهو قياس قولهم ، لأنها تصير ألفا ، فإذا اجتمعت ألفان مُدّ الحرف ، وإذا وقع بعدها (ألف ولام) أو (ألف موصولة) جعلوها همزة مخففة ، وفتحوها - وإنما القياس في قولهم أن يقولوا (اضربَ الرجل) كما تقول بغير الخفيفة إذا كان بعدها (ألف وصل) ، أو (ألف ولام) ذهبت - فينبغي لهم أن يذهبوها لذا ، ثم تذهب الألف كما تذهب الألف وأنت تريد النون في الواحد ، إذا وقفت فقلت (اضرِبَا) ثم قلت (اضربَ الرجلَ) لأنهم إذا قالوا (اضربانْ زيدا) فقد جعلوها بمنزلتها في (اضرِبَنْ زيدا) فينبغي لهم أن يُجروا عليها هناك ما يُجرى عليها في الواحد»[3] .

ثم جاء السيرافي شارح الكتاب ، فعلق على قوله (فإذا اجتمعت ألفان

---

(١) الكتاب ١٥٥/٢ ط بولاق .
(٢) المصدر السابق .
(٣) الكتاب ١٥٧/٢

بمد الحرف) فقال : « وكان الزجاج ينكر هذا ، ويقول : لو مدت الألف الواحدة وطال مدها مازادت على ألف ، لأن الألف حرف لا يتكرر — والذى قاله سيبويه على قياس قول القوم : إنه يجتمع ألفان وليس هذا بمنكر ، وهو أن تقدر أن ذلك المد الذى زاد بعد النطق بالألف الأولى يرام بها ألف أخرى وإن لم ينكشف فى اللفظ كل الانكشاف »[١] .

تعقيب :

(ا) لعلك تلحظ أن يونس جاء بقياس جديد حينما شبه (ما) بلام القسم ، وذلك فى قولك (ربما تقولن ... وكثر ماتقولن ...) وهو فى هذا وذاك يعتمد على السماع من العرب ، وآية ذلك أن سيبويه يقول : « وزعم يونس أنهم يقولون . الخ »[٢] ، ولم يفعل شيئاً أكثر من قبول هذا السماع ، ثم البحث له عن علة ونظير فى اللسان العربى ... فوجد هذا النظير فى لام القسم من حيث اللزوم ...

غير أن سيبويه كان متيقظا غاية اليقظة حين بيّن فساد هذا التشبيه بين (ما) ولام القسم ... كما أنه كان معتدلا كل الاعتدال حينما تقبل رأى يونس ، مع بيان أن غيره أجود منه ، حيث قال : « وإن شئت لم تقحم النون فى هذا النحو ، فهو أكثر وأجود ، وليس بمنزلته فى القسم ... وإنما كان ترك النون فى هذا أجود ، لأن (ما) و (رب) بمنزلة حرف واحد ... واللام ليست مع القسم به بمنزلة حرف واحد »[٣] .

والرأى عندى هو رأى سيبويه فهذا قياس مع الفارق ، فليست المشابهة بينهما منطبقة تمام الانطباق ... لكننى مع يونس فى قبول الوارد من

(١) هامش الكتاب ١٥٧/٢ ط بولاق .

(٢) راجع الكتاب ١٥٣/٢

(٣) المصدر السابق .

السماع ، فهو فى هذا موفق كل التوفيق ، غير أنه لم يعثر على التعليل القوى الذى يؤيد به هذا السماع .

(ب) وهناك ملحظ آخر وهو أن سيبويه يعارض رأى يونس ، ويرى رأى الخليل فى الوقف على النون الخفيفة بعد الضمة والكسرة ، بحيث لايأتى مكان النون (بياء) أو (واو) ، بخلاف يونس فإنه يأتى بياء زائدة بعد الكسرة بدلا من النون عند الوقف فيقول (اخشِي) ، كما يأتى بواو زائدة بعد الضمة بدلا من النون فيقول (اخشوُا) .

وهنا يقف سيبويه إلى جانب الخليل يؤيده ويزكيه بقوله : « وقول العرب على قول الخليل[١] » . ولست أدرى على وجه اليقين ... ماذا يريد سيبويه بهذه العبارة ؟ هل يريد أن العرب لم تنطق إطلاقاً بمثل ماجاء به يونس ، وأن هذا الرأى من الأقيسة المتفردة التى لايسندها شىء من السماع على الإطلاق ؟ أو أنه يريد بأن الكثير من قول العرب جاء على قول الخليل ، فهو يريد الكثرة ولايريد الإحصاء والاستقصاء ؟

ومهما يكن من شىء فإن سيبويه لا يرتضى هذا الرأى من يونس البصرى ، وحسبه ذلك .

(ج) على أن سيبويه فى موطن آخر كان صريحاً فى وصف رأى يونس بالخروج عن كلام العرب ، وذلك حين قال : « وأما يونس وناس من النحويين فيقولون : (اضربانْ زيداً ، واضربنانْ زيداً) فهذا لم تقله العرب ، وليس له نظير فى كلامها .. »[٢] .

ويبدو أن الذى ابتكر هذا الرأى هو يونس بن حبيب ... ثم وافقه

---

(١) الكتاب ٢/١٥٥

(٢) الكتاب ٢/١٥٧

عليه آخرون من النحويين ، ذلك أن يونس هو صاحب القياس المتفرد ... وقد اشتهر بذلك عند القدماء ، ورأيناه رأى العين فيما لدينا من الآراء ، ثم إن سيبويه أسند الرأى إليه ، فصرح باسمه ، على حين عمم فى الآخرين فقال : « وناس من النحويين » فتلك قرينة من القرائن القوية وإن لم تبلغ حد التصريح بالوضع والابتكار .

(د) على أن نص سيبويه فيه بعض الغموض ، وربما كان رأى المبرد فى المقتضب موضحاً لرأى سيبويه حيث يقول « وكان يونس بن حبيب يرى إثباتها فى فعل الاثنين وجماعة النسوة ، فيقول : (اضربانْ زيدا) ، وللنساء: (اضربنانْ زيدا) فيجمع بين ساكنين ، ولا يوجد مثل هذا فى كلام العرب إلا أن يكون الساكن الثانى مدغماً والأول حرف لين ...

فإذا وقف يونس ومن يقول بقوله قال للاثنين : (اضربا) وللجماعة من النساء : (اضربْنا) وإذا وصل فعل الاثنين قال : (اضربانِ الرجل) ـ وهذا خطأ على قوله ، إنما ينبغى على قياس قوله أن يقول : (اضربَ الرجل) فيحذف النون ، لأنها تحذف لالتقاء الساكنين ... ثم تحذف الألف التى فى (اضربا) لعلامة التثنية ، لأنها أيضاً ساكنة ، فيصير لفظُه لفظَ الواحد إذا أردت به النون الخفيفة ، ولفظ الاثنين بغير نون إذا حذفت ألفها لالتقاء الساكنين »[1] .

وإذا ذهبنا إلى ابن يعيش رأيناه يقول فى شرح المفصل :

« وكل موضع تدخل فيه الشديدة فإن الخفيفة تدخل فيه أيضاً إلا مع فعل الاثنين وفعل جماعة النساء ، فإن الخليل وسيبويه كانا لا يريان ذلك وكان يونس يرى ذلك .

---

(١) المقتضب للمبرد جـ٣ ص٢٤ تحقيق فضيلة الأستاذ محمد عبد الخالق عضيمة.

وقالوا اضربنان فالألف هنا شبيه بالألف الفاصلة بين الهمزتين فى نحو « أأنذرتهم أم لم تنذرهم ، وأأنت قلت للناس » لأنه بالفصل بينهما يزول الاستثقال ، وسيبويه لا يرى إدخال نون التوكيد الخفيفة لما يؤدى إليه من اجتماع الساكنين على غير شرطه وهما النون وألف الوصل ، وكان يونس يجيز ذلك ، ويقول: اضربنان وهل تضربنان كما يفعل فى التثنية وكأنه يكتفى بأحد الشرطين وهو المد الذى فى الألف » (١)

وفى موطن آخر يقول :

« وكان يونس يبدل من النون الخفيفة إذا انضم ما قبلها واوا ، ومن المكسور ما قبلها ياء ، قياساً على المفتوحة فيقول فى اخشون (اخشوُوا) وفى اخشين (اخشي) وهو على قياس من يبدل من التنوين فى حال الرفع والجر وسيبويه لا يجيز ذلك .. » (٢) .

أما العلامة الرضى (٦٨٤هـ) فإنه قال فى شرح الكافية لابن الحاجب :

« والنون الخفيفة تحذف للساكنين مطلقاً وقال سيبويه عن يونس إنه إذا جاء بعد النون المخففة فى (اضربان واضربنان) ساكن تبدلها همزة مفتوحة نحو اضرباءِ الرجل واضربناءِ الرجل ـ قال سيبويه لو جوزنا إلحاق الخفيفة بالمثنى فالقياس حذفها للساكنين كما يحذف اتفاقا فى المفردين المذكر والمؤنث وجمع المذكر فيسقط الألف أيضاً فى اللفظ للساكنين ، وإذا وقف على فعل فى آخره نون خفيفة نحكمها حكم التنوين أعنى أنه يقلب المفتوح ما قبلها ألفا نحو (اضربا فى اضربن) قال سيبويه : وقياس مذهب يونس فى (اضربان واضربنان) أن تقلب النون الخفيفة ألفا فتجد فيها المدة الطولى بقدر ألفيهما وقال الزجاج لو مدت الألف وطال مدها ما زادت على الألف لأنها حرف

(١) شرح ابن يعيش على المفصل جـ ٩ ص ٣٨ ط المنيرية .

(٢) المصدر السابق جـ ٩ ص ٩٠

لا تتكرر ولا يؤتى بعدها بمثلها وقال السيرافى ليس هذا الذى أنكره الزجاج بمنكر، وذلك أنه يقدر أن المد الذى يزاد بعد النطق بالألف الأولى يرام به ألف آخر وإن لم ينفصل عن الأولى ولم يتميز — ويحذف فى الوقف المضموم ما قبلها والمكسور ما قبلها نحو اضربن ، وكان يونس يقول : أقلبها واوا بعد الضمة فى نحو اخشون ، وياء بعد الكسرة فى نحو اخشين فأقول اخشوا واخشى قال الخليل لا أرى ذلك إلا على مذهب من قال من أهل اليمن هذا زيدُو ومررت بزيدِى وهى غير فصيحة ، وأما فى نحو اضربُن واضربِن فيقول يونس اضربوا واضربى وفاقا لغيره فى اللفظ إلا أن الواو والياء عنده عوضان فى النون وعند غيره هما الضميران المردودان بعد حذف النون كما يجىء ، ويقول فى هل تضربُن وهل تضربِن هل تضربوا وهل تضربى بلا نون ، والواو والياء بدلان من المخففة وعند غيره هل تضربون وهل تضربين والواو والياء ضميران ردا بعد حذف نون التأكيد مع رد النون التى سقطت لأجل نون التأكيد كما يجىء (قوله فيرد ما يحذف) يعنى إذا حذف النون أعيد الفعل الموقوف عليه ما أزيل فى الوصل بسببها من الواو والياء وحدهما كما تقول فى اضربن واضربن واخشون واخشين اضربوا واضربى واخشوا واخشى ، أو من الواو والياء مع النون التى بعدهما كما تقول فى هل تضربن وهل تضربن وهل تخشون وهل تخشين هل تضربون وهل تضربين وهل تخشون وهل تخشين وهذا أيضاً على أنهم قدروا النون المخففة المحذوفة للوقف معدومة من أصلها لعدم لزومها للفعل بخلاف التنوين »[1] .

فأنت تراه قد أفادنا جديداً حينما نسب هذه اللغة التى أشار إليها الخليل ابن أحمد إلى أهل اليمن ، وأنها غير فصيحة .

---

(١) راجع شرح الكافية جـ ٢ ص ٣٧٨ و ص ٣٧٩

أما صاحب همع الهوامع فإنه يقول : « ولا يقع بعد ألف الاثنين ونون الإناث إلا الثقيلة ، نحو اضربان يازيدان ، واضربنان ياهندات ، ولا تقع الخفيفة لأن فيه جمعاً بين ساكنين ، خلافا ليونس والكوفية حيث أجازوا وقوع الخفيفة بعدهما مكسورة — قال ابن مالك : ويؤيده قراءة بعضهم (تدمرانهم تدميرا) . ويمكن أن يكون منه قراءة ابن ذكوان (ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون) ...

وأما سيبويه فإنه قال رداً على من أجاز ذلك هذا لم تقله العرب وليس له نظير فى كلامهم .

وعلى الأول فتكسر الثقيلة فى هذين الحالين لالتقاء الساكنين ، وتفصل النون من نون الإناث بألف على القولين : أى على قول الجمهور ويونس معاً ، أى من أكد بالثقيلة فصل بها ، نحو اضربنان ، ومن أكد بالخفيفة فصل بها نحو اضربنان .

وتحذف الخفيفة لملاقاة ساكن . كقوله :

لا تهين الفقير علك أن   تركع يوما والدهر قد رفعه[1]

---

(١) « استشهد به على أن نون التوكيد الخفيفة تحذف لملاقاة ساكن ... لأنها لو لم تصح للحركة عوملت معاملة حرف المد ، فحذفت لالتقاء الساكنين .

والبيت من شواهد الرضى : قال البغدادى : على أن نون التوكيد الخفيفة تحذف لالتقاء الساكنين ، والأصل لا تهين الفقير ، فحذفت النون وبقيت الفتحة دليلا عليها لكونها مع المفرد المذكر — ورواه الجاحظ فى البيان : لا تحقرن الفقير — ورواه غيره : ولا تعاد الفقير — ولا شاهد فيه .

والبيت من أبيات للأضبط بن قريع السعدى ، أحد شعراء الجاهلية » — الدرر اللوامع ج ٢ ص ١٠٢ فما بعدها (بتصرف) والجملة الأخيرة وهى (أحد شعراء الجاهلية) مأخوذة من الجزء الأول ص ١١١ من المصدر نفسه .

وندر حذفها فى الوصل دونه ، كقوله :

اصرفَ عنك الهموم طارقها [صرفك بالسيف قونس الفرس][1]

وتحذف الخفيفة للوقف بعد كسر أو ضم مردوداً ما حذف لها ، من

---

(١) الشطر الثانى وهو تكملة البيت من الدرر اللوامع ٢/١٠٣ وفيها يقول : « استشهد به على ندور حذف نون التوكيد فى الوصل دون ساكن ... وفى شرح الشواهد الكبرى فإن لم تلاق النون ساكناً فلا تحذف إلا للضرورة — قال ابن عصفور فى كتاب الضرائر ، وذلك نحو ما أنشده أبو زيد فى نوادره :

اضربَ عنك الهموم طارقها ضربك بالسيف قونس الفرس

قال ابن خروف : إنما جاز ذلك على التقديم والتأخير . فتوهم اتصال النون من (اضربن) بالساكن بعده ـ والصحيح أنه حذفها تخفيفاً لما كان حذفها لا يخل بالمعنى ، وكانت الفتحة التى فى الحرف قبلها دليلة عليها .

والبيت من شواهد الكشاف ، قال شارحها : استشهد به فى سورة (ص) عند قوله تعالى : (وإن كثيراً من الخلطاء ليبغىَ بعضهم على بعض) على تقدير القراءة بفتح الياء ، ووجه بأن الأصل ليبغين بنون التوكيد الخفيفة ، والفعل جواب قسم مقدر تقديره (وإن كثيراً من الخلطاء والله ليبغين) فحذف من قوله: (اضرب عنك الهموم طارقها) .

ثم قال : « قوله (اضرب) على تقدير النون الخفيفة وحذفها ، أى اضربن ـ وطارقها : بدل من الهموم بدل البعض من الكل ـ والقونس : موضع ناصية الفرس .

أراد الشاعر أن يقول : ادفع طوارق الهموم عن نفسك واضربها عند غشيانها كما تضرب قونس الفرس عند السوق .

وقد استشهد بالبيت المذكور فى الزخرف عند قوله تعالى : (أفنضرب عنكم الذكر صفحا) بمعنى : أننحى عنكم الذكر وندروه عنكم على سبيل المجاز من =

ياء أو واو لزوال سبب حذفها ، وهو التقاء الساكنين بحذفها ، كقولك في اضربن واضربن اضربى واضربوا .

وقال أبو حيان : الذى يظهر أن دخولها فى الوقف خطأ ، لأنها لا تدخل لمعنى التوكيد ، ثم يحذف ولا يبقى دليل على مقصودها الذى جاءت له .

وأجاز يونس فى هذه الحالة إبدالها ياء و واوا ، ويظهر ذلك ظهوراً بيناً فى نحو اخشون واخشين ، فيقال : اخشى واخشوا .

كما أبدلت ألفاً بعد الفتح إجماعا كقولك فى اضربن اضربا ، وفى التنزيل (لنسفعا) ولذلك رسم بالألف على نية الوقف » (١) .

تعقيب :

ولعلك تلحظ أن الكوفيين وافقوا يونس البصرى على جواز وقوع الخفيفة بعد ألف الاثنين ونون الإناث ... وربما كانوا معتمدين فى ذلك على السماع ... وآية ذلك أن ابن مالك يعزز هذا الرأى بقراءة بعض السلف فى آيتين كريمتين حيث يقول : « ويؤيده قراءة بعضهم (تدمرانهم تدميرا)، ويمكن أن يكون منه قراءة ابن ذكوان (ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون» (٢) .

على أن هذا الرأى من يونس البصرى يتسق تمام الاتساق مع منهجه الذى ارتضاه بزعامة شيخه أبى عمرو بن العلاء ، ويتلخص فى احترام الوارد

= قولهم : ضرب الغرائب عن الحوض ـ وقال طرفة : اضرب عنك الهموم أراد اضربن ، فحذف النون الخفيفة وحرك الباء بالنصب ـ والقونس : عظم ناتىء بين أذنى الفرس ـ والقونس : أيضاً أعلا البيضة ، وقيل الشعر بالعنق اﻫ ـ ونسبة البيت إلى طرفة اختلف فى صحتها » ـ (بتصرف) .

(١) راجع همع الهوامع شرح جمع الجوامع ٢/٧٩

(٢) المصدر السابق .

من الشواهد بوجه عام ، ولهذا سميناه (التيار المنهجى) [١] — كما أنه يتسق مع المذهب الكوفى ، بوجه عام ، ذلك الذى يعتمد السماع ، حتى لو كان من أعرابية رعناء كما يقول المبرد ، فكيف بالسماع من قراءة السلف الصالح!

أما سيبويه فإنه جرى على المألوف من مذهب قومه من البصريين ، ذلك الذى يعتمد القياس ، ويرفض السماع إذا ما تعارض مع هذا القياس [٢] ، ودليلنا هنا فى هذا المقام ... رفض سيبويه للقراءتين الواردتين المؤيدتين لرأى يونس والكوفيين كما يقول ابن مالك — وكأن شيئاً لم يكن من هذه القراءات ... وآية ذلك أنه أنكر إنكاراً تاما حين قال رداً على من أجاز ذلك « هذا لم تقله العرب ، وليس له نظير فى كلامهم » [٣] .

ولست أدرى علام يصدر سيبويه فى هذا الإنكار ؟ أتراه أنكر لأن هذه القراءة فى نظره كانت وليدة الرأى والاجتهاد ، وليست سنة متبعة مروية عن السلف الصالح ؟ أم تراه أنكر لأن القراءات ليست فى مرتبة الكلام العربى المستقى من أفواه الأعراب وأمثالهم ؟

لست أدرى ، وأياً ما كان الأمر فإنه أنكر ... وإنكاره واضح وصريح كل الصراحة ولم يكن هذا غريباً عليه ، فقد عرفناه من قبل يعارض كثيراً من القراءات السبعية المحكمة معارضة صريحة أحياناً ، وخفية فى كثير من الأحايين [٤] .

---

(١) راجع ذلك فى بحثنا (الموازنة بين المناهج البصرية) ص ٤٣ فما بعدها .

(٢) وهو عدم الجمع بين الساكنين .

(٣) انظر همع الهوامع ٢/٧٩

(٤) راجع فى كل ذلك كتاب (سيبويه والقراءات) للدكتور أحمد مكى الأنصارى - توزيع دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٢

على أن الذى يلفت النظر فى هذا النص هو موقف ابن مالك فإنه يؤيد رأى يونس القائل بوقوع الخفيفة بعد الألف ... فى حين أننا نراه فى الألفية يقول :

ولم تقع خفيفـــة بعد الألف   لكن شديدة وكسرها ألف(١)

وربما كان هذا من اختلاف الرأى عنده من كتاب إلى كتاب...وقد وجدنا له نظائر متعددة ... اختلف فيها الرأى من الألفيه إلى التسهيل ... وذلك واضح لكل من له صلة وثيقة بكتاب التسهيل لابن مالك — ولا ضير عليه فى ذلك ... فله مطلق الحرية فى العدول عن رأيه إذا ما تبين له رأى أقوى ... بل إننى أعتبر هذه مزية من المزايا ... وقديماً قالوا : « الرجوع إلى الحق فضيلة » .

وهناك اختلاف فى حركة النون فى القراءتين السابقتين ... هل تكون مكسورة أو تظل على إسكانها ؟ استمع إلى الأشمونى يروى لنا هذا الخلاف فيقول : « ويعضد ماذهب إليه يونس والكوفيون قراءة بعضهم (فدمرانهم تدميرا) حكاها ابن جنى ، ويمكن أن يكون من هذا قراءة ابن ذكوان : (ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون)(٢)» — وهنا علق الصبان على قوله : (ولا تتبعان) فقال : « الواو للعطف ، ولا للنهى ، ونون الرفع محذوفة بها ، والنون مؤكدة — وقال (يمكن) لجواز أن تكون الواو للحال ، ولا للنفى ، والموجود نون الرفع »(٣) .

ثم قال الأشمونى : « ذكر الناظم (يريد ابن مالك) أن من أجاز الخفيفة بعد الألف يكسرها ، وحمل على ذلك القراءتين المذكورتين — وظاهر كلام سيبويه ، وبه صرح الفارسى فى الحجة أن يبقى النون الساكنة ، ونظر ذلك

(١) انظر ألفية ابن مالك ، باب (نونا التوكيد) .

(٢) شرح الأشمونى جـ ٣ ص ١٦٨ - باب (نونا التوكيد) .

(٣) حاشية الصبان على الأشمونى جـ ٣ ص ١٦٨ (بتصرف) .

بقراءة نافع (محياى) »(١) بسكون الياء الثانية ، و « وجهها . الوصل بنيّة الوقف »(٢) .

ثم قال فى الخاتمة :

« أجاز يونس للواقف إبدال الخفيفة ياء أو واواً فى نحو اخشين واخشون ، فتقول : اخشي واخشووا ، وغيره يقول اخشى واخشوا ، وقد نقل عنه إبدالهما واواً بعد ضمة ، وياء بعد كسرة مطلقاً ، وكلام سيبويه يدل على أن يونس إنما قال بذلك فى المعتل ، فإنه قال : وأما يونس فيقول اخشووا واخشيي يزيد الواو والياء بدلا من النون الخفيفة من أجل الضمة والكسرة وهو ما نقله الناظم فى التسهيل ، وإذا وقف على المؤكد بالخفيفة بعد الألف على مذهب يونس والكوفيين أبدلت أيضاً ، نص على ذلك سيبويه ومن وافقه ، ثم قيل وتجمع بين الألفين فيمد بمقدارهما وقيل : بل ينبغي أن تحذف إحداهما ويقدر بقاء المبدلة من النون وحذف الأولى ، وفى الغرة : إذا وقفت على اضربان على مذهب يونس زدت ألفاً عوض النون فاجتمع ألفان فهمزت الثانية فقلت أضرباء (اه) ، وقياسه فى اضربنان اضربناء والله أعلم »(٣) .

على أن ابن عقيل لخص هذه المواطن خير تلخيص حين قال شارحا قول ابن مالك :

ولم تقع خفيفة بعد الألف لكن شديدة وكسرها ألف

« لا تقع نون التوكيد الخفيفة بعد الألف ، فلا تقول (اضربانْ) بنون مخففة ، بل يجب التشديد ، فتقول (اضربانِّ) بنون مشددة مكسورة ، خلافاً

(١) الأشمونى ٣/١٦٨
(٢) حاشية الصبان ٣/١٦٨
(٣) شرح الأشمونى ٣/١٧٠

ليونس ، فإنه أجاز وقوع النون الخفيفة بعد الألف ، ويجب عنده كسرها.
(ثم قال شرحا لقول ابن مالك) :

وألفا زد قبلها مؤكداً فعلا إلى نون الإناث أسندا

إذا أكد الفعل المسند إلى نون الإناث بنون التوكيد وجب أن يفصل بين نون الإناث ونون التوكيد بألف ، كراهية توالى الأمثال ، فتقول: (اضربنان) بنون مشددة مكسورة قبلها ألف

واحذف خفيفة لساكن ردف وبعد غير فتحة إذا تقف
واردد إذا حذفتها فى الوقف ما من أجلها فى الوصل كان عدما
وأبدلنها بعد فتح ألفا وقفا كما تقول فى قفن قفا

إذا ولى الفعلَ المؤكد بالنون الخفيفة ساكنٌ وجب حذف النون لالتقاء الساكنين ، فتقول (اضربَ الرجل) بفتح الباء ، والأصل (اضربنْ) فحذفت النون التوكيد لملاقاة الساكن — وهو لام التعريف — ومنه قوله :

لا تهين الفقير علك أن تركع يوماً والدهر قد رفعه

وكذلك تحذف نون التوكيد الخفيفة فى الوقف ، إذا وقعت بعد غير فتحة — أى بعد ضمة أو كسرة — ويُرد حينئذ ما كان حذف لأجل نون التوكيد ، فتقول فى (اضرُبنْ يا زيدون) إذا وقفت على الفعل (اضربُوا) وفى (اضربِنْ يا هند) اضربى ، فتحذف نون التوكيد الخفيفة للوقف ، وترد الواو التى حذفت لأجل نون التوكيد ، وكذلك الياء ، فإن وقعت نون التوكيد الخفيفة بعد فتحة أبدلت النون فى الوقف أيضا ألفا ، فتقول فى (اضربنْ يا زيد) اضربا [1] .

(١) شرح ابن عقيل ٢/٣١٥ فما بعدها تحقيق فضيلة الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد . (رحمه الله رحمة واسعة) .

تعقيب :

مما يلاحظ على ابن عقيل أنه حذا حذو البصريين هنا حين قال (بل يجب التشديد) وإذا أردنا أن نلتمس له المعاذير قلنا إنه يشرح ألفية ابن مالك ، وقد جاء في الألفية ذلك فجاراها وسار معها ... لكن هذا ليس بالعذر القوى كما ترى ... فلو لم يكن ابن عقيل مؤمناً بهذا الرأى لما ذكره فى صورة تقريرية تشعر القارىء أنه يحتضن هذا الرأى ويرتضيه .

وهناك ملحظ آخر ، وهو أنه أتى برأى قاطع فى حركة النون الخفيفة بعد الألف عند يونس فقال : « ويجب عنده كسرها » — وقد رأينا آنفاً أن الأمر كان مؤرجحاً بين الكسر والإسكان .

ثم إنه أثار حذف النون الخفيفة لالتقاء الساكنين ... وقد ورد حذفها قبل حرف متحرك أيضاً . (أى دون أن يقع بعدها ساكن) ، من ذلك قول الشاعر :

(كما قيل قبل اليوم خالفَ تُذكرا)[١]

حيث حذف نون التوكيد الخفيفة من قوله (خالف) مع أن ما بعدها متحرك وهو (التاء) من (تذكرا) — والأصل (خالفنْ) .

وكذلك قول طرفة[٢] :

اضربَ عنك الهموم طارقها ضربك بالسيف قونس الفرس

حيث حذف نون التوكيد الخفيفة من قوله (اضرب) مع أن ما بعدها متحرك ، وهو (العين) من (عنك) .

ورب قائل يقول : هذا فى الشعر ... فهلا أتيتنا بشاهد من النثر ... !

---

(١) أنشده الجاحظ فى (البيان والتبيين) ـ نقلا عن (منحة الجليل ٣١٨/٢) بتصرف .

(٢) بعض الرواة ينازع فى هذه النسبة ... فلم يسلم البيت لطرفة .

وأقول : هناك شاهد من النثر فى إحدى القراءات ... تلك التى وردت بفتح الحاء من كلمة (نشرح) فى قوله تعالى : (ألم نشرحَ لك صدرك) فكان من جملة ما قيل فيها من الآراء (١) تخريجها على حذف نون التوكيد الخفيفة ... غير أن الذين يمنعون ذلك عارضوا هذا الرأى بأن الحذف هنا ليس على بابه ... لفقدانه أهم أركانه وهو التقاء الساكنين .

وفى نهاية هذا المبحث نعرج على ابن الأنبارى فى كتاب الإنصاف ، لنرى توجيه هذه الآراء ، والاحتجاج لها عند يونس ، والكوفيين ، والبصريين كذلك ، وإليك البيان (٢) :

« ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز إدخال نون التوكيد الخفيفة على فعل الاثنين وجماعة النسوة ، نحو (افعلان وافعلنان) بالنون الخفيفة ، وإليه ذهب يونس بن حبيب البصرى .

وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز إدخالها فى هذين الموضعين .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنه يجوز ذلك لوجهين :

أحدهما : أن هذه النون الخفيفة مخففة من الثقيلة ، وأجمعنا على أن النون الثقيلة تدخل فى هذين الموضعين ، فكذلك النون الخفيفة .

والوجه الثانى : أن هذه النون إنما دخلت فى القسم والأمر والنهى والاستفهام والشرط بإما ، لتوكيد الفعل المستقبل ، فكما يجوز إدخالها للتوكيد على كل فعل مستقبل وقع فى هذه المواضع فكذلك فيما وقع الخلاف فيه ،

(١) هناك رأى آخر يقول : إن (لم) تعمل النصب كما أن (لن) تعمل الجزم .. الخ ـ راجع المغنى لابن هشام الأنصارى .

(٢) انظر المسألة (٩٤) من الإنصاف فى مسائل الخلاف لابن الأنبارى ـ وعنوانها هكذا (هل تدخل نون التوكيد الخفيفة على فعل الاثنين وفعل جماعة النسوة ؟) .

قصارى ما يقدر أن يقال إنه يؤدى إلى اجتماع الساكنين الألف والنون ، وقد جاء ذلك فى كلام العرب ، لأن الألف فيها فرط مد ، والمد يقوم مقام الحركة ، وقد قرأ نافع وهو أحد أئمة القراء (إن صلاتى ونسكى ومحياى) بسكون الياء من (محياى) فجمع بين الساكنين وهما الألف والياء ، وكذلك هاهنا ، وقد حكى عن بعض العرب أنه قال : (التقت حلقتا البطان) بإثبات الألف مع لام التعريف .

وقد حكى عن بعض العرب أيضاً أنه قال : (له ثلثا المال) بإثبات الألف فجمع بينها وبين لام التعريف ، وهما ساكنان لما فى الألف من إفراط المد ، ولذلك أيضاً يجوز تخفيف الهمزة المتحركة إذا كان قبلها ألف نحو (هباءة) والهمزة المخففة ساكنة .

والذى يدل على صحة مذهبنا قراءة ابن عامر (ولا تتبعان)بنون التوكيد الخفيفة ، والمراد به موسى وهارون ، فدل على ماقلناه .

قالوا : ولا يجوز أن يقال : « إنما يجتمع حرفان ساكنان فى الوصل ، إذا كان الثانى منهما مدغما فى مثله ، نحو دابة ، وتُمُودّ وأصيم » لأنا نقول : إن هذا النحو قد يلحقه مايوجب له الإدغام ، نحو قولك « اضربا نعمان ، واضربانى » فالنون الأولى فى قولك (اضربا نعمان) نون التوكيد المخففة ، والنون الثانية نون (نعمان) — وكذلك النون الأولى فى (اضربانى) نون التوكيد المخففة ، والنون الثانية التى تصحب ضمير المتكلم[1]، فينبغى أن تجيزوا هذا الإدغام ،لأن الألف تقع وبعدها نون مشددة ،كقوله تعالى :(ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون) فى قراءة من قرأ بالتشديد ، فلما لم تجيزوا ذلك دل على فساد ما ذهبتم إليه .

---

(١) هى نون الوقاية .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنه لايجوز دخول نون التوكيد الخفيفة فى هذين الموضعين ، وذلك لأن نون الاثنين التى للإعراب تسقط ، لأن نون التوكيد إذا دخلت على الفعل المعرب أكدت فيه الفعلية فردته إلى أصله وهو البناء ، فإذا سقطت النون بقيت الألف ، فلو أدخل عليها نون التوكيد الخفيفة لم يخل : إما أن تحذف الألف ، أو تكسر النون ، أو تقر ساكنة .

بطل أن تحذف الألف ، لأنه بحذفها يلتبس فعل الاثنين بالواحد ، وبطل أن تكسر النون ، لأنه لا يعلم : هل هى نون الإعراب أو نون التوكيد ، وبطل أن تقر ساكنة ، لأنه يؤدى إلى أن يجمع بين ساكنين مظهرين فى الإدراج ، وذلك لايجوز ، لأنه إنما يكون ذلك فى كلامهم إذا كان الثانى منهما مدغما ، نحو (دابّة ، وضالّة ، وتمود الثوب ، ومُدَيْق ، وأُصَيْم)وما أشبه ذلك ، فبطل إدخال هذه النون فى فعل الاثنين .

وكذلك أيضاً يبطل إدخالها فى فعل جماعة النسوة ، وذلك لأنك إذا ألحقته إياها لم يخل : إما أن تبين النونين مظهرتين ؛ أو تدغم إحداهما فى الأخرى ، أو تلحق الألف فتقول (يفعلنان) — بطل أن تبين النونين مظهرتين لأنه يؤدى إلى اجتماع المثلين ، وذلك لايجوز — وبطل أن تدغم إحداهما فى الأخرى ، لأن لام الفعل ساكنة ، والمدغم كذلك ، فيلتقى ساكنان ، وساكنان لايجتمعان ، فيؤدى إلى تحريك اللام مع ضمير الفاعل من غير فائدة ، وذلك لايجوز ، وكان أيضاً يؤدى إلى اللبس ، لأنه لايخلو : إما أن تحرك اللام بالفتح ، أو الضم ، أو الكسر ، فإن حركتها بالفتح التبس بفعل الواحد إذا لحقته النون الشديدة ، نحو (تضربن يارجل) وإن حركتها بالضم التبس بفعل الجمع ، نحو تضربن يارجال) وان حركتها بالكسر التبس بفعل المرأة المخاطبة . نحو (تضربن يا امرأة) فبطل تحريك اللام ، وبطل أن تلحق الألف ، لأنه لايخلو : إما أن تكسر النون لالتقاء الساكنين ، أو تترك ساكنة مع الألف — بطل أن تكسر لالتقاء الساكنين ، لأنها

تجرى مجرى نون الإعراب ، وذلك لايجوز ، وبطل أن تترك ساكنة مع الألف ، لأنه يجتمع ساكنان على غير حده . لأنه لم ينقل ذلك عن أحد من العرب ، ولا نظير له فى كلامهم ، وذلك لايجوز ، فإذا ثبت هذا فلسنا بمضطرين إلى إدخالها على صورة لم تنقل عن أحد من العرب ، وتخرج بها عن منهاج كلامهم .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما قولهم (إن النون الخفيفة مخففة من الثقيلة) قلنا : لانسلم ، بل كل واحد منهما أصل فى نفسه ، غير مأخوذ من صاحبه ، فالنون الشديدة والخفيفة وإن اشتركتا فى التأكيد فهما متغايران فى الحقيقة . وكلتاهما لتأكيد الفعل ، وإخراجه عن الحال ، وإخلاصه للاستقبال ، والثقيلة آكد فى هذا المعنى من الخفيفة .

والذى يدل على أن الخفيفة ليست مخففة من الثقيلة أن الحقيقة تتغير فى الوقف ، ويوقف عليها بالألف ، قال تعالى : (لنسفعاً بالناصية) وقال تعالى (ليسجنن وليكوناً من الصاغرين) أجمع القراء على أن الوقف فى هذين الموضعين (لنسفعاً ، وليكوناً) بالألف لاغير .

وقال الشاعر :

يحسبه الجاهل مالم يعلما　　شيخاً على كرسيه معمما(١)

---

(١) هذان بيتان من مشطور الرجز لأبى الصمعاء مساور بن هند العبسى ، وهما من شواهد سيبويه (٢ / ١٥٢) ... وقد زعم الأعلم أن هذين البيتين فى وصف جبل قد عمه الخصب ، ونما فيه النبات ، فجعله الراجز كشيخ مزمل فى ثيابه ، معمم بعمامته ، وأنه خص الشيخ لوقاره فى جلسته ، وحاجته للاستكثار من الثياب — وليس هذا الكلام بشىء ، بل البيتان فى وصف وطب لبن قد علته رغوة اللبن وتكورت فوقه فأشبهت العمامة ، بدليل أن قبل البيتين قوله :

وقد حلبن حيث كانت قيما　　مثنى الوطاب ، والوطاب الزمما

وقمعا يكسى ثماما قشعما

=

فقال (يعلما) بالألف ، ولا يجوز أن يكون هاهنا بالنون ، لمكان قوله (معمما) بالألف ، لأن النون لا تكون وصلا مع الألف فى لغة من يجعلها وصلا ، ولا رويا مع الميم إلا فى الإكفاء ، وهو عيب من عيوب الشعر ، ولو جاز أن تقع رويا معها لما جاز هاهنا ، لأن النون مقيدة ، والميم مطلقة ، فإن أتى بتنوين الإطلاق على لغة بعض العرب فقال (معمماً) بالتنوين جاز أن يقول (يعلمن) بالنون ، لأنهم يجعلون فى القافية مكان الألف والواو والياء تنوينا ، ولا فرق عندهم فى ذلك بين أن تكون هذه الأحرف أصلية ، أو منقلبة ، أو زائدة ، فى اسم أو فعل ، كما قال الشاعر :

أقلى اللوم عاذل والعتابَنْ وقولى إن أصبت لقد أصابَنْ(١)

= قيما : ـ هو بضم القاف وتشديد الياء ـ جمع قائمة ، والقياس أن يقال : قوم بالواو ـ لأن عين هذه الكلمة واو ، ومثنى الوطاب : أى المتكرر منه ، والوطاب جمع وطب وهو سقاء اللبن خاصة ـ والزمم : جمع زام ، وهو المملوء ـ والقمع ـ بكسر القاف وفتح الميم ـ هو شىء يوضع فى فم السقاء ويصب اللبن فيه مخافة أن يقع على الأرض ـ والثمال ـ بضم الثاء ـ ههنا الرغوة ـ ويحسبه أى الوطب الذى علاه الثمال ـ و (ما) فى قوله (مالم يعلما) مصدرية ظرفية : أى مدة علمه .

ومحل الاستشهاد من هذا البيت قوله (يعلما) ـ والعلماء يستشهدون بهذه الكلمة لشيئين :

أولهما أن نون التوكيد تنقلب ألفا فى الوقف ، ألا ترى الراجز قد جاء بهذه الكلمة فى آخر البيت بالألف ، لأن آخر البيت محل الوقف ؟

والثانى : أن الفعل المضارع المنفى (بلم) تدخل عليه نون التوكيد ، تشبيها (للم) بلا الناهية ـ وسيبويه يرى أن ذلك لايكون إلا فى الضرورة ، الانتصاف ٢/٦٥٤

(١) هذا البيت لجرير ... وهو من شواهد سيبويه (١/٢٩٨ و٢٩٩) وابن جنى فى الخصائص (٢/٩٦) ... وموضع الشاهد فى قوله (العتابن) و (أصابن) حيث لحق التنوين هاتين الكلمتين ، وههنا أشياء متعددة : الأول : أن هذا التنوين يسمى تنوين الترنم ، وهو غير مختص بالأسماء ، بل يدخل الاسم والفعل والحرف =

وكما قال الشاعر :

وقد كنت من سلمى سنين ثمانياً على صِيرِ أمرٍ ما يُمرُّ وما يحلُن.(١)

= ويدخل من الأسماء المتمكن وغير المتمكن ، والمقرون بأل وغير المقرون بها ـ ولو كان مختصاً بالأسماء لما دخل غير الأسماء المتمكنة المجردة من (أل) .

والثانى : أن هذا ضرب من ضروب إنشاد القوافى ، قال سيبويه فى باب وجوه القوافى فى الإنشاد : « وأما ناس كثير من تميم فإنهم يبدلون مكان المدة النون فيما ينون وما لم ينون ، لما لم يريدوا الترنم أبدلوا مكان المدة نوناً ، ولفظوا بتمام البناء وما هو منه ، كما فعل أهل الحجاز ذلك بحروف المد » .

الثالث : أنهم سموا هذا التنوين تنوين الترنم ، مع أنه فى الواقع تنوين المقصود منه ترك الترنم كما سمعت فى عبارة سيبويه ، وقد قال العلماء : إن هذه التسمية على تقدير مضاف ، أى تنوين قطع الترنم ، أو ما أشبه ذلك ـ انظر الانتصاف من الإنصاف ٢/٦٥٥ (بتصرف) .

(١) هذا البيت من كلام زهير بن أبى سلمى المزنى (الديوان ص ٩٦) ... « وصير الأمر ـ بكسر الصاد ـ منتهاه وصيرورته ، تقول أنا من حاجتى على صير أمر ، وعلى صيرورة ، وعلى صُمات ـ بضم أوله ـ وعلى ثبار ـ بكسر أوله ، إذا كنت على شرف منها ـ وقوله (ما يمر) أى ما يكون مراً فأيأس منه وأتخلى عنه ويحلو : أى ما يكون حلوا فأرجوه وأتمنى تمامه .

ومحل الاستشهاد بهذا البيت قوله : (وما يحلن) حيث ألحق هذه الكلمة تنوين الترنم ، أى تنوين قطع الترنم .

على أن حرف المد الذى حذفه المنشد من كلمة (يحلو) وأتى بدله بالتنوين ، هو من أصول هذه الكلمة لأنه لام الفعل ، أما فى (أصابن) وفى (العتابن) فى بيت جرير السابق فحرف المد الذى يأتى المنشد بدله بالتنوين حرف زائد على أصول الكلمة ، وإنما يأتى المنشد بحرف المد أيضاً إذا قصد الترنم ، واستمع إلى سيبويه يقول : « أما إذا ترنموا فإنهم يلحقون الألف والياء والواو ما ينون وما لا ينون لأنهم أرادوا مد الصوت » الانتصاف ٢/٦٥٦ (بتصرف) .

وكما قال الشاعر :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل   بسقط اللوى بين الدخول فحومل(١)

بتنوين الروى ، وإنما يفعلون ذلك إذا أرادوا ترك الترنم ، لأن التنوين ليس فيه من الامتداد ما فى الألف والواو والياء ، فإثبات النون فى (يعلمن) فى القافية على هذه اللغة لا يدل على أنه لا يجب أن يوقف عليها بالألف فى سائر الكلام — وقال الشاعر :

[وإياك والميتات لا تقربنّها]   ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا(٢)

والشواهد على هذا النحو كثيرة جدا ، فلو كانت هذه النون مخففة من الثقيلة ، لما كانت تتغير فى الوقف ، ألا ترى أن نون (إن) ، و (لكن) المخففتين من (إن) و (لكن) الثقيلتين لما كانت مخففتين من الثقيلتين لم تتغيرا فى الوقف عما كانتا عليه فى الوصل ، فلما تغيرت النون الخفيفة فى الوقف دل على أنها ليست مخففة من الثقيلة ، يدل عليه أن النون الخفيفة تحذف فى الوقف إذا كان ماقبلها مضموماً أو مكسوراً ، تقول فى الوصل (هل تضربن زيدا ، وهل تضربن عمرا) فإن وقفت قلت (هل تضربون ، وهل تضربين) فترد نون الرفع التى كنت حذفتها للبناء ، لزوال ما كنت

---

(١) الشاهد فى هذا البيت يتركز فى قوله (ومنزلن) وقوله (فحوملن) حيث ألحق النون فى الكلمتين .

(٢) الشاهد فى هذا البيت يتركز فى قوله (فاعبدن) بنون توكيد خفيفة ، فلما أراد أن يقف عليها أبدلها ألفاً — وهو للأعشى ، وقد روى الرواة صدره هكذا :

وإياك والميتات لا تقربنها

وهو تلفيق بيت واحد من بيتين من أبيات القصيدة ، وقد شرحه العينى (٣٤٠/٤ بهامش الخزانة) وبين انفصال الشطرين ، ويروى :

وذا النصب المنصوب لا تنسكنه   بعاقبة والله ربك فاعبدا

أفاده صاحب الانتصاف ٦٥٧/٢ فما بعدها (بتصرف) .

حذفت النون من أجله ، ولو كانت مثل نون (إن) و (لكن) المخففتين من الثقيلتين لما جاز أن تحذف ، يدل عليه أن النون الخفيفة إذا لقيها ساكن حذفت ، تقول في (اضربن ياهذا) إذا وصلتها (اضرب القوم) فتحذف النون ولا تحركها لالتقاء الساكنين ، ولو كانت مخففة من الثقيلة مثل (إن ولكن) لما كان يجوز أن تحذف ، فدل على أنها ليست مخففة من الثقيلة ، وأنها بمنزلة التنوين ، وإنما وجب حذفها هاهنا بخلاف التنوين ، لأن نون التوكيد تدخل على الفعل ، والتنوين يدخل على الاسم ، والاسم أصل للفعل ، والفعل فرع عليه ، فجعل مايدخل على الاسم الذى هو الأصل أقوى مما يدخل على الفعل الذى هو الفرع ، فلهذا المعنى حذفت النون لالتقاء الساكنين ، ولم يحذف التنوين ، على أنه قد قرأ بعض أئمة القراء : (قل هو الله أحد الله الصمد) بحذف التنوين من (أحد) لالتقاء الساكنين ، وقرأ أيضاً بعض القراء : (ولا الليل سابق النهار) بحذف التنوين من (سابق) — وقال الشاعر :

فألفيته غير مستعتب ولا ذاكر الله إلا قليلا (١)

---

(١) ينسب هذا البيت لأبي الأسود الدؤلي ، وهو من شواهد سيبويه (١/٨٥) وابن جني في الخصائص (١/٣١١) ... وشرح ابن يعيش ص ١٢٣٥ ... ومحل الاستشهاد بهذا البيت قوله : (ولا ذاكر الله) والرواية فيه بنصب لفظ الجلالة على التعظيم ، وهو معمول لذاكر ، وكان من حق العربية عليه أن ينون (ذاكر) لكنه حذف التنوين لضرورة الشعر ، وقد كان يمكنه أن يضيف (ذاكر) إلى لفظ الجلالة ، فيكون حذف التنوين حينئذ واجباً . لا ضرورة ، لكنه آثر أن يرتكب الضرورة على حذفه للإضافة ، لقصد حصول التماثل بين المتعاطفين في التنكير ... وقال الأعلم : الشاهد فيه حذف التنوين من ذاكر لالتقاء الساكنين ونصب ما بعده ، وإن كان الوجه إضافته .. الخ — راجع الانتصاف ٢/٦٥٩ فما بعدها (بتصرف كبير) .

أراد (ذاكرٍ اللهَ) فحذف التنوين لالتقاء الساكنين ، لا للإضافة ، ولهذا نصب (الله) بذاكر ، وقال الآخر :

تذهل الشيخ عن بنيه وتبدى عن خدامِ العقيلةُ العذراء[1]

أراد عن (خدامٍ) فحذف التنوين لالتقاء الساكنين ، لا للإضافة ، ولهذا رفع (العقيلة) لأنها فاعل (تبدى) - وقال الآخر :

تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الأرض مغبر قبيحُ

تغير كل ذى طعم ولون وقل بشاشةَ الوجهُ المليح[2]

(١) « هذا البيت من كلام عبد الله بن قيس الرقيات وقبله قوله :

كيف نومى على الفراش ولما تشمل الشام غارة شعواء

والبيت من شواهد ابن يعيش فى شرح المفصل (ص ١٢٣٦) ... والخدام بكسر الخاء - جمع خدمة ، وهى الخلخال ، وربما سميت الساق نفسها خدمة ، لكونها موضع الخدمة - والعقيلة : الكريمة المخدرة من النساء ... والمعنى : تكشف العقيلة العذراء عن ساقها من شدة الهول طلباً للهرب ، فيبدو خلخالها ...

ومحل الاستشهاد قوله (خدام) فقد كان من حق العربية عليه أن ينون هذه الكلمة ولكنه حذف هذا التنوين للضرورة ... وهناك رواية أخرى لهذا البيت ، حيث يقولون :

كيف نومى على الفراش ولما تشمل الشام غارة شعواء

تذهل الشيخ عن بنيه وتبدى عن براها العقيلة العذراء

ولاشاهد فيها كما ترى - انظر الانتصاف ٢/٦٦١ فمابعدها (بتصرف كبير) »

(٢) « يعزى هذان البيتان إلى آدم أبى البشر ، وقد أنشدهما ابن الشجرى فى أماليه (١/٣٤٦) وذكر أنه يقولها بعد أن قتل ابنه قابيل أخاه هابيل ... » [إلى آخر ما قالوا من هذه الأباطيل ... فلا أكاد أصدق أن آدم عليه السلام كان ينظم شعراً باللغة العربية الفصحى ... لكن بعض أسلافنا القدماء يروون ذلك ويصدقونه . وكذلك بعض المحدثين الذين ينقلون هذه الخزعبلات دون أن ينبهوا إليها مع الأسف الشديد] .

أراد (قلّ بشاشةٌ) بالتنوين ، فحذف التنوين لالتقاء الساكنين ، لا للإضافة ، ولهذا رفع (الوجه) لأنه فاعل (قل) - ويروى هذا الشعر لآدم عليه السلام - وقال الآخر :

حُميدة خالى ولقيطٌ وعلى وحاتم الطائى وهّاب المِئى (١)

أراد (حاتم) بالتنوين ، فحذف التنوين لالتقاء الساكنين - وقال الآخر :

عمرو الذى هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف (٢)

وقال الآخر :

حميدُ الذى أمجٌ داره أخو الخمر ذو الشيبة الأصلع (٣)

= والشاهد يتركز فى قوله (بشاشة) حيث جاءت هكذا بغير تنوين ، وكان حقها أن تنون على اللغة المشهورة — راجع الانتصاف ٢/٦٦٢ فما بعدها — (بتصرف كبير) .

(١) « هذان بيتان من الرجز المشطور ، وهما لامرأة من بنى عقيل تفخر بأخوالها من اليمن ، كذا قال أبو زيد فى النوادر (ص ٩١) ... والشاهد يتركز فى قوله (وحاتم الطائى) حيث حذف التنوين من حاتم لالتقاء الساكنين ... للضرورة ، وكان الأصل أن يحرك التنوين ، فتنشأ نون يكسرها على ماهو الأصل فى التخلص من التقاء الساكنين ، ولكنه لم يفعل ذلك ، وحذف التنوين رأسا ، ... وهو أخف الضرورات هنا ...

وفى البيت شاهد آخر ، وذلك فى قوله (المئى) حيث حذف النون ، وأصله (المئين) لأنها أخت التنوين - ا ﻫ بتصرف من الانتصاف ٢/٦٦٣

(٢) « هذا البيت لمطرود بن كعب الخزاعى يمدح به هاشم بن عبد مناف ... جد النبي صلى الله عليه وسلم ... [وهناك روايات أخرى فى نسبة البيت إلى قائله] .

والشاهد يتركز فى قوله (عمرو) حيث حذف التنوين منه ... للتخلص من التقاء الساكنين ... - الانتصاف ٢/٦٦٤ (بتصرف) .

(٣) « أنشد ابن منظور هذا البيت (أ م ج) عن أبى العباس المبرد (الكامل ١/١٤٨ - الخيرية) ولم يعزه لقائل ... - أمج : بالجيم ، وفتح أوله =

وقال الآخر :

لتجدنى بالأمير برا وبالقناة مِدعساً مكرا

إذا غطيف السليمى فرا(١)

أراد (غطيف) بالتنوين ، إلا أنه حذفه لالتقاء الساكنين ، كما حذفت نون التوكيد لالتقاء الساكنين .

والذى يدل على أن نون التوكيد فى الفعل بمنزلة التنوين فى الاسم أنه إذا انفتح ماقبلها أبدلت منها فى الوقف ألفا ، وإذا انضم ماقبلها أو انكسر

= وثانيه (والأج فى اللغة : العطش) من أعراض المدينة ، منها حميد الأمجى ، دخل على عمر بن عبد العزيز ، وهو القائل :

شربت المدام فلم أقلع وعوتبت فيها فلم أسمعِ

حميد الذى أمج داره أخو الخمر ذو الشيبة الأصلعُ

علاه المشيب على حبها وكان كريماً فلم ينزعِ

ومن هنا تعلم أن فى بيت الشاهد الإقواء ، وهو ... اختلاف حركة الروى فى آخر البيت، ... إلا أن يكون الرواة يروون (الأصلع) بالجر للجوار ، لأن كلمة (الشيبة) قبله مجرورة بإضافة (ذو) إليها .. ومحل الشاهد هنا قوله (حميد) حيث حذف التنوين من هذه الكلمة ... للتخلص من التقاء الساكنين ، وهذا الحذف من الضرورات التى لا تقع إلا فى الشعر » الانتصاف ٢/٦٦٤ فما بعدها (بتصرف) .

(١) « هذه ثلاثة أبيات من الرجز المشطور ، وقد أنشد ثلاثتها ابن الشجرى فى أماليه (٢٤٥/١) وابن منظور (د ع س) ، وأنشد أولها وثانيها (د ع ص) ولم يعزها فى المرتين « وتقول : رجل مدعس ومدعص ـ وهو بالصاد أشهر ـ ومداعس بضم الميم هنا : أى طعّان ... ومحل الاستشهاد من هذا البيت قوله (غطيف) حيث حذف التنوين ... للتخلص من التقاء الساكنين ، وهو ضرورة » الانتصاف ٢/٦٦٥ (بتصرف) .

حذفتها ، كما تبدل من التنوين فى النصب إذا وقفت ألفا ، نحو (رأيت زيدا) وتحذفه فى الرفع والجر وتقف بالسكون ، نحو (هذا زيدْ ، ومررت بزيدْ) فدل على ماقلناه .

وأما قولهم « إن هذه النون دخلت لتأكيد الفعل المستقبل . فكما جاز إدخالها فى كل فعل ، فكذلك فيما وقع فيه الخلاف » قلنا إنما جاز هناك لمجيئه فى النقل ، وصحته فى القياس ، وأما ماوقع فيه الخلاف . فلم يأت فى النقل عن أحد من العرب ، ولا يصح فى القياس ، لأنه لا نظير له فى كلامهم .

وأما قولهم (إن الألف فيها زيادة مد) قلنا : إلا أنه على كل حال لايخف كل الخفة ، ولا يعرى عن الثقل هذا مع عدم نظيره فى النقل ، وضعفه فى القياس ، لأن الألف لم تخرج عن كونها ساكنة ، وإذا كانت ساكنة فلا يجوز أن يقع بعدها ساكن إلا مدغماً ، نحو (دابة ، وشابة) لأن الحرف المدغم بحرفين : الأول ساكن ، والثانى متحرك ، إلا أنه لما نبا اللسان عنهما نبوة واحدة ، وصار بمنزلة حرف واحد ، وفيها حركة قد رفع المد فى الألف فكأنه لم يجتمع ساكنان .

وأما قولهم « إنه قد جاء فى غير المدغم ، كقوله تعالى : (إن صلاتى ونسكى ومحيايْ) فنقول : وجه هذه القراءة أنه نوى الوقف لحذف الفتح ، وإلا فلا وجه لهذه القراءة فى حال الوصل ، إلا أن يجرى الوصل مجرى الوقف ، وذلك إنما يجوز فى حال الضرورة .

وأما ماحكى عن بعض العرب من قوله (التقت حلقتا البطان) وقول الآخر : (ثلثا المال) فغير معروف ، والمعروف عن العرب حذف الألف من (حلقتا البطان ، وثلثا المال) وما أشبههما ، لالتقاء الساكنين ، وإن صح ماحكيتموه عن أحد من العرب فهو من الشاذ النادر الذى لايقاس عليه ، ولا يعتد به لقلته .

وأما قولهم « إنه يجوز تخفيف الهمزة فى نحو (هباءة) ، والهمزة المخففة ساكنة » قلنا : لا نسلم أنها ساكنة ، بل هى متحركة ، وسنبين فساد ذلك مستقصى فى موضعه إن شاء الله تعالى .

وأما قراءة ابن عامر : (ولا تتبعانْ) بالنون الخفيفة فهى قراءة تفرد بها ، وباقى القراء على خلافها ، والنون فيها للإعراب علامة الرفع ، لأن (لا) محمول على النفى ، لا على النهى ، والواو فى (ولا) واو الحال ، والتقدير : فاستقيما غير متبعين ، كما قال الشاعر :

بأيدى رجال لم يَشيموا سيوفهم ولم تكثر القتلى بها حين سُلت (١)

---

(١) هذا البيت من شواهد ابن هشام فى مغنى اللبيب (رقم ٥٩٢) وابن يعيش فى شرح المفصل (ص ٢٤٨) وأنشده ابن منظور (ش ى م) وعزاه إلى الفرزدق ... وأنشده ابن رشيق وعزاه إلى سليمان بن قتة فى رثاء الحسين بن على رضى الله عنهما ... ثم قال : (ويروى للفرزدق ...) « ولم يشيموا سيوفهم : أى لم يغمدوها ... وقال قوم المراد لم يسلوها أى لم يخرجوها من أغمادها فهو على هذا من الأضداد — ومحل الاستشهاد من هذا البيت ههنا قوله : (ولم تكثر القتلى) ... [واختلف العلماء فى إعراب الواو من قوله « ولم تكثر » فقال قوم إنها واو الحال، وقال آخرون إنها للعطف، ولا شك أن المعنى يختلف فى الإعرابين، من المدح إلى الذم ، ولكن الشاعر أراد المدح ولا ريب ، لهذا تأول النحاة تخريج الإعراب ليتفق مع المراد - وبعد أن عرض صاحب الانتصاف كل هذا الخلاف قال :] « والحاصل أنك إذا فسرت (لم يشيموا سيوفهم) لم يغمدوها تعين أن تكون الواو للحال ، وإن فسرت (يشيموا سيوفهم) بلم يسلوها جاز أن تكون الواو للعطف ، وجاز أن تكون للحال ، والوجه الثانى من الوجهين : أن مراد الشاعر بقوله (ولم تكثر القتلى) أنهم لم يكثروا من القتل ، لأنهم لا يقتلون كل من قدروا عليه ، وإلا لأفنوا أعداءهم إفناء ، وإنما يقتلون أكفاءهم فى الشجاعة والإقدام على المكارة ، وذلك قليل فى أعدائهم » راجع الانتصاف من الإنصاف ٢/٦٦٧ فما بعدها (بتصرف) .

أى لم يشيموا سيوفهم غير كاثرة بها القتلى ، والمعنى لم يشيموا سيوفهم إلا فى تلك الحالة ، وإذا كان محمولا على النفى لا على النهى لم يكن لكم فيه حجة .

والذى يدل على فساد ماذهبوا إليه أنه لايجتمع ساكنان فى الوصل إلا إذا كان الثانى منهما مدغما .

قولهم : « إن هذا النحو قد يلحقه مايوجب له الإدغام ، نحو (اضربا نعمان واضربانّى) فينبغى أن تجيزوا هذا الإدغام » قلنا : هذا لايستقيم ، لأنا نكون قد رددنا النون الخفيفة مع لزوم حذفها فى حال الوصل والوقف إذا لم يتبعه كلام ، وذلك خطأ ، ثم كيف ترده وأنت لو جمعت هذه النون إلى نون ثانية لا اعتلت وأدغمت وحذفت فى قول بعض العرب ؟ فإذا كفوا مئونتها لم تكن ليردوها إلى مايستثقلون ، ولو جوزنا هذا فى (اضربا نعمان) ونحوه لوجب إجازته فى قولك : (اضربان أباكما) فى قول من لم يهمز ، لأن هذا الموضع لم يمتنع فيه الساكن من التحريك ، فتردها إذا وثقت بالتحريك كما رددتها حيث وثقت فى الإدغام ، وكما لايجوز أن ترد فى هذا وما أشبهه ، لأنك جئت به إلى شىء قد لزمه الحذف ، فكذلك هاهنا ولو وجب[1] إجازته فى غير ذلك من الأسماء التى لانون فى أولها ليكون الحكم فيها واحداً ، وذلك لايجوز ، لأن حمل المدغم على غير المدغم فى الامتناع أولى من حمل غير المدغم على المدغم فى الجواز ، وذلك لأن غير المدغم أعم استعمالا ، وأكثر وقوعاً ، والمدغم أقل استعمالا وأندر وقوعاً فلما وجب أن يحمل أحدهما على الآخر كان حمل الأقل الأندر على الأعم الأكثر أولى من حمل الأعم الأكثر على الأقل الأندر ، والله أعلم »[2]

---

(١) كذا ، وأظن أصل الكلام (ولوجب إجازته) اه محقق الإنصاف ٢/٦٦٩

(٢) الإنصاف لابن الأنبارى (المسألة ٩٤) .

تعقيب :

حقاً لقد أمتعنا ابن الأنبارى بهذا الحوار الشائق ... وقد حرصت كل الحرص على إيراده كما هو ... بكل الحجج والبراهين ... ما كان منها مقبولا وما كان فيه نظر من جانبنا ... وأياما كان الأمر فإننا نشهد ـ للحق وللتاريخ ـ بأن ابن الأنبارى عقلية ناضجة مرنت على المحاورة والمداورة ... وتعمقت فى النحو البصرى والكوفى معاً .. ولو تخلى عن العصبية المذهبية للنحو البصرى .. ونظر إلى القضايا النحوية نظرة موضوعية مجردة من الهوى والتعصب .. لأتى بالعجب العجاب فى الحكم على كثير من المسائل والقضايا النحوية الدقيقة .. ولكننا مع كل ذلك نعترف له بالفضل ، والسبق والفوق ـ وحسبه ذلك .

غير أن هذا لا يعفينا من إيراد بعض الملاحظات على هذا النص القيم .

(١) لعلك تلحظ معى أنه صدّر الحديث بقوله : (ذهب الكوفيون) وبعد أن قرر المسألة ، ووضع الرأى فى قالب موجز محكم ... قال : « وإليه ذهب يونس بن حبيب البصرى » .

والذى لا يعرف التطور التاريخى لهذه المسألة يظن أن الكوفيين هم أصحاب الرأى الأول فيها ، ثم ذهب إليه يونس بعد ذلك ... والظاهر كما رأينا آنفا أن يونس هو صاحب الرأى الأول ، ثم وافقه عليه آخرون ... وقد استنتجنا ذلك استنتاجاً من صنيع سيبويه فى الكتاب حيث قال : « وأما يونس وناس من النحويين فيقولون ... الخ »[1] بالإضافة إلى ما اشتهر به يونس من الأقيسة المتفردة كما سبق به البيان ـ لكن إيراد ابن الأنبارى للكوفيين فى الصدارة يوهم بأنهم هم أصحاب الرأى . وأن يونس جاء تبعاً لهم ... وإذا أردنا أن نلتمس المعاذير لابن الأنبارى قلنا إنه معذور فى هذا

---

(١) الكتاب ٢/١٥٧

الوضع ، لأن كتاب الإنصاف قائم على الخلاف بين الكوفيين والبصريين . فكل الذى يعنيه هو إبراز الرأى الكوفى من جهة ،فى مقابل الرأى البصرى من الناحية الأخرى ... ولا يعنيه فى هذا المقام أن يحقق نسبة الرأى أساساً إلى يونس ، أو إلى غيره من النحاة ، وذلك عذر مقبول إلى حد ما ... وأقول (إلى حد ما) وأعنى ما أقول : لأنه لو أراد الدقة لجمع بين الحسنيين وذلك بأن يجعل المدرستين متقابلتين كما يفعل دائماً فى هذا النهج الجميل . ولكنه يشير إلى أن رأى الكوفيين مأخوذ أساساً من يونس البصرى ... ولديه على هذا أكثر من شاهد ودليل ... وحسبه أن سيبويه نص على (يونس) صراحة ، ثم عم فى الآخرين ... صحيح أن هذا الوضع لم يكن قاطعا فى الدلالة إلى حد اليقين ، ولكنه على أية حال دليل يرجح ، أو يرشح ، وذلك أضعف الإيمان .

(ب) إن ابن الأنبارى يحذو حذو المتعصبين من البصريين بوجه عام ... ضد الوارد من الشواهد ... حتى لو كان من القرآن الكريم ... وآية ذلك أنه ـ كأسلافه ـ لا يعترف بالقراءات التى ورد فيها التقاء الساكنين على غير حده الذى حدوه ووضعوه بأيديهم ـ استمع إليه يقول فى الرد على الكوفيين: « وأما قولهم إنه قد جاء فى غير المدغم ، كقوله تعالى : (إن صلاتى ونسكى ومحياى) فنقول : وجه هذه القراءة أنه نوى الوقف لحذف الفتح ، وإلا فلا وجه لهذه القراءة فى حال الوصل ، إلا أن يجرى الوصل مجرى الوقف ، وذلك إنما يجوز فى حال الضرورة » .

ثم يقول : « وأما قراءة ابن عامر : (ولا تتبعانْ) بالنون الخفيفة فهى قراءة تفرد بها ، وباقى القراء على خلافها » ـ كأن ابن عامر لا يصلح حجة عنده ، مع أنه أعلى القراء سنداً ، وأقدمهم هجرة ، كما وضحنا ذلك خير توضيح فى كتابنا (الدفاع عن القرآن) فارجع إليه إن شئت .

وإذا تركنا القراءات جانباً ... وذهبنا إلى المروى من كلام العرب أنفسهم رأيناه أيضاً ينكره ، ويقول : « وأما ماحكى عن بعض العرب .. فغير معروف ... وإن صح ماحكيتموه عن أحد العرب فهو من الشاذ النادر الذى لا يقاس عليه ، ولا يعتد به لقلته » .

ثم نراه فى هذا النص بالذات يكرر الإنكار أكثر من مرة فيقول : « لأنه لم ينقل ذلك عن أحد من العرب ، ولا نظير له فى كلامهم ، وذلك لا يجوز » وفى موطن آخر يقول : « فلم يأت فى النقل عن أحد من العرب ، ولا يصح فى القياس ، لأنه لا نظير له فى كلامهم » (ثم يقول) « هذا مع عدم نظيره فى النقل ، وضعفه فى القياس » .

كل ذلك لأن الوارد من الشواهد ـ قرآناً ونثراً لا ضرورة فيه ـ قد جاء على غير القاعدة التى صنعوها بأيديهم فى مصنع التقعيد ، حيث قالوا « لا يجتمع ساكنان فى الوصل إلا إذا كان الثانى منهما مدغماً » .

ذلك موقف ابن الأنبارى وأسلافه المتعصبين ... إزاء بعض القراءات القرآنية ، وغيرها من الشواهد العربية .. ! ولله فى خلقه شئون !

(ج) ولعلك لحظت أيضاً أن ابن الأنبارى يرد على الكوفيين بشىء لم يعترفوا به على الإطلاق ... وذلك حين قال: « والاسم أصل للفعل ، والفعل فرع عليه » ومعلوم أن جمهور الكوفيين ينكرون ذلك، ويقولون بالعكس، والعكس صحيح عندهم ، وعند بعض الباحثين كذلك .

يقول ابن الأنبارى ذلك ، ويحتج به على الكوفيين ، مع أنه يعلم علم اليقين رأى الكوفيين فى هذه المسألة وناقشها فى كتابه المسمى (بالإنصاف)[1] .

---

(١) راجع المسألة الثامنة والعشرين ففيها تفصيل الخلاف فى أصل الاشتقاق، بين البصريين والكوفيين .

على أننى لست أقصد هنا ترجيح رأى على رأى ... وإنما الذى أقصده ... هو تصحيح منهج الاستدلال فلا يجوز أن يحتج على الكوفيين بهذه الطريقة التى لا تتفق مع المنهج السليم فى الاستدلال والاحتجاج - وإذا كان لا بد من إبداء رأيى فى هذه المسألة فإنى أرجح مذهباً آخر غير المذهبين السابقين من الكوفيين والبصريين على السواء، وخلاصة الرأى الذى أرتضيه أن الاشتقاق مأخوذ من المادة اللغوية نفسها دون أن نقيدها بهذا القيد الضيق من (الاسم) كما قال البصريون، أو من (الفعل) كما قال الكوفيون ... ذلك أن المادة اللغوية - فى نظرى - أشبه ما تكون (بالعجينة الخام) تصلح لأن يشكل منها المرء ما يشاء من الأسماء أو الأفعال حسبما يريد فى التعبير ... ومن هنا تأتى الصور المتعددة التى نراها مشتقة من المادة الواحدة ... فمثلا مادة (ض ر ب) صالحة لأن تكون فعلا ماضياً إذا فتحت هذه الحروف الثلاثة ، كما أنها صالحة لأن تكون مصدراً إذا سكنت الراء مع فتح الضاد ... الخ . الخ

ومن هذه المادة اللغوية تستطيع أن تستخرج كل المشتقات منها بإدخال شىء من التعديل فى ضبط الحروف ، وفى الزيادة عليها بما يناسب المراد ... فاسم الفاعل (ضارب) واسم المفعول (مضروب) ... وصيغة المبالغة (ضراب) إلى آخر ما هنالك من الأسماء المشتقة ... وكذلك الحال فى الأفعال ... تقول فى المضارع (يضرب) كما تقول فى الأمر (اضرب) ... الخ — وكل هذه الكلمات كما ترى لم تخرج عن المادة اللغوية (ض ر ب) مع شىء من التعديل فى ضبط الحرف ، وإضافة المناسب للمراد من حروف الزيادة المعروفة بقولهم (سألتمونيها) أو (هناء وتسليم) .

ثانياً : آراء يونس التى عارضها سيبويه

كلمة :

هناك معارضات أخرى كثيرة أوردناها فى ثنايا الحديث ... كتلك التى جاءت فى مبحث (نونا التوكيد) وغيره ... وليس من أهدافنا هنا أن نستقصى كل المعارضات إحصاء واستقصاء ... وإنما الهدف هو استخلاص مذهب يونس البصرى من خلال آثاره المبعثرة هنا وهناك ، فى بطون الكتب ، وأمهات المراجع ، وما إلى ذلك ... مع استخراج بعض النماذج ، ووضعها على بساط البحث والدرس ... لتكون مثالا يحتذى لمن يريد أن ينتهج هذا المنهج النحوى الدقيق... وإليك بعض النماذج بالتفصيل :

أنمـــوذج (١)

باب الجوازم

تناول سيبويه باب الجوازم بالتفصيل... وفرع منه أبوابا متعددة... منها هذا الباب الذى ذكر فيه رأى يونس ، ووصفه بالقبح ... وعنوانه : (هذا باب الجزاء إذا أدخلت فيه ألف الاستفهام)[١] وطفق يعرض ، ويمثل ، ويوضح ... فقال : «وذلك قولك (أإن تأتنى آتك) ، ولا تكتفى (بمن) لأنها حرف جزاء ، (ومتى) مثلها ، فمن ثم أدخل عليه الألف ، تقول : (أمتى تشتمنى أشتمك) ، و (أمن يقل ذلك أزره) وذلك لأنك أدخلت الألف على كلام قد عمل بعضه فى بعض فلم يغيره — وإنما الألف بمنزلة الواو والفاء ، و (لا) ، ونحو ذلك ، لا تغير الكلام عن حاله ، وليست (كإذ) و (هل) وأشباههما — ألا ترى أنها تدخل على المجرور ، والمنصوب ،

---

(١) الكتاب ٤٤٣/١ ط بولاق .

والمرفوع ، فتدعه على حاله ولا تغيره عن لفظ المستفهم ـ ألا ترى أنه يقول (مررت بزيد) ، فتقول : (أزيدٍ)[١] ... وكذلك تقول في الرفع والنصب ، ... وأما يونس فيقول : (أإن تأتني آتيك) وهذا قبيح ، يكره في الجزاء وإن كان في الاستفهام ، وقال عز وجل : (أفإن مت فهم الخالدون) ولو كان ليس موضع جزاء قبح فيه (إن) كما يقبح أن تقول : (أتذكر إذ إن تأتني آتيك) فلو قلت : (إن أتيتني آتيك) على القلب كان حسناً »[٢] .

تعقيب :

إن يونس بن حبيب يخالف الجمهور ، ويأتي بقياس منفرد في هذا الباب ... فيرى أن جواب الشرط في الجزاء يجوز أن يكون مرفوعاً إذا دخلت همزة الاستفهام على أداة الشرط كقولك (أإن تأتني آتيك) بإثبات الياء في (آتيك) على أنه فعل مضارع مرفوع ، مع أنه واقع جواب شرط لكلمة (إن) الشرطية الجازمة ، لكنها حينما دخلت عليها ألف الاستفهام جاء الجواب مرفوعاً ، وكان حقه أن يكون مجزوماً .

وقد تفرد يونس بهذا الرأي ولهذا عارضه سيبويه ، ووصفه بالقبح حين قال : « وهذا قبيح يكره في الجزاء وإن كان في الاستفهام » ـ وأخذ يشرح ويدلل ، ويأتي بالأمثلة الكاشفة ، والحجج المقنعة ... ومنها أن همزة الاستفهام لا تغير شيئاً في المستفهم عنه ، فهي نظير واو العطف ، أو الفاء ، أو ما شابه ذلك من الحروف التي لا تأثير لها في التعبير .

وتلك حجة قوية من سيبويه ، وأراه على حق حينما عارض رأي يونس ... غير أني أقف متسائلا متحيراً في الأساس الذي بنى عليه يونس

---

(١) بجر (زيد) على الحكاية دون تغيير .
(٢) الكتاب ١/٤٤٤ ط بولاق .

هذا الرأى ! أتراه بناه على سماع من بعض العرب ، ولم يصل إلينا هذا السماع ، لضياعه فيما ضاع من الآثار المفقودة ليونس البصرى ، إذ لم يصل إلينا أى أثر من آثاره مع الأسف الشديد ، كما أنه ضاع من الذخائر اللغوية العامة ، كما يقول أبو عمرو بن العلاء : «ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ... » ؟

أم تراه بناه على قياس من الأقيسة الكثيرة المتعددة ، دون أن يستند فيه إلى شاهد بعينه يكون نصاً فى الموضوع ؟

لست أدرى ... وكلا الاحتمالين جائز وقائم فى نظرى ... لأن يونس ابن حبيب كان من زعماء التيار المنهجى[1] ذلك الذى كان يعتمد الوارد من الشواهد الموثوق بها مهما كانت قليلة ومخالفة للسماع الكثير الغالب ، فالعربى سيد لغته ، له أن يقول ، وينشد ، ويتغنى ، ويترنم ... وعلى العلماء أن يدرسوا ، ويبحثوا ، ويستنتجوا ... ثم يضعون القواعد ، على أساس الوارد من الشواهد .

ذلك منهج يونس بوجه عام ، ولذلك جعلناه الرجل الثانى ، فى زعامة التيار المنهجى ، وهو يتسق تمام الاتساق مع الأقيسة التى تفرد بها دون غيره من النحاة الذين يتعصبون للقاعدة الناقصة ، ويشيحون بوجوههم لكل شاهد لا تتوافر له الكثرة الغالبة ، مهما بلغ من القوة ، والصحة ، والثقة ، حتى لو كان من القرآن الكريم فى أعلى قراءاته السبعية ، كما رأينا ذلك فى كثير من المواطن[2] .

كما أن يونس كان صاحب قياس مبتكر ، وله مذاهب ينفرد بها ... فلعل

---

(١) راجع بحثنا (الموازنة بين المناهج البصرية) .

(٢) راجع كتاب (سيبويه والقراءات) للدكتور أحمد مكى الأنصارى — وكذلك كتاب (الدفاع عن القرآن) .

هذا الرأى القائل برفع المضارع فى الجزاء بعد همزة الاستفهام ... جاء على غرار الأقيسة التى يستنتجها من علمه الغزير ، واطلاعه الواسع ، دون أن يكون لها شاهد معين محدد مسموع من أفواه العرب .

ومهما يكن من شىء فقد عارضه سيبويه ، ووصفه بالقبح ، وهو وصف كريه بعض الشىء ، ولكن سيبويه — رحمه الله — ألف هذه الأوصاف فى كثير من القضايا والأحكام ... فله ما أراد ولنا حق الموافقة فى المعارضة ... دون أن ندنس اللسان أو الجنان بشىء من هذه الأوصاف المقذعة اللاذعة . والله ولى التوفيق .

أنموذج (ب)

الحال : مجيئها معرفة

يرى يونس بن حبيب مجىء الحال معرفة بالألف واللام فى قوله : (مررت به المسكينَ)[1] ... ولكن سيبويه يرفض هذا الرأى ، ويحكم عليه بعدم الجواز ... قال فى الكتاب :

« وزعم الخليل أنه يقول (مررت به المسكينِ)[2] على البدل وفيه معنى الترحم .. وكان الخليل يقول : إن شئت رفعته من وجهين فقلت (مررت به البائسُ) كأنه لما قال مررت به قال المسكينُ هو ، كما يقول مبتدئاً المسكين هو والبائس أنت — وإن شاء قال (مررت به المسكينَ) كما قال :

بنا تميماً يكشف الضباب[3]

---

(١) بنصب المسكين على الحالية عند يونس .

(٢) بجر المسكين على البدل من الضمير فى (به) .

(٣) القائل رؤبة بن العجاج ـ « والشاهد فيه نصب (تميم) بإضمار فعل على معنى الاختصاص والفخر ، وضرب الضباب مثلا لغمة الأمر وشدته ، أى بنا تكشف الشدائد فى الحرب وغيرها » هامش الكتاب ١/٢٥٥ بتصرف يسير .

وفيه معنى الترحم ..

وأما يونس فيقول : (مررت به المسكينَ) على قوله : مررت به مسكينا، وهذا لا يجوز ، لأنه لا ينبغى أن يجعله حالا ويدخل فيه الألف واللام ، ولو جاز هذا لجاز مررت بعبد الله الظريفَ ، تريد ظريفاً — ولكنك إن شئت حملته على أحسنَ من هذا ، كأنه قال : لقيت المسكين ، لأنه إذا قال : مررت بعبد الله فهو مَعْمَل ، كأنه أضمر عملا ، وكأن الذين حملوه على هذا إنما حملوه عليه فراراً من أن يصفوا المضمر ، وكان حملهم إياه على الفعل أحسن »(١) .

تعقيب :

هذه المسألة هى من صميم باب الحال ... لكنها جاءت عند سيبويه فى باب آخر بعنوان : (هذا باب ما يجرى من الشتم مجرى التعظيم وما أشبهه)(٢) وهى فى رأى جمهور النحاة داخلة تحت هذا العنوان ، ولا ضير على سيبويه فى ذلك ولا تثريب .. وإنما الذى جعلها من باب الحال هو إعراب يونس لها حالا ... يدلك على ذلك قول سيبويه : « على قوله مررت به مسكينا » ويرى سيبويه إعراب كلمة (المسكين) بالنصب على أنها مفعول لفعل محذوف تقديره : (لقيت) ... وآية ذلك أنه قال : « ولكنك إن شئت حملته على أحسنَ من هذا ، كأنه قال : (لقيت المسكينَ) » .

ولهذا رفض سيبويه رأى يونس فقال : « وهذا لا يجوز لأنه لا ينبغى أن يجعله حالا ويدخل فيه الألف واللام » لأن القاعدة عند جمهور البصريين أن الحال تكون نكرة ، ولا يجوز مجيئها معرفة بحال من الأحوال ، وكل ما ورد من ذلك فهو مؤول بالنكرة .

(١) الكتاب ١/٢٥٥ فما بعدها بتصرف يسير .
(٢) الكتاب ١/٢٥٢

تلك هي خلاصة الموقف ... غير أن يونس حينما قال بذلك كان يعتمد اعتمادا قويا على السماع والقياس معاً .

أما السماع فإنه كثير ... حيث جاءت الحال معرفة بالألف واللام ، كما أنها جاءت معرفة بالإضافة كذلك ، ومن شواهد تعريفها بالألف واللام قول بعض العرب: « مررت بهم الجماء الغفير ، وأرسلها العراك ، وادخلوا الأول فالأول »[1] — كما أن بعض القراءات وردت فيها الحال معرفة بالألف واللام ، فى قوله تعالى : (ليخرجن[2] الأعز منها الأذل) أى يخرج الأعز منها ذليلا .

ومن شواهد تعريفها بالإضافة قولهم : (تفرقوا أيادى سبأ[3]) وقولهم (رجع عودَه على بدئه)[4] أى عائدا ... الخ .

وأكثر من هذا وذاك أن الحال وردت معرفة بالعلمية . مثل قولهم : (جاءت الخيل بدادِ) و (بداد) علم جنس كما يقول صاحب الهمع[5] .

ذلك بعض ماورد به السماع ، وهو كثير كما ترى ... أما القياس فإنه قياس قوى أيضاً ... ألا ترى أن يونس قاس مجىء الحال معرفة ... على مجىء الخبر معرفة ، فكل منهما يأتى معرفة كما يأتى نكرة ... غير أن مجىء الحال نكرة هو الغالب الكثير .. لكن ذلك لا يمنع جواز مجيئها معرفة ... فهو لم يقل بالمساواة بينهما .. وإنما يقول بالجواز فقط ، اعتمادا على الوارد من الشواهد ، واستنادا إلى القياس المعقول :القياس على الخبر من جهة ،والقياس على المسموع من جهة أخرى .

ويبدو أن هذا القياس الذى ابتكره يونس ... قياس موفق إلى حد كبير ... إذ أنه يقف على أرض صلبة من الناحيتين معاً : ناحية القياس ،

(١) همع الهوامع ١/٢٣٩

(٢) الفعل ثلاثى من خرج يخرج ، والقراءة بفتح الياء من يخرج .

(٣ ، ٤ ، ٥) راجع همع الهوامع ١/٢٣٩

وناحية السماع الكثير .. ولهذا رأينا البغداديين[1] يوافقون يونس ، وينحازون إلى جانبه ضد البصريين والكوفيين على السواء .

استمع إلى صاحب الهمع يروى لك القصة كلها ، وما دار حولها فيقول: « يجب فى الحال التنكير ، لأنها خبر فى المعنى ، ولئلا يتوهم كونها نعتا عند نصب صاحبها ، أو خفاء إعرابها ـ هذا مذهب الجمهور .

وجوز يونس والبغداديون تعريفها ، نحو : جاء زيد الراكب ، قياساً على الخبر ، وعلى ماسمع من ذلك .

وقال الكوفيون : إذا كان فى الحال معنى الشرط جاز أن يأتى على صورة المعرفة ، وهى مع ذلك نكرة ، نحو : عبد الله المحسن أفضل منه المسيء — التقدير : إذا أحسن أفضل منه إذا أساء ... فإن لم يكن فيها معنى الشرط لم يجز أن يأتى معرفة فى اللفظ ، نحو : جاء زيد الراكب ...

وورد عن العرب أحوال مقترنة باللام ، كقولهم : مررت بهم الجماء الغفير — وأرسلها العراك — وادخلوا الأول فالأول .

وقرىء : (ليخرجن الأعز منها الأذل) وهى مؤولة على زيادة اللام .

وورد أيضاً أحوال مضافة ، نحو : (تفرقوا أيادى سبأ) فأول بتقدير مثل أو تبددا لا بقاء معه - (وطلبته جهدى وطاقتى ووحدى) فأول بتقدير جاهداً ، ومطيقا . ومنفردا — (ورجع عودَه على بدئه) أى عائدا — ومنه عند الحجازيين : العدد من ثلاثة إلى عشرة مضافاً إلى ضمير ماتقدم . نحو مررت بهم ثلاثتهم ، أو خمستهم ، أو عشرتهم — وتأويله عند سيبويه : أنه

---

(١) راجع همع الهوامع ٢٣٩/١

فى موضع مصدر وضع موضع الحال . أى مثلثا ، أو مخمسا لهم عد وبنو تميم يتبعون ذلك لما قبله فى الإعراب ، توكيدا ، فعلى هذا يقدر بجميعهم ، وعلى الأول بجميعا .

وهل يجرى ذلك فى مركب العدد ؟ قيل لا ، والصحيح الجواز، فيقال : جاء القوم خمسة عشرهم ، والنسوة خمسة[1] عشرتهن — بالنصب .

وورد أيضاً من الحال ماهو علم : قالوا : (جاءت الخيل بدادَ) و (بداد) علم جنس ، فأول بمتبددة .

وفى (وحده) مذاهب : قال سيبويه والخليل : هو اسم موضوع موضع المصدر الموضوع موضع الحال . كأنه قال : إيحادا، وإيحادا موضع موحودا فى المتعدى ، ومتوحدا فى اللازم .

وقال قوم : إنه مصدر على حذف حروف الزيادة من إيحاد واقع موقع الحال .

وقال آخرون : إنه مصدر لم يلفظ له بفعل (كالأخوة) .

وقيل : إنه مصدر بلا حذف ، لأنه سمع وحد يحد .

وقال يونس وهشام: إنه منصوب انتصاب الظرف فيجرى مجرى عنده ، والأصل فى (جاء زيد وحده) : (على وحده) حذف الجار ونصب على الظرف ، وسمع : (جلسا على وحدتهما) والتقدير فى (زيد وحده) : (زيد موضع التفرد) وهذا المثال مسموع ، وهو أقوى دليل على ظرفيته ، حيث جعلوه خبرا لا حالا ، إذ لا يجوز زيد جالساً .

وقيل : إنه فى (زيد وحده) منصوب بفعل مضمر، أى(وَحدَ وحده) كما قالوا : (زيد إقبالا وإدبارا) أى يقبل ويدبر[2] » .

---

(١) كذا فى الأصل (خمسة) بالتاء ، وكان حقها (خمس) بحذف التاء .

(٢) همع الهوامع شرح جمع الجوامع جـ ١ ص ٢٣٩ فما بعدها .

تعقيب : نستطيع أن نستنتج من هذا النص نتائج متعددة ، منها :

(ا) أن البغداديين وافقوا يونس على هذا الرأى المبتكر القائل بجواز مجىء الحال معرفة مطلقاً دون قيد أو شرط ، اعتماداً على السماع ، واستناداً إلى القياس على الخبر ، مع القياس على المسموع من اللسان العربى شعراً [١] ، ونثراً ، ومن القرآن الكريم .

(ب) وأن البصريين منعوا ذلك منعاً باتاً ... وتأولوا كل ما ورد من الشواهد ، والتأويل عندهم هو المركب الذلول الذى يمتطونه كلما حزبهم أمر أو ضاقت عليهم الأرض بما رحبت .

(ج) وأن الكوفيين توسطوا ... واتخذوا منزلة بين المنزلتين ، فلم يمنعوا إطلاقاً ، كما أنهم لم يجيزوا على الإطلاق ... وإنما قالوا بجواز ذلك إذا كان فى الحال معنى الشرط ... فإن خلت من معنى الشرط لا يجوز تعريفها على الإطلاق ... وهى فى جميع الأحوال نكرة عندهم ... فهم فى هذا الرأى أقرب إلى البصريين .. منهم إلى يونس والبغداديين .

(د) ولعلك تلحظ أن البصريين عمدوا إلى تأويل كل ما ورد من الشواهد فقالوا مثلا فى الآية الكريمة : (ليخرجن الأعز منها الأذل) إنها « مؤولة على زيادة اللام [٢] » وقالوا فى قول العرب : (تفرقوا أيادى سبأ) إنه مؤول « بتقدير مثل أو تبددا لا بقاء معه [٣] » ، وقالوا فى تأويل قولهم : (جاءت الخيل بداد) إنها مؤولة بقولك (متبددة) [٤] ... إلى آخر ما هنالك من تأويلات تخضع الوارد من الشواهد الخالصة .. إلى ما وضعوه من

---

(١) مثل قول الشاعر : (أرسلها العراك الخ) كما سيأتى بالتفصيل .

(٢) همع الهوامع ١/٢٣٩

(٣) المصدر السابق .

(٤) نفس المصدر .

القواعد القاصرة . ويعجبنى فى هذا المقام قول أستاذنا الكبير عباس حسن — حيث يقول : « تشدد البصريون وضيقوا ، واعتقدوا أن سلامة اللغة والدين فى هذا ، وما لأتهم العوامل المختلفة التى أشرنا إليها[1] ، فضفت على مذهبهم قوة ، وأكسبته شهرة جعلت الناس أيامهم ، وبعدهم ، ينقادون لهم بغير مفاضلة تامة نزيهة بين آرائهم وآراء غيرهم من النحاة .

وكان من جراء تشددهم أن وجدوا أنفسهم أمام شواهد فصيحة كثيرة : تخالف مذهبهم ، وتهدم قواعدهم ، فماذا يفعلون ؟

لجئوا إلى التأويل المصنوع ، والتكلف المفسد ، والوصف بالقلة ونحوها . فقل أن تجد قاعدة من قواعدهم سالمة من هذا البلاء ، تراهم يذكرون القاعدة ، ويتبعونها بأمثلة خارجة عليها ، مخالفة لها ، يتناولونها بالتأويل النافر ، والتمحل البعيد ، كى تساير قاعدتهم ، وتساوق مذهبهم[2] ، وكأن القاعدة هى الأصل ، والكلام العربى هو الفرع . فإن أعوزهم التأويل والتمحل أسعفهم الحكم بالقلة ، أو الندرة ، أو الشذوذ ، أو ما شاءوا من أسماء كهذه يقضون بها على كل ما يخالف ضوابطهم وأحكامهم ، ويعجبنى فى هذا ما قاله العكبرى : (كيف نجعل ما وضعه النحويون للتقريب والتعليم ، مما لا أصل له ولا ثبات ، حجة على لسان العرب الفصحاء ؟ - هذا لا يكون ، ولا يحتج به إلا جاهل[3]) »[4] .

---

(١) فى ص ٨٩ من كتاب (اللغة والنحو) .

(٢) ومثلهم فى هذا قليل من الكوفيين .

(٣) راجع شرح العكبرى لديوان المتنبى فى القصيدة الرائية فى مدح ابن العميد ، عند البيت الذى أوله : « خنثى الفحول ... » فقد جاء ما نصه (قال النحاة : لا يجوز الجمع بين علامتى تأنيث مع أن العرب جمعوا بينهما فقالوا : علقاة ، وبهماة ، وعزهاة ، فكيف نجعل .. الخ) .

(٤) انظر اللغة والنحو بين القديم والحديث - للأستاذ العلامة عباس حسن =

وإذا ذهبنا إلى ابن مالك رأيناه فى الألفية يقول :

والحال إن عرف لفظاً فاعتقد تنكيره معنى كوحدك اجتهد

ثم رأينا الشارح يقول : « مذهب جمهور النحويين أن الحال لا تكون إلا نكرة ، وأن ماورد منها معرفا لفظا فهو منكر معنى ، كقولهم : جاءوا الجماء الغفير . وأرسلها العراك[1] ، واجتهد وحدك ، وكلمته فاه إلى فىّ ـ (فالجماء ، والعراك ، ووحدك ، وفاه) أحوال ، وهى معرفة لفظا ، لكنها مؤولة بنكرة ، والتقدير : جاءوا جميعاً ، وأرسلها معتركة ، واجتهد منفرداً ، وكلمته مشافهة .

وزعم البغداديون ويونس أنه يجوز تعريف الحال مطلقاً بلا تأويل ، فأجازوا : (جاء زيد الراكبَ) .

عضو المجمع اللغوى ص ٩١ فما بعدها بهوامشها ـ طبع دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٦

(١) « هذه قطعة من بيت للبيد بن ربيعة العامرى ، يصف حماراً وحشياً أورد أتنه الماء لتشرب ، وهو بتمامه :

فأرسلها العراك ولم يذدها ولم يشفق على نغص الدخال

والعراك : ازدحام الإبل أو غيرها حين ورود الماء ـــ يذدها : يطردها ـ نغص : مصدر نغص الرجل (بكسر الغين) إذا لم يتم مراده ، ونغص البعير : إذا لم يتم شربه ـــ الدخال : أن يداخل بعيره الذى شرب مرة مع الإبل التى لم تشرب حتى يشرب معها ، وذلك إذا كان البعير كريماً ، أو شديد العطش ، أو ضعيفاً .

والشاهد يتركز فى قوله (العراك) حيث وقع حالا مع كونه معرفة ـــ والحال لا يكون إلا نكرة ـــ وإنما ساغ ذلك لأنه مؤول بالنكرة ، أى أرسلها معتركة ، يعنى مزدحمة » ـــ راجع (منحة الجليل) جـ ١ ص ٥٣٢ فما بعدها ـــ (بتصرف) .

وفصل الكوفيون ، فقالوا : إن تضمنت الحال معنى الشرط صح تعريفها وإلا فلا ، فمثال ما تضمن معنى الشرط (زيدٌ الراكبَ أحسن منه الماشيَ) فـ(الراكب والماشي) : حالان ، وصح تعريفهما لتأولهما بالشرط ، إذ التقدير : زيد إذا ركب أحسن منه إذا مشى ، فإن لم تتقدر بالشرط لم يصح تعريفها ، فلا تقول : (جاء زيد الراكب) إذ لا يصح : (جاء زيد إن ركب) »[1] .

تعقيب :

فأنت تراه يذهب مذهب جمهور البصريين — في المنع البات ، وتأويل كل ما ورد من الشواهد شعراً ونثراً — وما كان أغناه عن ذلك لو عدل القاعدة لجعلها تتسع لكل الشواهد ، فيقول مثلا : « الكثير الغالب مجيء الحال نكرة ، وقد جاءت معرفة قليلا ، وكلاهما جائز » .

ألا ترى معي أن هذا المسلك أحكم وأقوم ... وأنه يعطي القاعدة النحوية قوة فوق قوتها ... كما أنه يحفظ على اللغة شواهدها من التأويل والتجريح ... كما أنه يحفظ على القراءة هيبتها ، وقداستها ، وصيانتها من التأويل ، دون مبرر لذلك ...

وإذا كنا قد ألفنا ذلك من جمهور البصريين ... فإننا لم نألفه كثيراً عند ابن مالك ... وربما كانت هذه من الهنات الهينات ... تلك التي يجب اغتفارها ، والإغضاء عنها ... نظراً لموقف ابن مالك المعتدل في كثير من القضايا النحوية ، وبخاصة حينما تتعلق بقراءة من القراءات المحكمة[2] .

---

(١) شرح ابن عقيل على الألفية (باب الحال) .

(٢) راجع في ذلك كتاب (الدفاع عن القرآن) للدكتور أحمد مكي الانصاري ـ توزيع دار المعارف بمصر ففيه بعض المواقف القوية المشرقة لابن مالك .

ثالثاً : موازنة بين آراء يونس والخليل

وفيها آراء ليونس جاءت أرجح من آراء الخليل بن أحمد ، بشهادة سيبويه نفسه ، كما أنها تشتمل على آراء للخليل كانت أرجح من آراء يونس - فى نظر سيبويه - وقد وافقناه على بعضها ، واختلفنا معه فى بعضها الآخر، وإليك البيان بالتفصيل :

١ - آراء ليونس أرجح من آراء الخليل :

أنموذج (أ)

نواصب المضارع - أو (باب أو)

عقد سيبويه باباً من أبواب نواصب المضارع ، بعنوان : (هذا باب أو)[1] وتحدث فيه عن كثير ... ورجح رأى يونس على رأى الخليل ، فوصف رأى يونس بالسهولة على حين وصف رأى الخليل بالبُعد ... وذلك حينما تعرض لإعراب الفعل المضارع الواقع مرفوعا بعد (أو) فى بيتٍ للأعشى ... وإليك نص ما جاء فى الكتاب :

قال سيبويه : « وسألت الخليل عن قول الأعشى :

إن تركبوا فركوب الخيل عادتنا ۝ أو تنزلون فإنا معشر نزل

فقال الكلام هاهنا على قولك : يكون كذا أو يكون كذا ، لما كان موضعها لو قال فيه أتركبون لم ينقض المعنى صار بمنزلة قولك : ولا سابق شيئاً . وأما يونس فقال : أرفعه على الابتداء ، كأنه قال : أو أنتم نازلون .

---

(١) الكتاب ٤٢٧/١

وعلى هذا الوجه فسر الرفع فى الآية[١] ، كأنه قال : أو هو يرسل رسولا ، كما قال طرفة : أو أنا مغتدى .

وقول يونس أسهل - وأما الخليل فجعله بمنزلة قول زهير :

بدا لى أنى لست مدرك مامضى ولاسابق شيئاً إذا كان جائيا[٢]

والإشراك على هذا التوهم بعيد كبعد (ولاسابقٍ شيئاً) - ألا ترى أنه لو كان هذا كهذا لكان فى الفاء والواو ، وإنما توهم هذا فيما خالف معناه التمثيل ، يعنى مثل (هو يأتينا ويحدثنا) - يقول : يدخل عليك نصبُ هذا على توهم أنك تكلمت بالاسم قبله ، يعنى مثل قولك : (لا تأته فيشتمك) فتمثيله على (لا يكن منك إتيان فشتيمة) والمعنى على غير ذلك »[٣] .

---

(١) يريد قوله تعالى : (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أومن وراء حجاب أو يرسل رسولا) برفع (يرسل) كما سيأتى بالتفصيل .

(٢) نسب سيبويه هذا البيت إلى شاعر آخر ، هو (صرمة الأنصارى) وذلك فى الجزء الأول ص ١٥٤ وعلق عليه الأعلم فقال : (ويروى لزهير) ثم قال : « حمل قوله (ولا سابق) على معنى الباء فى قوله (مدرك) لأن معناه ليس بمدرك ، فتوهم الباء ، وحمل عليها ...

.. فإذا جاز توهم الحرف الجار مع ضعفه فالحمل على إضمار الفعل أولى وأحرى لقوته — وقد رد هذا على سيبويه ولم يجز الراد فيه إلا النصب ، لأن حرف الجر لا يضمر ، وقد بين سيبويه ضعفه وبعده ، مع أخذه لذلك عن العرب سماعاً ، فلا معنى لرد ذلك عليه ... » هامش الكتاب ١/١٥٤ (بتصرف) — وفى موطن آخر تعرض (الأعلم) لهذا البيت أيضاً فقال فى معناه : « اختبرت حال الزمان وتقلبى فيه ، فبدا لى أنى لا أدرك ما فات منه ، ولا أسبق مالم يجىء بعد فيه قبل وقته — والمعنى أن الإنسان مدبر لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً » هامش الكتاب ١/٨٣

(٣) الكتاب ١/٤٢٩ فما بعدها .

تعقيب

من الواضح فى هذا النص أن سيبويه يرجح رأى يونس على رأى الخليل فيصف الأول بالسهولة ، ويصف الثانى بالبعد ... ومعنى ذلك أن سيبويه خالف شيخه الخليل ، وانحاز إلى شيخه الثانى (يونس بن حبيب)... ولكن الأعلم الشنتمرى فهم غير ذلك فجعل سيبويه مع الخليل ... وكان من جراء ذلك - فيما يبدو - أن تعصب لرأيهما فجعله أصح فى المعنى من رأى يونس... وإليك نص ماقال تعقيباً على قول الأعشى (إن تركبوا ... الخ) .

« الشاهد فى رفع (تنزلون) حملا على معنى (إن تركبوا) لأن معناه ومعنى (تركبون) متقارب ، فكأنه قال : (أتركبون فذاك عادتنا أو تنزلون فى معظم الحرب فنحن معروفون بذلك) - هذا مذهب الخليل وسيبويه .

وحمله يونس على القطع ، والتقدير عنده : أوتنزلون ، وهذا أسهل فى اللفظ ، والأول أصح فى المعنى والنظم - (ثم قال) - والخليل ممن يأخذ بصحة المعانى ولا يبالى اختلال الألفاظ »(١)

فأنت تراه يضم سيبويه إلى الخليل فيقول : « هذا مذهب الخليل وسيبويه » ... والظاهر عندى أن سيبويه يخالف الخليل ، ويستبعد رأيه ، لأنه مبنى على التوهم ، أى توهم الرفع فى الفعل الأول ، فكأنه قال : (أتركبون) ... ثم عطف على هذا الفعل المرفوع توهما فعلا آخر مرفوعا حقيقة ، وهو قوله (تنزلون) ... فالرفع هنا مبنى على التوهم فى رأى الخليل ابن أحمد ... والتوهم بعيد هنا فى نظر سيبويه ، وفى نظرنا كذلك ، ولهذا قال فى الكتاب : (والإشراك على هذا التوهم بعيد)

---

(١) هامش الكتاب ١/٤٢٩ فما بعدها .

فإذا كان سيبويه يستبعده كما ترى ... فكيف قال الأعلم الشنتمرى إنه مذهب سيبويه والخليل ؟

لست أدرى من أين جاء (الأعلم) بهذا الرأى مع أن الكلام واضح كل الوضوح فى نص الكتاب .

وكذلك لست أدرى ـ وإن كنت داريا ـ لماذا وصف الأعلم رأى الخليل بأنه (أصح فى المعنى) ... فتعليل هذا سهل علينا يسير ... ذلك أننا ألفنا من الأعلم وأمثاله من الذين يدورون فى فلك البصريين ... أن يتمحلوا أى كلام لتقوية رأى سيبويه وشيخه المعظم الخليل بن أحمد الفراهيدى ... ظننا منهم ـ أو بعبارة أدق ـ كأنهم يظنون أن أقطاب البصريين .. لا ينطقون عن الهوى ... فى كثير مما يقولون .. كأنهم كذلك ... وبعض الظن إثم .

كما أننى لست أدرى ـ بحق ـ ماذا يريد بقوله (والنظم) حين قال : (والأول أصح فى المعنى والنظم) فأى نظم يريد ؟ إن كان يريد النظم فى الموسيقى الداخلية للبيت فإن وجود النون فى (تنزلون) لا يتفق موسيقياً مع حذفها من كلمة (تركبوا) . وإن كان يريد بالنظم الموسيقا الظاهرية من حيث الوزن والتفاعيل فإن حذف النون من (تنزلون) يفسد البيت ، ويخل بالوزن العروضى فيه ... ومهما يكن من شىء فإننى لست أدرى ـ بحق ـ ماذا يريد ؟ ... وأكبر الظن أنه أراد أن يقوى رأى صاحبيه فأتى بكلام غير مسئول .

أما قول يونس فإنه واضح كل الوضوح ... ولهذا وصفه سيبويه بالسهولة لخلوه من التكلف والتعسف ... فلما رأى المضارع مرفوعا قدر له مبتدأ ـ وله نظائر كثيرة فى الشعر العربى ، وفى القرآن الكريم كذلك ... وقد أشار سيبويه إلى كل ذلك حين قال : « وعلى هذا الوجه فسر الرفع فى الآية كأنه قال : أو هو يرسلُ رسولا ، كما قال طرفة : أو أنا مفتدى »

يريد أن طرفة قال : (أو مغتدى) فقدر النحاة مبتدأ محذوفا بعد (أو) فقالوا : (أو أنا مغتدى) فمثل هذا الحذف معروف مألوف عندهم ، ولا يحتاج إلى شيء من التكلف فى رفع المضارع بالتوهم كما رأيت آنفا فى مذهب الخليل .

ولعلك توافقنى على أن قياس يونس فى هذه المسألة جاء موفقاً للغاية ... إذ أنه اعتمد فيه على نظائر متعددة كما ذكر سيبويه ... ومنها آية كريمة فى قراءة أهل المدينة . حيث جاء الفعل مرفوعا بعد (أو) فى قوله تعالى : (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب ، أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه مايشاء)(١) برفع (يرسل) وإليك نص ماجاء فى الكتاب :

قال سيبويه : « وبلغنا أن أهل المدينة يرفعون هذه الآية (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً ، أو من وراء حجاب ، أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه مايشاء) فكأنه والله أعلم قال الله عز وجل : لايكلم الله البشر إلا وحيا أو يرسل رسولا ، أى فى هذه الحال ، وهذا كلامه إياهم ، كما تقول العرب : تحيتك الضرب ، وعتابك السيف ، وكلامك القتل - وقال الشاعر (وهو عمرو بن معد يكرب) :

وخيل قد دلفت لها بخيل   تحية بينهم ضربٌ وجيع »(٢) ، (٣)

---

(١) الشورى : آية ٥١

(٢) « الشاهد فيه جعل الضرب تحية على الاتساع ... وإنما ذكر هذا تقوية لجواز البدل فيما لم يكن من جنس الأول كالأبيات المتقدمة — يقول : إذا تلاقوا فى الحرب جعلوا بدلا من تحية بعضهم لبعض الضرب الوجيع — ومعنى دلفت : زحفت ، والدليف مقاربة الخطو فى المشى » هامش الكتاب ٣٦٦/١

(٣) الكتاب ٤٢٩/١ ط بولاق .

فأنت ترى أن قياس يونس هنا يعتمد على قراءة قوية ، هى قراءة الإمام نافع ، أحد القراء السبعة .. وإليها أشار سيبويه بقوله : (وبلغنا أن أهل المدينة يرفعون ... الخ) وكذلك قرأ بها بعض السلف الصالح ، وهو ابن ذكوان ، كما جاء فى (إتحاف فضلاء البشر) حيث يقول : « واختلف فى (أو يرسل فيوحى) فنافع وابن ذكوان بخلف عنه من طريقيه ، برفع اللام من (يرسل) وسكون الياء من (فيوحى) خبر - أى (هو يرسل) أو مستأنف ... والباقون بنصبهما بأن مضمرة . »[١] - وقد احتج لها الإمام ابن خالوية كما احتج لقراءة النصب فقال : « (أو يرسل رسولا فيوحى) يقرآن بالرفع والنصب ، فالحجة لمن رفع : أنه استأنف (بأو) فخرج من النصب إلى الرفع ، والحجة لمن نصب أنه عطفه على معنى قوله : (إلا وحيا) لأنه بمعنى : أن يوحى إليه أو يرسل رسولا ، فيوحى ، فيعطف بعضا على بعض بـ (أو) ، وبالفاء »[٢] وقريب من هذا ما جاء فى البحر المحيط[٣] .

أنموذج (ب)

الوقف أو النداء

من الأقيسة التى تفرد بها يونس . وأشاد بها سيبويه فى الموازنة بين آراء يونس والخليل ... هذا القياس الذى أضعه بين يديك الآن . . . وهو يتعلق بقولهم : (ياقاض) وأمثاله من الأسماء المنقوصة فى النداء .. ولهذا

(١) راجع إتحاف فضلاء البشر للدمياطى الشهير بالبناء ص ٣٨٤

(٢) انظر الحجة فى القراءات السبع لابن خالويه ص ٢٩٣ طبع بيروت ، وانظر (إملاء مامن به الرحمن) لأبى البقاء العكبرى ص٢٢٦ وفيها يقول: « ومن رفع (يرسل) استأنف » .

(٣) راجع تفسير البحر المحيط لأبى حيان جـ ٧ ص ٥٢٧

جعله سيبويه تحت عنوان : (هذا باب مايحذف من أواخر الأسماء فى الوقف وهى الياءات)(١) ... ولما كان هذا القياس يتعلق بالكلمة حال النداء فقط . جعلنا فى العنوان كلمة (النداء) طلبا للدقة فى تحديد المسألة بكل خصائصها الدقيقة ... وإليك نص ماجاء فى الكتاب :

قال سيبويه : « وسألت الخليل عن القاضى فى النداء . فقال أختار (ياقاضى) لأنه ليس بمنون ، كما أختار هذا القاضى .

وأما يونس فقال : (ياقاضْ) ـ وقول يونس أقوى ، لأنه لما كان من كلامهم أن يحذفوا فى غير النداء كان فى النداء أجدر ، لأن النداء موضع حذف ، يحذفون التنوين ويقولون : (ياحار) و (ياصاحِ) و (ياغلامِ أقبل) ... »(٢) .

وقريب من هذا ماجاء فى شرح الشافية للعلامة الرضى ، حيث قال : « إذا كان المنقوص منادى مفرداً نحو (ياقاضى) فاختار الخليل والمبرد إثبات الياء كما فى (جاءنى القاضى) سواء ، لأنه لامدخل للتنوين فيها حتى يحذف الياء لتقديره كما حذف فى (جاءنى قاض) وقفاً واختار يونس ـ وقواه سيبويه ـ حذف الياء ، لأن المنادى موضع التخفيف »(٣) .

على أننا نرى ابن يعيش يقول فى شرح المفصل : « فأما إذا ناديت فالوجه إثبات الياء ، وهو قول الخليل ، وذلك أن المنادى المعرفة لايدخله تنوين ، لا فى حال وقف ولا وصل ، والذى يسقط الياء هو التنوين .

واختار يونس أن تقول : (ياقاضْ) بحذف الياء ، لأن النداء باب

---

(١) الكتاب ٢/٢٨٨

(٢) الكتاب ٢/٢٨٩

(٣) راجع شرح الرضى على شافية ابن الحاجب ج ٢ ص ٣٠١

حذف وتغيير ، فإذا جاز الحذف فى غير النداء كان فى النداء أولى . واختار سيبويه قول يونس »[١]

وقريب من هذا وذاك ماجاء فى الأشمونى[٢] ، وشرح التصريح[٣] .

وأما صاحب الهمع فإنه قال بعد ما تحدث عن أحوال المنقوص بالتفصيل : « أو منادى نحو (ياقاضى) . واختيار إثبات الياء فى الوقف على المنادى هو مذهب الخليل .

ومذهب يونس اختيار حذفها نحو (ياقاض) . قال سيبويه : وهو أقوى، لأن النداء محل حذف ، ألا تراهم رخموا فيه الأسماء ... »[٤] .

تعقيب :

لعلك تلحظ فيما سبق أن المبرد[٥] انحاز إلى رأى الخليل فى إثبات الياء حال النداء ... ولكن سيبويه ظل واقفاً - كالطود الأشم - إلى جانب يونس ابن حبيب .. يزكى رأيه ، ويحكم عليه بأنه أقوى من رأى الخليل ولا يتأتى ذلك من سيبويه ضد شيخه الأثير (الخليل بن أحمد) إلا إذا كان رأى يونس من القوة بمكان ... ولهذا كانت آراء سيبويه التى رجح فيها رأى يونس على رأى الخليل ... بعيدة عن مظنة التحيز ، وشبهة التعصب ... بخلاف موقفه من المسائل التى رجح فيها رأى الخليل على رأى يونس . فإنها تؤخذ بحذر

(١) شرح ابن يعيش على مفصل الزمخشرى ٩/٧٥

(٢) انظر شرح الأشمونى وحاشية الصبان جـ ٣ ص ٢٠٧

(٣) راجع شرح التصريح على التوضيح جـ ٢ طبع مصطفى محمد (الفصل الثانى فى أقسام المنادى وأحكامه) .

(٤) راجع همع الهوامع شرح جمع الجوامع للإمام السيوطى ٢/٢٠٥

(٥) انظر شرح الشافية ٢/٣٠١

كبير .. لا لأننا نتهم سيبويه فى نزاهته وأخلاقه ... فهو فوق مستوى الشبهات فى هذه الأشياء بالذات — ولكننا نحاذر من تسرب النزعة البصرية المتعصبة للخليل بن أحمد ... نتيجة اتفاق الهوى فى تصحيح القياس كما رأينا ذلك فى بحث لنا سابق، بعنوان (الموازنة بين المناهج البصرية)[١] ، وكما سنرى فى كتاب (التيارات الكبرى فى المدارس النحوية)[٢] قريباً إن شاء الله .

على أن ذلك لا يغض إطلاقاً من قيمة الرجل العظيم ... نابغة العرب . الخليل بن أحمد الفراهيدى ... فإنه — فى نظرى ونظر المنصفين جميعاً — عبقرية من العبقريات النادرة الخالدة[٣] ... غير أن الحذر واجب فى تقبل الآراء من الآخرين .. حتى لو كانوا من العظماء أمثال الخليل بن أحمد ... لأن الهالة الضخمة التى تحيط بهم.. تجعل الباحث الغرير يدور فى فلكهم دون أن يبدى رأياً حصيفاً أو يلقى نظرة فاحصة .. والمنهج العلمى القويم يأبى ذلك ، ويرفضه كل الرفض ... ومنذا الذى ترضى سجاياه كلها ؟ وآية ذلك أن سيبويه نفسه — وهو أعظم تلاميذ الخليل إخلاصاً له ولمذهبه — كان يخالف الخليل فى كثير من الآراء ، وأحياناً يصف رأى الخليل بالضعف أو ما أشبه ذلك ، فالتقدير شىء ، والتقديس شىء آخر — وفرق كبير بين التقدير والتقديس .

وبالرغم من اتفاق الهوى بين سيبويه وأستاذه الخليل ... إلى حد كبير .. فإن شخصية سيبويه واضحة كل الوضوح ، وليست غائبة عن الكتاب ...

---

(١) راجع الموازنة بين المناهج البصرية ص ٤٥ وغيرها — طبع جامعة القاهرة سنة ١٩٦٦

(٢) تحت الطبع .

(٣) راجع فى ذلك كتاب (عبقرى من البصرة) للأستاذ الدكتور مهدى المخزومى طبع وزارة الإعلام بالعراق سنة ١٩٧٢ (سلسلة الكتب الحديثة — ٥٣) وكذلك كتابه عن (الخليل بن أحمد)

فإنك تراها ماثلة شامخة وراء كل نص من النصوص وتلك شيمة العلماء العظماء فى التاريخ .

ويهمنى الآن أن أبرز القياس القوى ، الذى تفرد به يونس البصرى ، فى هذه المسألة . وهى حذف الياء من (ياقاض) عند الوقف فى النداء ... فقد قاسها يونس على الحذف من المنادى فى أحوال متعددة ... فإنهم يحذفون منه التنوين فى العلم المفرد ، وفى النكرة المقصودة . كما أنهم يحذفون منه بعض حروفه الأصلية عند الترخيم ، فيقولون فى حارث ، (يا حار) ، وفى صاحب (ياصاح) ، وهكذا ... وهكذا من الحذف الكثير عند النداء ... فالموطن موطن حذف كما ترى . ولهذا قاس عليه يونس حذف الياء من (ياقاض) .. وهو قياس موفق ... ألا تراهم يحذفون فى غير النداء ... فمن باب أولى أن يكون الحذف عند الوقف فى النداء .. وما أجمل تعليل سيبويه لذلك حين قال : « وقول يونس أقوى ، لأنه لما كان من كلامهم أن يحذفوا فى غير النداء كان فى النداء أجدر ، لأن النداء موضع حذف »(١) .

٢ — آراء للخليل أرجح من آراء يونس :

أنموذج (١)

تصغير ما سمى به من الجموع

اختلف الرأى بين يونس والخليل ... فيما سمى به من الجموع ... مثل كلمة (قبائل) إذا سميت به رجلا ... فصغرها يونس على (قُبيِّل) بحذف الهمزة وصغرها الخليل على (قبيئل) بالهمزة ... واستدل كل منهما بما عنده من قياس ... ثم جاء سيبويه فرجح رأى الخليل على رأى يونس ... ووصفه بالحسن فقال :(وقول الخليل أحسن) ، وإليك نص ما جاء فى

(١) الكتاب ٢/٢٨٩

الكتاب : قال سيبويه : « وإذا حقرت رجلا اسمه (قبائل) قلت (قبيئل) وإن شئت قلت : (قبيئيل) عوضاً مما حذفت ـ والألف أولى بالطرح من الهمزة ، لأنها كلمة حية لم تجىء للمد ، وإنما هى بمنزلة جيم مساجد ، وهمزة (برائل) وهى فى ذلك الموضع والمثال ـ والألف بمنزلة ألف عذافر ـ وهذا هو قول الخليل .

وأما يونس فيقول (قبيل) يحذف الهمزة إذا كانت زائدة ، كما حذفوا ياء (قراسية) وياء (عفارية) ـ وقول الخليل أحسن ، كما أن (عُفيرية) أحسن »(1) .

ثم جاء المبرد فقال فى المقتضب(2) : « هذا باب ما يسمى به من الجماعة(3) ـ اعلم أنك إذا سميت رجلا بمساجد ، ثم أردت تحقيره قلت : (مسيجد) فحذفت الألف الزائدة ، لأنك لا تصغر شيئاً على خمسة أحرف ، فإن عوضت قلت (مسيجيد) . فإن سميت بمفاتيح قلت : (مفيتيح) فتحذف الزائدة الثالثة ، وتقر الياء ، لأنها رابعة فى الاسم .

فإن سميت (قبائل أو رسائل) قلت : (قبيئل ورسيئل) فى قول جميع النحويين إلا يونس بن حبيب ، فإنه كان يقول : (قبيّل ورسيل) وذلك ردىء فى القياس .

أما النحويون فأقروا الهمزة ، وحذفوا الألف ، لأن الهمزة متحركة ، والألف ساكنة ، والمتحرك حرف حى ، وهو فى مواضع الملحقة بالأصول ،

(1) الكتاب ٢/١١٧ ط بولاق .

(2) راجع المقتضب للمبرد ٢/٢٨٦ طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بتحقيق فضيلة الأستاذ محمد عبد الخالق عضيمة .

(3) هذا هو العنوان كما جاء فى ص ٢٨٦ جـ ٢

ألا ترى أن الهمزة من (قبائل) فى موضع الفاء من (عُذافر)[1] .
والألف لاتقع من هذا البناء فى موضعها إلا زائدة ، فكانت أحق بالحذف .
وأما يونس فكان يقول : لما كانتا زائدتين كانت التى هى أقرب إلى
الطرف أولى بالحذف ـ وليس هذا القول بشىء » .

تعقيب :

تفرد يونس بن حبيب كعادته بقياس جديد ... فأثرى النحو العربى بالقياس الابتكارى ، والمذاهب التجديدية ... فخالف جميع النحويين كما يقول المبرد فى تصغير ماسمى به من الجموع ، نحو كلمة (قبائل) علما على رجل ، فصغرها يونس على (قبيِّل) وصغرها الخليل على (قبيئل) .

وحجة يونس أنه اجتمع فى الكلمة حرفان زائدان ، وهما الألف اللينة ، والهمزة لأن المادة الأصلية للكلمة تتكون من (ق ب ل) ... ولما كان كل من الحرفين زائداً فيها ... كان حذف الحرف القريب من الطرف (وهو الهمزة) أولى من حذف غيره لأن الحذف يكثر فى الطرف وما كان قريباً منه - وهذا هو القياس .

ولعلك تلحظ أنه قياس معقول إلى حد كبير ... ولهذا تقبله سيبويه بقبول حسن ، وإن كان فضل عليه قياس الخليل ... وكأن سيبويه يقول : كلاهما حسن ، ولكن قول الخليل أحسن ـ ونحن نرتضى هذا الحكم من سيبويه ، ولا نعيبه عليه ، لأنه حكم معتدل متزن ... حتى لو كان هناك من يخالفه فى هذا التفضيل فإن أحداً لا يستطيع أن ينكر عليه هذا الموقف ... لأن تفضيل شىء عن شىء يختلف من شخص إلى شخص لاختلاف النظر ، واختلاف الأذواق ، وصدق من قال : « لولا اختلاف النظر لبارت السلع » .

(١) العذافر : الأسد والعظيم الشديد من الإبل ـ والأنثى عذافرة .

فمثل هذا المسلك الذى سلكه سيبويه لاضير عليه ولا تثريب ... وإنما الضير والتثريب يقع على مسلك المبرد ، حيث وصف قياس يونس بالرداءة فقال: (وذلك ردىء فى القياس) فمن أين جاءته الرداءة ؟

لا موضع لها على الإطلاق فيما أرى ... وكل الذى أراه أن المبرد تقمص رأى سيبويه ، وتعصب له أكثر من سيبويه نفسه فانزلق فى هذا الوصف « الردىء » .

على أن دفاعنا عن قياس يونس لا يحول بيننا وبين الاعتراف بقوة القياس عند الخليل .. وذلك واجب الباحث المنصف ... ينبغى أن يتجرد من الهوى ، وينظر نظرة موضوعية بحتة .. ويعطى ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله .

ويطيب لى أن أقرر فى اطمئنان تام أن قياس الخليل جميل وقوى فى الوقت نفسه — فماذا تريد منه أكثر من التنظير الموفق، والتعليل المقبول؟ وقد اجتمع كل ذلك فى قياس الخليل . ولهذا قالوا : إن الألف أولى بالطرح من الهمزة ، لأن الهمزة كلمة حية ، بخلاف الألف فإنها لينة جىء بها للمد والإطلاق .

أنموذج (ب)

تصغير الخماسى

اشتجر الرأى بين يونس والخليل أيضاً فى تصغير الخماسى إذا كان صحيح الرابع ، مثل: سفرجل ، وفرزدق ، وشمردل ...

فقال يونس : تصغر على (سفيرج ، وفريزد ، وشميرد) بحذف الحرف

الخامس[1] لأنه فى الطرف ، والأطراف موضع الحذف والبتر فى الكثير الغالب .

وقال الخليل : تصغر على (سفيرجِل ، وفريزدِق ، وشميردِل) بدون حذف - مع أن هذا التصغير لم يرد فى اللسان العربى على الإطلاق .

ثم جاء سيبويه فرجح رأى الخليل على رأى يونس ، ووصفه بالقرب ، مع أنه يعلم علم اليقين ، أنه لم يرد فى اللسان العربى المبين ، حيث قال تأييداً لرأى الخليل : « فهذا أقرب وإن لم يكن من لسان العرب »[2] - وإليك نص ما جاء فى الكتاب :

قال سيبويه : « (هذا باب تصغير ما كان على خمسة أحرف ولم يكن رابعه شيئاً مما كان رابع ما ذكرنا ، مما كان عدة حروفه خمسة أحرف)[3] - وذلك نحو سفرجل ، وفرزدق ، وقمبترى ، وشمردل ، وجحمرش ، وصهصلق - فتحقير العرب هذه الأسماء (سفيرج ، وفريزد ، وشميرد ، وقبيعث ، وصهيصل .

وإن شئت ألحقت فى كل اسم منها ياء قبل آخر حروفه عوضا ، وإنما حملهم على هذا أنهم لا يحقرون ما جاوز ثلاثة أحرف إلا على زنته وحاله لو كسروه للجمع ، إلا أن نظير حرف اللين الثالث الذى فى الجمع : الياء فى التصغير .

وأول التصغير مضموم ، وأول الجمع مفتوح ، لما ذكرت لك ، فالتصغير والجمع بمنزلة واحدة فى هذه الأسماء : فى حروف اللين ، وانكسار الحرف

---

(١) وقال قوم بحذف الحرف الرابع وإبقاء الخامس - والرابع قريب من الطرف على أية حال ، بخلاف رأى الخليل فإنه لا يحذف شيئاً على الإطلاق - وفى حال الحذف لك أن تعوض حرف لين قبل الآخر جوازا .

(٢) راجع الكتاب ١٠٧/٢ ط بولاق .

(٣) هذا هو العنوان كما جاء فى الكتاب ١٠٦/٢ .

بعد حرف اللين الثالث ، وانفتاحه قبل حرف اللين ، إلا أن أول التصغير وحرف لينه كما ذكرت لك ـ فالتصغير والجمع من واد واحد .

وإنما منعهم أن يقولوا (سفيرجل) أنهم لو كسروه لم يقولوا (سفارجل ولا فرازدق ، ولا قباعثر ، ولا شماردل) وسأبين لك إن شاء الله لم كانت هذه الحروف أولى بالطرح فى التصغير من سائر الحروف التى من بنات الخمسة ـ وهذا قول يونس .

وقال الخليل : لو كنت محقراً هذه الأسماء لا أحذف منها شيئاً كما قال بعض النحويين ، لقلت (سفيرجل) كما ترى ، حتى يصير بزنة (دنينير) فهذا أقرب وإن لم يكن من كلام العرب »(١) .

تعقيب :

من الواضح كل الوضوح أن سيبويه إمام النحاة انحاز إلى جانب شيخه الخليل بن أحمد ... فرجح رأيه على رأى يونس ، ووصفه بالقرب حين قال : « فهذا أقرب » وهنا نختلف مع سيبويه فى هذا التفضيل... ونقول له : على أى أساس فضلت هذا الرأى ، مع أنك اعترفت بنفسك بأن مثل هذا التصغير لم يكن فى كلام العرب ؟

أكبر الظن أنه لو كان حيا لقال : حكمت بذلك على أساس القياس ، لأن الأصل عدم الحذف ، وله نظير قسناه عليه ، وهو قولهم : (دنينير) .

وحينئذ نقول له ماقالت العرب فى الأمثال : « يداك أوكتا وفوك نفخ » فأنت ... أنت الذى اعترفت بأنه ليس من كلام العرب ... فكيف تقف ـ بعد هذا ـ إلى جانبه وتفضله على رأى يونس ... ذلك الذى يعتمد على السماع الكثير ، كما يعتمد على القياس الناضج ؟

(١) الكتاب جـ ٢ ص ١٠٦ و ص ١٠٧ ط بولاق .

أما السماع فقد اعترفت بأن العرب تصغر هذه الأسماء على هذه الأوزان، حيث قلت فيما قلت : « فتحقير العرب هذه الأسماء سفيرج ، وفريزد ، وشميرد ... الخ »[1].

وأما القياس فقد ذكرت فيما ذكرت أن « التصغير والجمع بمنزلة واحدة في هذه الأسماء ... وأن التصغير والجمع من واد واحد »[2]. ومعنى ذلك أنهم قاسوا التصغير على جمع التكسير ، وهو قياس قوى ، يعتمد على السماع الكثير .

بماذا أعتذر لك يا إمام النحاة ؟ ... لا أجد لك عذرا عندى إلا أن أردَّ ذلك إلى النزعة البصرية المتعصبة للقياس النحوى ، دون نظر إلى السماع الوارد ... وليس أدل على ذلك من تفضيل الرأى المرجوح على الرأى الراجح ... لا لشيء إلا لأنه يتفق مع القياس ... ولا اعتداد بالسماع على الإطلاق ... ؟ وغاب عنك وعن شيخك العظيم : الخليل بن أحمد .. وعن جميع البصريين ، والمتبصرين .. أن العربى سيد لغته ... ينطق بما يشاء حسب سليقته اللغوية ... وعلى العلماء بعد ذلك أن يسجلوا ما قال .. ويبحثوا ويدرسوا ... ثم يضعون القواعد حسب الوارد من الشواهد .

لكن البصريين بوجه عام خالفوا هذا الدستور اللغوى ... وراحوا يحكمون القياس فى اللغة ... ولو لم يكن هذا القياس واردا فى كلام العرب ... كما ترى فى القياس الذى بين يديك ... ونسى البصريون ... أو تناسوا ذلك القانون اللغوى المعلوم ... وهو أن اللغة لها منطقها الخاص ، فقد يتفق مع القياس والمنطق العقلى ، وقد يختلف معه ـ وقد وضحنا كل ذلك فى كتابنا

---

(١) راجع الكتاب ٢/١٠٦ ط بولاق .
(٢) المصدر السابق بتصرف يسير .

(أبو زكريا الفراء) وضربنا له الأمثال[١] .

ومن هنا كان حكمنا على يونس البصرى ، أنه زعيم من زعماء (التيار المنهجى) ، ذلك الذى يعتمد « على الأثر مع القياس عليه كلما توافرت له الكثرة المعتمدة »[٢] كما رأيت فى هذا القياس الذى تفرد به يونس ، وكان موضوعه (تصغير الخماسى) .

على أن سيبويه ـ رحمه الله ـ يعرف لشيخه يونس هذه المزية ... وإن لم يوافقه عليها فى كثير من الأحيان ، إذ أن سيبويه يتفق فى هواه مع الخليل ... وينزع منازع تحكيم القياس وإن لم يكن وارداً فى كلام العرب أحياناً ... ولهذا سمينا هذا المسلك (بالتيار الخليلى) وذلك حينما تعرضنا لتصنيف المدرسة البصرية إلى مدارس متعددة مستقلة ، كل مدرسة منها لها خصائصها التى تميزها عن غيرها تمام التمييز ، كما هى الحال فى المدرسة البصرية الأم مع رصيفتيها : (المدرسة الكوفية ، والمدرسة البغدادية) .. غير أننا عدلنا عن التسمية هناك باسم (المدرسة) ... لئلا تلتبس بالمدارس الكبرى ... واخترنا لها اسم (التيار) ... فكان من ذلك : (التيار القياسى) و (التيار المنهجى) و (التيار الخليلى) .. على أن كل تيار منها يعتبر مدرسة مستقلة داخل (المدرسة البصرية) ، وقد سميناها جميعاً (التيارات الكبرى فى المدارس النحوية)[٣] .

وأعود فأقول : إن سيبويه يعرف ليونس هذه المزية ، ولا سيما فى باب

---

(١) راجع ص ٢٠٤ فما بعدها .

(٢) انظر (الموازنة بين المناهج البصرية) للدكتور أحمد مكى الأنصارى ـ ص ٤٤ وغيرها .

(٣) وقسمناها إلى أقسام ، كان القسم الأول منها خاصاً بتيارات المدرسة البصرية ، وهو الآن تحت الطبع .

التصغير الذى نبحث فيه الآن ... وآية ذلك أن سيبويه اعتمد اعتماداً كلياً على شيخه يونس فى باب التصغير ... وقد اعترف بذلك حينما قال فى الكتاب « وجميع ما ذكرت لك فى هذا الباب ، وما أذكر لك فى الباب الذى يليه قول يونس »[1] .

(١) راجع الكتاب ٢/١٠٩ ط بولاق .

رابعاً : أقيسة أخرى ليونس

كلمة :

كثير من هذه الأقيسة التي أنثرها بين يديك ... كان قد تفرد بها يونس ابن حبيب ... ووضعها ابتداء، وابتكرها ابتكارا ... ولهذا استحق أن يلقب « بصاحب القياس المبتكر » .

غير أن بعض هذه الأقيسة راقت لبعض النحويين فاعتنقها وتبناها، وراجت فيما بينهم آنذاك، كما رأينا ذلك فى بعض الأقيسة التى اعتنقها البغداديون ... والأقيسة الأخرى التى اعتنقها الكوفيون(١)

وبعض الأقيسة الأخرى التى ابتكرها يونس ... ظلت بمنأى عن النحويين آنذاك ... وربما كان أقرب إلى الواقع أن نقول : إنهم فهموا هذه الأقيسة ، ولكنهم عارضوها لأنها لاتتفق مع منهجهم الذى ارتضوه ، وقواعدهم التى وضعوها بأيديهم ، وتعصبوا لها أشد التعصب ، كما أثبتنا ذلك فى كثير من البحوث(٢)

على أن بعض هذه الأقيسة التى تفرد بها يونس ... وعارضها كثير من النحاة... كانت وما زالت مبنية على أساس سليم من مناهج البحث الحديث ... وقد رأينا شيئاً من ذلك فى النماذج التى عرضتها عليك آنفا ... وبخاصة تلك النماذج التى تعرض لها سيبويه بالرفض والتجريح ...

---

(١) مرت كثيراً فى ثنايا البحث فتتبعها إن شئت حصرها .

(٢) راجع مثلا (سيبويه والقراءات) توزيع دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٢، وانظر (الدفاع عن القرآن) توزيع دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٣ ،(وأبو زكريا الفراء) ، وغيرها من البحوث .

وهناك أقيسة أخرى اشترك فيها بعض النحويين مع يونس ... وبالرغم من اشتراك بعض الأئمة الكبار مع يونس ... أرانى أحتفظ له بمكانته المرموقة فى الخلق والابتكار ، دون أن أعرف من الذى وقع على هذا القياس أولا ... ثم تبعه الآخرون — ومن الجائز ألا يكون هناك سابق أو مسبوق فى بعض الآراء ... وإنما تكون وليدة اتفاق الفكرة عند الرجلين ، وذلك من باب (وقوع الحافر على الحافر) كما يقولون .

ومهما يكن من شىء فقد حرصت كل الحرص على أن أضع بين يدى الدارسين هذه الثروة الضخمة من النصوص المتعددة المتنوعة ... وقد حاولت جاهدا أن أصنفها على أبواب تماثل . أو تقارب عناوين الأبواب فى ألفية ابن مالك ... تيسيرا على الدراسين والباحثين بوجه عام إذ أن معظمها جاء فى كتاب سيبويه ... والكتاب معروف بعناوينه المختلفة اختلافا كبيراً ... كما أنه معروف بالاستطراد ، وتفتيت المسألة الواحدة فى أبواب متفرقة ... إلى غير ذلك مما هو معلوم لكل باحث يعانى دراسة هذا الكتاب العظيم .

ولست أزعم أننى أحصيت كل ما ورد عن يونس ... فى جميع كتب النحو والصرف وما إلى ذلك فليس هذا من أهدافى ، وإنما هو جهد المقل ... وقفت عليه أثناء البحث والدرس ... لأستنبط منه مذهب الرجل ، ومنهجه فى هذا الفن ... وحينما تهيأ لى ذلك — فيما أحسب — حمدت الله تعالى ، ورأيت أن أضع هذه النصوص القيمة فى هذا المبحث بالذات خدمة للعلم والعلماء ... رجاء أن ينتفع بها الباحثون ، والمشتغلون بالدراسات النحوية على وجه الخصوص .

ولا تدرى مدى الجهد الذى بذل فى سبيل ذلك ، وفى استنباط المذهب النحوى من خلال هذا الركام - ومما لاشك فيه أن هذه النصوص تعتبر ثروة كبرى للنحو العربى ، وللفكر الإنسانى بوجه عام .

هذا إلى أنى حرصت من ناحية أخرى على إيراد الفكرة الواحدة ، من مراجع متعددة فى كثير من الأحيان ... ليستطيع الباحث أن ينتفع بالتطور التاريخى للفكرة ، كلما سنحت له الفرصة ، بمداومة النظر فى هذه النصوص ... بغية استنتاج شىء جديد — والله ولى التوفيق .

وبعد ، فهذه هى النصوص بين يديك مصنفة ، مرتبة ، معنونة ، ولعلك واجد فيها ماتحب وتبغى ، والله المستعان — وإلى اللقاء — بعد الفراغ منها إن شاء الله — فى الفصل الثانى : (مذهبه فى النحو) وهو الأهم ، كما أنه الهدف الأصيل من دراسة الشخصيات النحوية على وجه العموم — وإليك البيان :

(باب المعرب والمبنى)

« زعم يونس أنك إذا سميت رجلا طلحة أو امرأة أو سلمة أو جبلة ثم أردت أن تجمع جمعته بالتاء كما كنت جامعه قبل أن يكون اسما لرجل أو امرأة على الأصل ألا تراهم وصفوا المذكر بالمؤنث قالوا رجل ربعة وجمعوها بالتاء فقالوا ربعات ولم يقولوا ربعون » . الكتاب ٢/٩٥ ط بولاق (باب جمع الاسم الذى فى آخره هاء التأنيث) .

قال الشاعر (وهو رؤبة) فيما لحقته الواو والنون فى الرفع ، والياء والنون فى الجر والنصب :

(أنا ابن سعد أكرم السعدينا)

والجمع هكذا فى هذه الأسماء كثير وهو قول يونس والخليل .« الكتاب ٢/٩٦ ط بولاق (باب جمع أسماء الرجال والنساء) .

فصل إذا كان المجموع بالألف والتاء اسما ثلاثيا ... الخ .

« فإن يونس قال أن كل شيئين منفصلين فى الإنسان يؤنثان كاليدين والرجلين » . — شرح التصريح على التوضيح — ٢/٣٠١ طبع مصطفى محمد .

الباب الثالث جمع المذكر السالم :

« فصل وحملوا على هذا الجمع أربعة أنواع .

... والنوع الرابع ما سمى به من هذا الجمع ، المستوفى للشروط

(و) من « ماالحق به » فالثانى » كعليون ، فإنه ملحق بهذا الجمع ومسمى بهأعلى قال تعالى (إن كتاب الأبرار لفى عليين وما أدارك ماعليون) وهو فى الأصل جمع (على) بكسر العين واللام مع تشديد اللام والياء ووزنه فعيل من العلو ونقل القزوينى عن يونس أن عليين (على وعلية) وهى الغرفة (و) الأول نحو « زيدون مسمى به » شخص فيجمعان بالحروف إجراء لهما على ما كانا عليه قبل التسمية بهما وإن كانا مفردين حينئذ ، ويجوز فى هذا النوع ، المسمى به « أن يجرى » فى الإعراب « مجرى غسلين » ... الخ

شرح التصريح على التوضيح — الجزء الأول — ص ٧٥ — مطبعة مصطفى محمد .

باب بحث المثنى — ما حذف آخره اعتباطا وحذف نون المثنى :

(وإن لم يكن المضاف جزء المضاف إليه بل كانا منفصلين فإن لم يؤمن اللبس نحو لقيت غلامى الزيدين فتثنية المضاف واجب وإن أمن جمعه قياساً وفاقا للفراء ويونس ...) .

شرح الكافية لابن الحاجب ج ٢ ص ١٦٤ -

مما يلزم الإضافة كلا وكلتا الخ :

« إذا ضفت الأولى سجعن لها معاً : أى إذا هدرت الحمامة الأولى هدرن جميعاً لتصديقها واختلف فى حركة (معاً) إذ نونت فذهب الخليل وسيبويه إلى أنها فتحة إعراب والكلمة الثنائية فى حال الإفراد كما كانت فى حال الإضافة وذهب يونس والأخفش إلى أن الفتحة فيها كفتحة تاء متى لأنها لما أفردت ردت إليها لامها المحذوفة فصارت اسماً مقصوراً منقوصاً فى الإضافة

تاماً فى الإفراد ولـكن حذفت ألفها فى الوصل للساكنين الألف والتنوين كما حذفت ألف متى » .

شرح التصريح على التوضيح ـ الجزء الثانى ـ ص ٤٨ ـ ط مصطفى محمد

(باب النـكرة والمعرفة)

« واعلم أن ما كان صفة للمعرفة لا يكون حالا ينتصب انتصاب النـكرة وذلك أنه لايحسن لك أن تقول هذا زيد الطويل ولا هذا زيد أخاك من قبل أنه من قال هذا فينبغى له أن يجعله صفة للنـكرة فيقول كذا .

هذا رجل أخوك ومثل ذلك فى القبح هذا زيد أسود الناس وهذا زيد سيد الناس حدثنا بذلك يونس عن أبى عمرو » الـكتاب ٢٧٣/١ط بولاق (باب ما لا يكون الاسم فيه إلا نكرة) .

« فالمعرفة خمسة اشياء الأسماء هى أعلام خاصة والمضاف إلى المعرفة إذا لم ترد معنى التنوين والألف واللام والأسماء المبهمة والإضمار ... وقال : أما قولهم مررت بغيرك مثلك وبغيرك خير منك فهو بمنزلة مررت برجل غيرك خير منك لأن غـــيرك ومثلك وأخواتها يـكن نـكرة ومن جعلهن معرفة قال مررت بمثلك خيراً منك وإن شاء خيراً منك وإن شاء خير منك على البدل وهذا قول يونس والخليل » الـكتاب ٢٢٤/١ ط بولاق (باب ماجرى مجرى النعت) .

« وذلك قولك هذا أول فارس مقبل .. وزعم يونس أن ناساً من العرب يقولون (مررت بمـاء قعدة رجل) والجر الوجه وإنما كان الوصف هنا

بعيداً من قبل أن هذا يكون من صفة الأول فكرهوا أن يجعلوه حالا ».
الكتاب ٢٧٢/١ ط بولاق (باب ما لا يكون الاسم فيه إلا نكرة) .

« ... وزعم يونس أنه يقول عشرون غيرك على قوله عشرون مثلك
وزعم يونس والخليل أن مائة درهم نكرة لأنهم يقولون مائة الدرهم التى
تعلم فهى بمنزلة عبدالله وزعم يونس والخليل أن هذه الصفات المضافة إلى
المعرفة التى صارت صفة للنكرة قد يجوز فيهن كلهن أن يكن معرفة وذلك
معروف فى كلام العرب يدلك على ذلك أنه يجوز لك أن تقول مررت
بعبدالله ضاربك فتجعل ضاربك بمنزلة صاحبك وزعم يونس أنه يقول
مررت بزيد مثلك إذا أرادوا مررت بزيد الذى هو معروف بشبهك فتجعل
مثلك معرفة » .

وحكى عن يونس أنه مطروح الهاء كتمرة وتمر وليس بمستقيم إذ
القياس إذن مأى كمعى كما تقول فى لثة لثى وفى ظبة ظبي وقد قيل أصله مأى
كليب كسر الفاء كما قيل شعير ورغيف كلون العين حلق كما يجىء فى التصريف
ثم خفف لأجل القافية ، ومأى ككليب غير مسموع فى هذا القول نظر .
شرح الكافية لابن الحاجب جـ٢ ص ١٤٢ - (باب النكرة) :

« وليس واحد منها أولى به من الآخر ولا يتوهم به واحد دون آخر
له اسم غيره نحو قولك للأسد أبو الحارث وأسامة ... ومثل الأسد
وأبى الحارث كرجل كانت له كنية واسم ويدلك على أن ابن عرس
وأم حبين وسام أبرص وابن مطر معرفة أنك لاتدخل فى الذى أضفن
إليه الألف واللام فصار بمنزلة زيد وعمرو ألا ترى أنك لا تقول أبو الجحادب

وهو قول أبى عمرو حدثنا به يونس عن أبى عمرو » الكتاب ١/٢٦٥ ط بولاق (باب من المعرفة يكون فيه الاسم الخاص شائعاً فى الأمة) .

(باب العلم)

« إذا لقبت مفرداً بمفرد أضفته إلى الألقاب وهو قول أبى عمرو ويونس والخليل وذلك قولك (هذا سعيد كرز) و(هذا قيس) قفة وقد جاء (هذا زيد بطة) وإنما جعلت قفة معرفة لأنك أردت المعرفة التى أردتها إذا قلت هذا قيس فلو نونت قفة صار الاسم نكرة لأن المضاف إنما يكون معرفة ونكرة بالمضاف إليه . » الكتاب ٢/٩٤ط بولاق (باب الألقاب).

(باب المبتدأ والخبر)

.. «قال يونس: قال رؤبة : المطر شهر ثرى الخ وهذا دليل على أنه خبر ولابد من تقدير مضاف قبل المبتدأ لتصحيح الإخبار عنه بالزمان » .

مغنى اللبيب الجزء الثانى ص ٩٢ مسوغات الابتداء بالنكرة :

(النواسخ)

«وحكى عن يونس مررت برجل صالح إن لا صالح فطالح أى إن لا يكن المرور بصالح فالمرور بطالح، ومررت برجل إن زيد وإن عمرو ، وذلك لقوة الدلالة على الجار بتقدم ذكره فتبين بما ذكرنا أن النصب فى الأول إما مختار أو واجب ، وأما الاسم الذى بعد الفاء فرفعه أولى لأن رفعه بإضمار مبتدأ

بعد الفاء وهو شائع كثير ، وأما نصبه فإما بتقدير (كان) بعد الفاء أى فيكون مايقتل به سيفاً أو بتقدير فعل .. فيجزى خيراً ... »

شرح الكافية جـ ١ ص ٢٢٢ - خبر كان وأخواتها وبيان خصائصه ص ٢٣١ :

« حكى يونس « مررت برجل صالح إن لا صالح فطالح » أى إن لا يكن المرور بصالح فالمرور بطالح ، وذلك لقوة الدلالة على الجار بتقدم ذكره . ولكن فى مذهب سيبويه هذا مما يسهل الحذف لا مما يوجب الاطراد فلا يقال منه إلا ماسمع ونص المصنف على اطراده » .

الأشمونى والصبان جـ١ – ص٢٤٣ – (كان وأخواتها) : (الدلالة على الجار بتقدم ذكره)

« .. وأما قولهم (أما أنت منطلقاً انطلقت معك) قال سيبويه : وسألته - يعنى الخليل - « أما أنت منطلقاً أنطلق معك » فرفع - وهو قول أبى عمرو ويونس - ولو كان جزاء لجزمه » .

شرح المفصل لابن يعيش - الجزء الثانى . مبحث الخبر والاسم فى بابى كان وإن : ص ٩٩

« فإن تكن فى أموالنا لا نضن بها ذراعا وإن صبر فنصبر للصبر ، قال يونس إن « صبر » مرفوعة على أساس أنها فاعل لفعل مضمر ... »

شرح المفصل لابن يعيش - الجزء الثانى - يونس - ص ٩٧ - باب الخبر والاسم فى إن وكان :

«أما أنت منطلق فأنطلق معك، فمنطلق منصوب بفعل مضمر وأصل أما ،

هنا أن، وهى المصدرية ضمت إليها ما، زائدة مؤكدة ولزمت الزيادة ها هنا عوضاً عن الفعل المحذوف والمعنى « لأن كنت منطلقاً انطلقت معك، أى لانطلاقك فى الماضى. وإنما قدرنا فى الماضى لأنك أوليتها الماضى، ولو كان المستقبل لقدرتها بالمستقبل، وحسن حذف الفعل بأن أن هذه الخفيفة لا يقع بعدها الاسم مبتدأ وصار لذلك بمنزلة إن الشرطية فى دلالتها على الفعل وأنت مرتفع بالفعل الذى صار ما عوضاً عنه وهو كان وأن من أما فى موضع النصب بانطلقت والمعنى انطلقت لأن كنت منطلقاً فلما أسقطنا اللام وصل الفعل فنصب وليست أن هذه جزاء قال سيبويه « وسألته يعنى الخليل، أما أنت منطلق أنطلق معك فرفع وهو قول أبى عمرو ويونس جزاء لجزمه » — شرح المفصل ٢/ ٩٩

«اعلم أن الأصل فى (ما) أن لا تعمل كما فى لغة بنى تميم ...

وأما الحجازيون فإنهم استعملوها مع عدم الاختصاص لقوة مشابهتها بليس ..

ونقل عن يونس أنه يجوز إعمالها مع انتقاض نفيها بإلا وأنشد فى ذلك:

وما الدهــــر إلا مجنوناً بأهله وما طالب الحاجات إلا معذباً

شرح الكافية جـ ١ ص ٢٤٥ — ٢٤٦ — خبر (ما) ولا المشبهتين بليس:

« قال يونس فى (ما) التى وردت فى بيت الفرزدق إن خبرها موجب بإلا والبيت هو:

فأصبحوا قد أعاد الله نعمتهم إذ هم قريش وإذ ما مثلهم بشر

وقد قيل إن قول الفرزدق هذا شاذ، وقيل إنه غلط لأنه تميمي وأراد أن يتكلم بلغة الحجاز ولم يدر أن من شرط النصب عندهم بقاء الترتيب بين الاسم والخبر ، وقيل مؤول . وقد قال سيبويه إن (ما) تعمل متوسطاً خبرها ، ومن النحويين من يرى عمل (ما) إذا تقدم خبرها وكان ظرفاً أو مجروراً وهو اختيار أبي الحسن بن عصفور « وسبقه حرف جر» مع مجروره « أو ظرف » مدخولي (ما) مع بقاء العمل « كما بي أنت معنيا » وما عندك زيد قائماً » أجاز العلماء «سبق مصدر نصب بالمفعولية ... والمراد أنه يجوز تقديم معمول خبر (ما) على اسمها إذا كان ظرفاً أو جاراً ومجروراً » .

الأشموني (ت ٩٢٩ هـ) والصبان ج ١ - ص ٢٤٩ - ط الحلبي سنة ١٩٤٧م
(فصل ما ولا ولات وإن المشبهات بليس)

(وما صاحب الحاجات إلا معذبا) — فإنه في تقدير إلا يعذب معذويا أي تعذيبا « والباعث على نفيه وقوعه بعد الإيجاب — والباعث على تأويله بالمصدر (ما) لأن معذبا اسم مفعول ولا يقبل النصب على المفعولية المطلقة وهذا ظاهر على مذهب الأخفش — وأما مذهب سيبويه فلا ، لأنه لا يرى أن صيغة المفعول تكون بصورة المصدر، وأجاز يونس النصب بعد الإيجاب وهذا البيت شاهد له : (أرى الدهر إلا مجنونا) وحكم بزيادة إلا ، واعترضه في المغني، وما ذكره من وجوب الرفع مطلقا في الخبر المنتقض نفيه هو قول الجمهور ، والثاني جواز النصب مطلقا وهو قول يونس، والثالث جواز النصب بشرط كون الخبر وصفا » .

شرح التصريح على التوضيح — الجزء الأول — مطبعة مصطفى محمد
(باب الأفعال الداخلة على المبتدأ والخبر) .

« لاتخفف لعل على اختلاف لغاتها وأما لكن فتخفف وتهمل وجوبا نحو ولكن الله قتلهم وأجاز يونس والأخفش إعمالها »

ابن عقيل — ص ١٤٠ — ط. المطبعة الأزهرية سنة ١٩١٤م (إن وأخواتها)

« لعل حرف ينصب الاسم ويرفع الخبر قال بعض أصحاب الفراء وقد ينصبهما ، وزعم يونس أن ذلك لغة لبعض العرب وحكى « لعل أباك منطلقاً » وتأويله عندنا على إضمار يوجد ... » .

مغنى اللبيب الجزء الأول ص ٢٢٢ — حرف اللام — « لعل »

« كما نقل عن الأخفش أنه سمع من العرب فتح لام الجر الداخلة على المظهر ونقل أيضاً ذلك عن يونس وأبى عبيدة والأحمر » .

شرح الكافية لابن الحاجب ج ٢ ص ٣٣٦ : باب حروف التشبيه — معنى كأن ولكن ولعل وليت شعرى :

« لا نسب اليوم ولا خلة » فعلى إضمار فعل كأنه قال ولا أرى خلة كما قال الخليل فى قوله : (ألا رجلا جزاه الله خيراً) كأنه قال ألا ترونى رجلا - وزعم يونس أنه نون مضطراً لأن ألف الاستفهام إذا دخلت على « لا » فلها معنيان وهما الاستفهام والتمنى - فإذا كانت استفهاما فحالها كحالها قبل الاستفهام وإذا كانت للتمنى فلا خلاف فى الاسم أنه مبنى مع (لا) كما كان إنما الخلاف فى الخبر فأكثر النحويين لا يجيزون رفعه وهو رأى سيبويه والخليل والجرمى - وإنما ينصبونه لأنه قد دخله معنى التمنى وصار مستغنياً ومعناه معنى المفعول ... حمله الخليل عن تقدير فعل — وحمله يونس على أنه ضرورة ، وقول يونس ضعيف لأنه لا ضرورة هنا » .

شرح المفصل لابن يعيش الجزء الثانى - ص ١٠١ - لا المختصة بالجنس :

« وذلك لأنها لحقت ما قد عمل فيه غيرها كما أنها لحقت الأفعال التى هى بدل منها لم تغيرها عن حالها ... وسألت الخليل عن قوله :

ألا رجلا جزاه الله خيراً   يدل على محصـــلة تبيت

فزعم أنه ليس على التمنى ولكنه بمنزلة قول الرجل فهلا خيراً من ذلك كأنه قال ألا تروننى رجلا جزاه الله خيراً ، وأما يونس فزعم أنه نون مضطراً ، وزعم أن قوله « لا نسب اليوم ولا خلة » على الاضطرار وأما غيره فوجهه على ما ذكرت لك » الكتاب ٣٥٩/١ ط بولاق (باب ما إذا ألحقته لا تغيره عن حاله التى كان عليها قبل أن تلحق) .

« ونصبها لما بعدها كنصب (إن) لما بعدها ... وأخبرنا يونس أن من العرب من يقول ما من رجل أفضل منك وهل من رجل خير منك ، كأنه قال ما رجل أفضل منك وهل رجل خير منك » الكتاب ٣٤٥/١ ط بولاق (باب النفى بلا ولا تعمل فيما بعدها فتنصبه بغير تنوين) .

« اعلم أن التنوين يقع من المنفى فى هذا الموضع إذا قلت لا غلام لك كما يقع فى المضاف إلى اسم وذلك إذا قلت لا مثل زيد ... وترك النون فى (لا يدى بها لك) قول يونس واحتج بأن الكلام لا يستغنى إذا قلت كم بها رجل » الكتاب ٣٤٧/١ ط بولاق (باب للنفى المضاف بلام الإضافة) .

« ألا رجلا جزاه الله خيراً   يدل على محصلة تبيت

وقال يونس ألا للتمنى ونون اسم (لا) للضرورة وقول الخليل أولى لأنه لا ضرورة فى إضمار الفعل بخلاف التنوين وإضمار الخليل أولى من إضمار غيره لأنه لم يرد أن يدعو لرجل على هذه الصفة وإنما قصده طلبه » .

مغنى اللبيب الجزء الأول ص ٦٦ - فى معنى « ألا »

« ما أضمر عامله لشريطة التفسير ، قالوا « فلاحسبا » تنصب لفعل محذوف وقال يونس إنها مبنية على الفتح والتنوين للضرورة وهي بمنزلة « لا رجل فى الدار » ..

شرح المفصل لابن يعيش — الجزء الثانى - ص ٣٦ :

« .. قال الخليل فى قوله « ألا رجلا جزاه الله خيراً » كأنه قال : ألا ترونني رجلا ، وزعم يونس أنه نون مضطراً ..

شرح المفصل لابن يعيش - الجزء الثانى - مبحث المنصوب « بلا » التى لنفي الجنس ص ١٠١

« .. رأى يونس أن « ألا » التى للتمنى وإنما « نون » الضرورة ... »

شرح المفصل لابن يعيش - الجزء الثانى : مبحث المنصوب « بلا » التى لنفى الجنس ص ١٠٢

« .. ذهب يونس إلى أن انتصابه من قبيل الضرورة ، والذى دعاه لذلك أن ألف الاستفهام ، إذا دخلت على « لا » فلها معنيان : أحدهما الاستفهام والآخر التمنى ، وإذا كانت استفهاماً فحالها كحالها قبل أن تلحقها ألف الاستفهام فتقول « ألا رجل فى الدار » و « ألا غلام أفضل منك » كما كنت تقول « لا رجل فى الدار » و « لا غلام أفضل منك » تفتح الاسم المذكور بعدها وترفع الخبر لافرق بينهما فى ذلك . قال الشاعر ...... ألا أحلام تزجركم » ، وإذا كانت تمنياً فلا خلاف فى الاسم أنه مبنى مع « لا » كما كان وإنما الخلاف فى الخبر ... وحمله يونس على أن تنوينه ضرورة ، وهو مذهب ضعيف لأنه لا ضرورة هنا . .

شرح المفصل لابن يعيش : الجزء الثانى - مبحث المنصوب بلا التى لنفي الجنس ص ١٠٢ :

« ... إنها مزيدة ومؤكدة بتيم الثانى فى « ياتيم تيم عدى » والفرق بين النصب فى هذه اللغة وبينه فى الأولى أنه فى هذه معرب وفى تلك مبنى ، وإذا فصلت فقلت « لايدين بها لك » و« لا أب فيها لك » امتنع الحذف والإثبات عند سيبويه فأجازها يونس . . »

مبحث المنصوب « بلا » التى لنفى الجنس : ص ١٠٧ جـ ٢ شرح المفصل :

« إذا قلت « قام زيد » فنفى هذا أن تقول « ماقام زيد » ، فتردد الكلام على لفظه فشبهه بالمبتدأ ، قال الشاعر :

فلا حسبا فخرت به ... ... الخ .

فنصبه بإضمار - فعل تقديره « فلا ذكرت حسبا فخرت به » وأجاز يونس أن تكون الفتحة فى قوله « فلا حسباً » فتحة بناء بمنزلة « لا رجل فى الدار» ونونه للضرورة . وهذا البيت لجرير يهجو عمر بن لجأ وهو من تيم عدى .

شرح المفصل لابن يعيش : جـ ٢ : مبحث ماأضمر عامله على شريطة التفسير : ص ٣٦ :

« لانسب اليوم ولا خـــلة اتسع الخرق على الراقع

وقال يونس وجماعة تنوين الثانى فى البيت للضرورة كتنوين المنادى المفرد وكذا فى التوضيح أى فهو مركب مع لا وهى زائدة لكنه نون للضرورة».

ابن عقيل - ص ١٤٣ - ط المطبعة الأزهرية سنة ١٩١٤ م

« ... إن (ما) لا بطال نفيها بإلا ليست ناسخا ولو سلم أنه جاء على مذهب يونس الذى لايشترط عدم إبطاله بإلا فخبر هذا الناسخ لايقترن بالواو » .

الأشمونى والصبان جـ١ - ص ٧- مطبعة المعاهد. (باب لا التى لنفى الجنس).

« تقول قال عمرو إن زيداً خير الناس ... وسألت يونس عن قوله

متى تقول أنه منطلق فقال إذالم ترد الحكاية ، وجعلت تقول مثل (تظن) » الكتاب ١/٤٧١ ط بولاق (باب من أبواب أن)

« تقول اشهد أنه لمنطلق فأشهد بمنزلة قوله والله إنه لذاهب وإن غير عاملة فيها أشهد لأن هذه اللام لاتلحق أبداً إلا فى الابتداء ... وزعم الخليل ويونس أنه لاتلحق هذه اللام مع كل فعل ألا ترى أنك لاتقول وعدتك إنك لخارج» الكتاب ١/٤٧٤ ط بولاق (هذا باب آخر من أبواب أن) .

باب الفاعل

غداة أحلت لابن أصرم طعنة حصين عبيطات السدائف والخمر

فالخمر مرفوع بفعل محذوف (حلت) ، أى حلت له الخمر لأن أحلت « المزيد » يستلزم حلت « المجرد » وحكى أن الكسائى سئل بحضرة يونس بن حبيب عن توجيه رفع الخمر فى هذا البيت فقال بإضمار فعل أى وحلت الخمر فقال يونس ما أحسن والله ما وجهته غير أنى سمعت الفرزدق ينشده بنصب طعنه» .

شرح التصريح على التوضيح ـ الجزء الأول ـ ص ٢٧٤ ـ مطبعة مصطفى محمد ـ باب الفاعل

التعليق والإلغاء

« لننزعن من كل شيعة أيهم أشد ، وكان يونس يرى تعليق لننزعن وما كان نحوه من غير أفعال القلوب نحو اضرب أيهم أفضل على تعليق العامل وشبهه بأشهد أنك رسول الله . »

شرح المفصل لابن يعيش : الطباعة المنيرية بمصر ـ الجزء السابع ـ المتعدى واللازم من الأفعال ـ ص ٨٧ .

« وأما قول يونس وتشبيهه إياه بأشهد أنك رسول الله فلا يشبهه لأن ما بعد أشهد كلام مستقل قائم بنفسه وليس كذلك أيهم أفضل » .ص ٨٨ :

« فهى ظننت وحسبت وخلت وأريت ورأيت وزعمت وما ينصرف من أفعالهن ... وإن شئت رفعت على الرفع فى هذا فإن ألغيت قلت عبد الله أظن ذاهب وهذا إخال أخوك وفيها أرى أبوك وكلما أردت الإلغاء فالتأخير أقوى وكل عربى جيد قال الشاعر وهو اللعين :

أبالأراجيز يا ابن اللؤم توعدنى   وفى الأراجيز خلت اللؤم والخور

أنشدناه يونس مرفوعا عنهم وإنما كان التأخير أقوى لأنه إنما يجىء بالشك بعدما يمضى كلامه على اليقين» الكتاب ١/٦١ ط بولاق (باب الأفعال التى تستعمل وتلغى) .

« لأنه كلام قد عمل بعضه فى بعض فلا يكون إلا مبتدأ يعمل فيه شىء قبله لأن ألف الاستفهام تمنعه من ذلك وهو قولك قد علمت أعبد الله ثَم أم زيد وقد عرفت أبو من زيد وقد عرفت أيهم أبوك وأما ترى أى برق هاهنا . والرفع قول يونس فإن قلت عرفت أبو من زيد لم يجز إلا الرفع لأنك بدأت بما لم يكن إلا استفهاما وابتدأته ثم بنيت عليه » الكتاب ١/١٢١ ط بولاق (باب ما لا يعمل فيه ما قبله من الفعل الذى يتعدى إلى المفعول ولا غيره) .

« اعلم أن (أيا) مضافا وغير مضاف بمنزلة (من) ألا ترى أنك تقول أى أفضل وأى القوم أفضل ... وزعم الخليل أن أيهم وقع فى اضرب أفضل على أنه حكاية كأنه قال اضرب الذى يقال له أيهم أفضل وشبهه بقوله :

ولقد أبيت من الفتاة بمنزل   فأبيت لا حرج ولا محروم

وأما يونس فيزعم أنه بمنزلة قولك أشهد أنك لرسول الله واضرب معلقة وأرى قولهم اضرب أيهم أفضل على أنهم جعلوا هذه الضمة بمنزلة الفتحة فى خمسة عشر .. وأما قول يونس فلايشبهه أشهد أنك لزيد وسترى بيان ذلك فى باب إن وأن » الكتاب ١/٣٩٨ ط بولاق (باب أى) .

« قال سيبويه لو جاز اضرب أيهم أفضل على الحكاية لجاز اضرب الفاسق الخبيث أى اضرب الذى يقال له الفاسق الخبيث بلى مثل ذلك يجىء فى ضرورة الشعر لا فى سعة الكلام ومذهب يونس فى مثله أن الفعل الذى قبل أى معلق عن العمل ويجيز التعليق فى غير هذه الأفعال أيضاً نحو اضرب أو اقتل أيهم أفضل كما يجىء فى باب أفعال القلوب وليس بشىء لأن المعلق يجب كونه فى صدر جملة والمنصوب بنحو اضرب واقتل لا يكون جملة والمعلق إما استفهام أو نفى أو لام الابتداء وأى بعد نحو اضرب واقتل لا تكون استفهامية إذا لا معنى لها إلا على وجه الحكاية كما قال الخليل هى موصولة بعد » .

شرح الكافية لابن الحاجب ج ٢ ص ٥٤ : باب الموصول : مبحث أى وأية وكأى : (تعليق الفعل المؤثر مذهب ضعيف) :

« قال الجرمى خرجت من خندق الكوفة حتى أتيت مكة فلم أسمع أحداً يقول فى نحو (اضرب أيهم أفضل) إلا منصوبا وإن لم يضف مع حذف المبتدأ نحو أكرم أيا أفضل فكلام العرب الإعراب وأجاز بعضهم البناء قياسا لا سماعا فتقول أكرم أى أفضل مضموما بلا تنوين والخليل ويونس يقولان اضرب أى أفضل مرفوعا إما على الحكاية أو التعليق يجىء فى مذهبهما ... »

شرح الكافية لابن الحاجب ج ٢ ص ٥٤ : باب الموصول « أى »

« هو مذهب الخليل ويونس ، وتأولا الآية [1] بأنها استفهامية ، مبتدأ خبره أشد ، فضمتها ضمة إعراب » - ابن عقيل ١/٨٠

(التعليق عند يونس لايختص بأفعال القلوب)

« ثم قال يونس : الجمله سدت مسد مفعول تنزع لأن أى علقته عن العمل ، لأن التعليق عند يونس لايختص بأفعال القلوب »

ابن عقيل جـ ١ ص ٨٠ — المطبعة الأزهرية سنة ١٩١٤ م .

« .. وقد جاء قولهم (أى) بفتح الهمزة وتشديد الياء اسم يأتى على خمسة أوجه .. وموصولا (لننزعن فى كل شيعة أيهم أشد) ، التقدير لننزعن الذى هو أشد . قاله سيبويه وخالفه الكوفيون وجماعة من البصريين لأنهم يرون أن أيا الموصولة معربة دائما كالشرطية والاستفهامية ... ثم اختلفوا فى مفعول تنزع فقال الخليل محذوف والتقدير (لننزعن الفريق الذى يقال فيهم أيهم أشد) وقال يونس هو الجملة وعلقت تنزع عن العمل »

مغنى اللبيب الجزء الأول ص ٧٢ - فى « أى » .

« جعل يونس أيا استفهامية لكنه حكم بتعليق الفعل قبلها عن العمل لأن التعليق عنده غير مخصوص بأفعال القلوب واحتج عليها بقوله :

إذا لقيت بنى مالك فسلم على أيهم أفضل

فالخليل ويونس ومن وافقهما « أعرب » أيا « مطلقا » أى وإن أضيفت وحذف صدر صلتها .

---

(١) يريد قوله تعالى : « ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد » .

بحث فى البيت باحتمال أن تكون أى استفهامية هى وخبرها مقول قول محذوف نعت لمجرور (على) محذوفا أى على شخص مقول فيه أيهم أفضل كما قالوا مثل ذلك فى : ما هى بنعم الولد ، ما ليلى بنام صاحبه . وقال أبو موسى إذا أريد بها المؤنث لحقتها التاء وحكى ابن كيسان أن أهل هذه اللغة يثنونها ويجمعونها « وأعربت » دون أخواتها « مالم تضف وصدر وصلها ضمير انحذف » ، فإن أضيفت وحذف صدر صلتها بنيت على الضم نحو « ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد » التقدير أيهم هو أشد وإن لم تضف أو لم تحذف نحو أى قائم وأيهم هو قائم أعربت)

الأشمونى والصبان جـ ١ - ص ١٦٦ - ط الحلبى سنة ١٩٤٧ (باب اسم الموصول)

«... ثم اختلفوا فى مفعول ننزع فقال الخليل محذوف والتقدير (لننزعن الذين يقال فيهم أيهم أشد) .

وقال يونس المفعول الجملة علقت ننزع عن العمل فيها ، وقال الكسائى والأخفش المفعول كل شيعة ومن زائدة .

شرح التصريح على التوضيح — الجزء الأول — ص ١٣٦ — مطبعة مصطفى محمد - باب اسم الموصول .

«وقال الشهاب القاسمى قوله أى فسلم على شخص مقول إلخ . انظر هل يخالف هذا قول المرادى هذا أى بناء (أى) مذهب سيبويه خلافا للخليل ويونس ثم قال وتناولا الآية أما الخليل فجعلها استفهامية محكية ... بقول مقدر ، والتقدير (لننزع من كل شيعة الذى يقال فيه أيهم أشد) أما يونس فجعلها استفهامية أيضاً وحكم بتعليق الفعل قبلها لأن التعليق عنده غير مخصوص بأفعال القلوب والحجة عليها قول الشاعر :

إذا ما أتيت بنى مالك فسلم على أيهم أفضل

ثم قال لأن حروف الجر لا تعلق ولا يضمر (قول) بينهما وبين معمولها انتهى فقوله لأن حروف الجر إلخ رد لكل من تقديرى الخليل ويونس على اللف والنشر الغير المرتب فتأمله فإن خالفه أشكل عليه تقديرهم فى ماهى بنعم الوالد ونحوه .

شرح التصريح على التوضيح — الجزء الأول — ص ١٣٥ — مطبعة مصطفى محمد ـ باب اسم الموصول :

ويمكن أن يخرج عليه قوله تعالى (ذلك الذى يبشر الله عباده) أى به فحذف الجار أولا والضمير ثانيا من نصب لا من جر ، وذهب يونس ... إلى أن الدى فى الآية الشريفة موصول حرفى ولا حذف (و) شذ أيضاً قوله :

ولإن لسانى شهدة يشتفى بها وهو على من صبه الله علقم .

شرح التصريح على التوضيح ـ الجزء الأول ص ١٣٦ مطبعة مصطفى محمد .

« وقال يونس بن حبيب : الفعل ملغىً ، وأى مرفوع بالابتداء ، وأشدُّ خبره . كما يقال : قد علمت أيهم عندك » .

مجالس العلماء — للزجاجى — تحقيق الأستاذ الكبير عبد السلام محمد هارون ـ مطبعة الكويت ـ ص ٣٠١

« فذهب الكوفيون إلى أن « أيهم » إذا كان بمعنى الذى وحذف العائد ... معرب ، نحو قولهم « لأضربن أيهم أفضل » ، وذهب البصريون إلى أنه مبنى

على الضم ، وأجمعوا على أنه إذا ذكر العائد فهو معرب نحو قولهم .. لأضربن أيهم هو أفضل » .

الإنصاف فى مسائل الخلاف - كمال الدين أبى البركات — الطبعة الأولى سنة ١٩٤٥ مطبعة الاستقامة بالقاهرة . الجزء الثانى ص ٤١٩

« وأما قول يونس فضعيف لأن تعليق « اضرب » ونحوه من الأفعال لا يجوز لأنه فعل مؤثر فلا يجوز إلغاؤه ، وإنما يجوز أن تعلق أفعال القلوب عن الاستفهام وهذا ليس بفعل من أفعال القلوب فكان هذا القول ضعيفا جداً والله أعلم » .

الإنصاف فى مسائل الخلاف — كمال الدين أبى البركات — الطبعة الأولى سنة ١٩٤٥ — مطبعة الاستقامة بالقاهرة - الجزء الثانى ص ٤٢٤

« .. وليس من الباب (ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد) خلافا ليونس لأن (ننزع) ليس بفعل قلبى بل أى موصولة لا استفهامية وهى المفعول » .

مغنى اللبيب - الجزء الثانى ص ٦٣ ط . المطبعة الأزهرية بمصر

« وذهب الخليل إلى أن الضمة ضمة إعراب ، ويرفعه على الحكاية ، والتقدير عنده .« ثم لننزعن من كلّ شيعة الذى يقال لهم أيهم » وذهب يونس إلى إلغاء الفعل قبله ، وينزل الفعل المؤثر فى الإلغاء منزلة أفعال القلوب . والصحيح ما ذهب إليه سيبويه . » .

أسرار العربية — لابن الأنبارى ـ تحقيق محمد بهجة البيطار ص٣٨٣

«قراءة لاحق بن حميدة «فلا يَنْزِعُنَّكَ»، ومثل ذلك قراءة يونس ابن حبيب فى قوله: «ثم لننزعَنَّ من كلٌّ شيعة أيُّهم أشدُّ على الرحمن عتياً». هذه الآيات تكون بصورة المنزوع عن شىء إلى غيره» ص ٨٥ ج ٢ المحتسب.

«يقول يونس فى الجملة: (ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد). جملة «أيهم أشد» سدت مسد المفعول. ويقول أبو حيان إنها إذا وصلت بظرف أو مجرور أو جملة فعلية أعربت إجماعا «قوله على الضم» للإشارة به لكونه أقوى الحركات إلا أن للكلمة حالة إعراب وأصل التحرك لالتقاء الساكنين وقوله «إن لم تضف» أى سواء ذكر صلتها أو حذف بقرينة تمثيله ـ فالمفعول على قول الخليل محذوف و (أى) مبتدأ فضمته إعراب و(أشد) خبر والجملة نائب فاعل» الأشمونى والصبان ج١ ـ ص١٦٦ ـ ط الحلبى

المفعول المطلق

قال إن «لبيك» مفرد غير مثنى وياءها كياء إليك ولديك واحتج عليه سيبويه قائلا أن «لبيك» لا يمكن إضافتها إلى ظاهر فإنك لا يمكن أن تقول «لبى عمرو» على وزن (لدى عمرو)..

«ومن ذلك قولك حمداً وشكراً لا كفراً وعجباً ... وزعم يونس أن

رؤبة بن العجاج كان ينشد هذا البيت رفعاً وهو لبعض مذحج وهو « هنى بن أحمر الكنانى » :

عجب لتلك قضية وإقامتى فيكم على تلك القضية أعجب

وسمعنا بعض العرب الموثوق به يقال له كيف أصبحت فيقول حمد الله وثناء عليه » الكتاب ١٦١/١ ط بولاق (باب ماينتصب على إضمار الفعل المتروك وإظهاره من المصادر فى غير الدعاء)

شرح المفصل لابن يعيش — الجزء الأول - ص ١١٨ — باب المفعول المطلق .

المفعول لأجله

باب المفعول له ويسمى المفعول لأجله :

« حكمه النصب بشروط » وجميع ما اشترطوا له خمسة أمور « الأول » كونه مصدراً » لأن المصدر يشعر بالعلية والذوات لا تكون عللا للأفعال غالبا » فلا يجوز حينئذاك السمن والعسل ، بالنصب لأنه اسم عين لامصدر وهذا الشرط قاله الجمهور ، وأجازه يونس بن حبيب . . »

شرح التصريح على التوضيح - للشيخ خالد الأزهرى - الجزء الأول ص ٣٤٣ مطبعة مصطفى محمد .

« وأجاز يونس عدم المصدرية تمسكا بنحو (أما العبيد فذو عبيد) بالنصب أى مهما تذكر أحداً لأجل العبيد فالمذكور ذو عبيد فلم يبق له شرط سوى العلية » . ابن عقيل (المفعول له)

« وزعم يونس أنه قول أبي عمرو وذلك قولك أما العبيد فذو عبيد وأما العبدفذو عبد ، وأما عبدان فذو عبدين ،وإنما اختير الرفع لأن ماذكرت في هذا الباب أسماء والأسماء لا تجرى مجرى المصادر ألا ترى أنك تقول هو الرجل علما وفقها ولا تقول هو الرجل خيلا وإبلا فلما قبح ذلك جعلوا ما بعده خبراً له كأنهم قالوا أما العبيد فأنت فيهم أو أنت منهم ذو عبيد أى لك من العبيد نصيب ... وزعم يونس أن قوما من العرب يقولون أما العبيد فذو عبيد وأما العبد فذو عبد يجرونه مجرى المصدر سواء ، وهو قليل خبيث وذلك لأنهم شبهوه بالمصدر كما شبهوا الجماء الغفير بالمصدر» الكتاب ١/١٩٤ط بولاق (باب مايختار فيه الرفع ويكون فيه الوجه فى جميع اللغات)

(وأما غير مصدر والصفة نحو أما العبيد فذو عبيد فالوجه فيه الرفع فى جميع اللغات معرفا كان أولا « وروى يونس عن بعض العرب نصبه »)
شرح الكافية لابن الحاجب - ج ٢ ص ٣٧١ :

باب المفعول به

« لايجوز جئتك السمن والعسل قاله الجمهور وأجاز يونس « أما العبيد فذو عبيد » بمعنى مهما يذكر شخص لأجل العبيد فالمذكور ذو عبيد وأنكره سيبويه . » الأشمونى والصبان ج ٢ — ص ٩٢ — مطبعة المعاهد .

المفعول فيه

« وزعم يونس أن أبا عمرو كان يقول دارى من خلف دارك فرسخان يشبهه بقولك دارك منى فرسخان لأن خلف ههنا اسم وجعل(من) فيها بمنزلتها

فى الاسم وهذا مذهب قوى » الكتاب ١/٢٠٨ ط بولاق (باب ماشبه من الأماكن المختصة بالمكان غير المختص شبهت به إذا كانت تقع على الأماكن)

« وذاك لأنها ظروف تقع فيها الأشياء وتكون فيها فانتصب لأنه موقوع فيها ومكون فيها وعمل فيها ماقبلها ... وقالوا منازلهم يمينا ويسارا وشمالا قال عمرو بن كلثوم :

صددت الكأس عنا أم عمرو وكان الكأس مجراها اليمينا

أى على ذات اليمين حدثنا بذلك يونس عن أبى عمرو وهو رأيه وتقول هو قصدك كما قال الشاعر وسمعنا بعض العرب تنشده كذا :

سرى بعد ماغار الثريا وبعدما كأن الثريا حلة الغور منخل

أى قصده يقال هو حلة الغور أى قصده سمعنا ذلك ممن يوثق به من العرب » الكتاب ١/٢٠١ ط بولاق (باب ماينتصب من الأماكن والوقت)

« وذلك قولك متى سير عليه فيقول مقدم الحاج وخفوق النجم وخلافة فلان وصلاة العصر فإنما هو زمن مقدم الحاج وحين خفوق النجم ولكنه على سعة الكلام والاختصار ... وذو صباح بمنزلة ذات مرة تقول سير عليه ذا صباح أخبرنا بذلك يونس عن العرب إلا أنه جاء فى لغة لخثعم مفارقات لذات مرة وذات ليلة وأما الجيدة العربية فأن يكون بمنزلتها وقال رجل من خثعم :

عزمت على إقامة ذى صباح لشىء مايسود من يسود

« فهو على هذه اللغة يجوز فيه الرفع » الكتاب ١/١١٥ ط بولاق (باب ما يكون المصدر فيه حينا لسعة الكلام والاختصار) .

وذلك قول العرب سمعناه منهم هو منى منزلة الشغاف وهو منى منزلة الولد ... وزعم يونس أن ناسا من العرب يقولون :

أنصب للمنية تعتريهم رجالى أم هم درج السيول

فجعلهم هم الدرج كما قال زيد قصدك إذا جعلت القصد زيدا ..

وقد زعم يونس أن ناساً يقولون (هو مزجر الكلب) يجعلونه بمنزلة مرأى ومسمع وكذلك مقعد ومناط » . الكتاب ١ /٢٠٧ ط. بولاق (باب ما شبه من الأماكن) .

« وأما (أمام) فكل العرب تذكره ، أخبرنا بذلك يونس » الكتاب ٢ /٣٥ ط. بولاق (باب تسميتك الحروف بالظروف وغيرها من الأسماء) .

وزعم يونس وهو رأيه أن أبا عمرو كان يجعل لفظه كلفظ الواحد إذا كان شيء منه ظرفا أو حالا وقال الفرزدق :

ولولا يوم يوم ما أردنا جزاءك والقروض لها جزاء »

الكتاب ٢ /٥٣ ط بولاق (باب الشيئين الذين ضم أحدهما إلى الآخر فجعلا بمنزلة اسم واحد كعيضموز وعنتريس . .)

باب الاستثناء

« وذلك قولك (ما أتانى أحد إلا زيد وما مررت بأحد إلا عمرو وما رأيت أحدا إلا عمرا) ... وتقول (قل رجل يقول ذاك إلا زيد) فليس زيد بدلا من الرجل فى قل ولكن قل رجل فى موضع أقل رجل ومعناه كمعناه وأقل رجل مبتدأ مبنى عليه والمستثنى بدل منه لأنك تدخله فى شيء يخرج منه من سواه وكذلك أقل من يقول ذلك وقل من يقول ذاك إذا

جعلت من بمنزلة رجل ، حدثنا بذلك يونس عن العرب يجعلونه نكرة » الكتاب ١ / ٣٦١ ط. بولاق (هذا باب ما يكون المستثنى فيه بدلا مما نفى عنه ما أدخل فيه) .

« وذلك قولك ما فيها إلا أباك أحد ومالى إلا أباك صديق .. وحدثنا يونس أن بعض العرب الموثوق بهم يقولون مالى إلا أبوك أحد فيجعلون أحدا بدلا كما قالوا ما مررت بمثله أحد فجعلوه بدلا وإن شئت قلت مالى إلا أبوك صديقاً كأنك قلت لى أبوك صديقاً » الكتاب ١ / ٣٧٢ ط بولاق (باب ما يقدم فيه المستثنى) .

« وذلك قولك مالى إلا زيد صديق وعمرا وعمرو ومن لى إلا أباك صديق وزيدا وزيد أما النصب فعلى الكلام الأول وأما الرفع فكأنه قال وعمرو لى لأن هذا المعنى لا ينقض ما تريد فى النصب وهذا قول يونس والخليل » الكتاب ١ / ٣٧٢ ط بولاق (هذا باب ما تكون فيه فى المستثنى الثانى بالخيار) .

« قال سيبويه حدثنى يونس أن قوما يوثق بعربيتهم يقولون مالى إلا أخوك ناصر - أعربوا الثانى بدلا من الأول على القلب ومنه قوله :

فإنهمو يرجون منه شفاعة إذا لم يكن إلا النبيون شافع »

حاشية الخضرى على شرح ابن عقيل — جـ ١ ص ٢٠٤ — المطبعة الأزهرية المصرية سنة ١٩١٤ م — (الاستثناء)

« نجا سالم والنفس منه بشدقه ولم ينج إلا جفن سيف ومئزرا

قال الفراء هكذا أنشدنى يونس فقلت له لم نصب الجفن فقال أراد السيف ، قال الفراء : هذا خطأ » .

مجالس ثعلب — ج ٢ ص ٥٢٤ حققه وشرحه الأستاذ الكبير عبد السلام محمد هارون .

« حدثنا بذلك يونس وعيسى جميعا أن بعض العرب الموثوق بعربيته يقول ما مررت بأحد إلا زيدا وعلى هذا ما رأيت أحدا إلا زيدا فتنصب زيدا على غير رأيت وذلك أنك لم تجعل الآخر بدلا عن الأول ولكنك جعلته منقطعاً مما عمل فى الأول » الكتاب ١/٣٦٣ ط بولاق (هذا باب النصب فيما يكون مستثنى مبدلا) .

باب الحال

« وذلك قولك مررت بهم جميعاً وعامة وجماعة كأنك قلت مررت بهم قياماً وإنما فرقنا بين هذا الباب والباب الأول لأن الجميع وعامة اسمان منصرفان ... وزعم يونس أن وحده بمنزلة عنده وأن خمستهم والجماء الغفير وقضهم كقولك جميعاً وعامة وكذلك طرا وقاطبة بمنزلة وحده وجعل المضاف بمنزلة كلمته فاه إلى فى، وليس مثله لأن الآخر هو الأول عند يونس فى المسألة الأولى وفاه إلى فى ههنا غير الأول وأما طرا وقاطبة بمنزلة وحده فأشبه بذلك لأنه جيد أن يكون حالا غير المصدر نكرة ولا يجوز أن يكون حالا غير المصادر . » الكتاب ١ / ١٨٩ ط بولاق (باب ما ينتصب لأنه حال يقع فيه الأمر وهو اسم) .

« وذلك قولك هذا راقود خلا وعليه نحى سمنا وإن شئت قلت راقود خل وراقود من خل ... وزعم يونس أن قوما يقولون هذه عشرون أضعافها وهذه عشرون أضعاف أى مضاعفة والنصب أكثر ومثل ذلك هذا درهم سواء كأنه قال هذا درهم استواء فهذا تمثيل وإن لم يتكلم به قال الله عز وجل (فى أربعة أيام سواء للسائلين)وقد قرأ ناس فى أربعة أيام سواء قال الخليل جعله بمنزلة مستويات» الكتاب ١ / ٢٧٥ ط بولاق (باب ما ينتصب لأنه قبيح أن يكون صفة) .

«وذلك قولك هذا عربى محضا وهذا عربى قلبا فصار بمنزلة دنيا وما أشبهه من المصادر وغيرها والرفع فيه وجه الكلام وزعم يونس ذلك ، وذلك قولك هذا عربى محض وهذا عربى قلب كما قلت هذا عربى قح ولا يكون القح إلا صفة» الكتاب ١ / ٢٧٥ ط بولاق (هذا شىء ينتصب على أنه ليس من اسم الأول ولا هو هو) .

« ولا أعلمه إلا قول الخليل وزعم يونس أن (كفة كفة) كذلك تقول لقيته كفةَ كفةَ وكفةِ كفةَ والدليل على أن الآخر مجرور ليس كعشر من خمسة أن يونس زعم أن رؤبة كان يقول (لقيته كفة عن كفة يا فتى) وإنما جعل هذا هكذا فى الظرف والحال لأن حد الكلام وأصله أن يكون ظرفاً أو حالا » الكتاب ٢ / ٥٤ ط بولاق (باب الشيئين اللذين ضم أحدهما إلى الآخر فجعلا بمنزلة اسم واحد كعيضموز وعنتريس) .

« ... وسترى بيان ذلك إن شاء الله ومثله هنيئاً مريئاً وإن شئت نصبت فقلت (مبرورا ومأجورا ومصاحبا معانا) حدثنا بذلك عن العرب عيسى ويونس وغيرهما كأنه قال رجعت مبرورا واذهب مصاحبا» الكتاب ١٧٣/١ ط بولاق (باب ما يضمر فيه الفعل المستعمل إظهاره بعد حرف) .

«كان يونس يزعم أن (طُرًّا) اسم نكرة للجماعة وإن لم يقع إلا حالا.
ويقال: طَرَرْت القوم، أى: مررت بهم جميعا. وقال النحويون سوى
يونس: إنه فى موضع المصدر الذى يكون حالا»(١).

المقتضب للمبرد ٢٣٨/٣ (باب الأسماء التى توضع موضع المصادر التى
تكون حالا).

---

(١) فى سيبويه جـ ١ ص ١٨٩ «وجعلوا قاطبة وطرا إذا لم يكونا اسمين
بمنزلة الجميع وعامة، وكقولك: كفاحاً ومكافحة.

وكذلك طرا وقاطبة (عند يونس) بمنزلة واحدة وجعل المضاف بمنزلة:
كلمته فاه إلى فى. وأما طرا وقاطبة فأشبه بذلك لأنه جيد أن يكون حالا غير
المصدر نكرة، ولا يجوز أن يكون حالا غير المصادر إلا نكرة، والذى نأخذ
به الأول».

وفى المخصص جـ ١٧ ص ١٣٣ - ١٣٤ «وأما قولهم: مررت بهم قاطبة،
ومررت بهم طرا فعلى مذهب لفظ الصفات، كقولنا: ذاهبة وقائمة وما أشبه ذلك
(وطرا) وإن كان لفظها لفظ صفرآ وشهبا وما أشبه ذلك فإنه لا يجوز حملها
إلا على المصدر».

وقال فى جـ ٣ ص ١٢٥ «سيبويه: جاءوا طرا ومررت بهم طرا ومذهبه
أنه لا يستعمل إلا حالا، وقد حكى عن خصيب المتطبب النصرانى وكان من أفصح
الناس أن أبا عمرو بن العلاء قال له: كيف حالك؟

فقال: أحمد الله إلى طر خلقه، فاستعمله غير حال».

وفى شرح الكافية للرضى جـ ١ ص ١٩٧: «وقد يلزم بعض الأسماء الحالية،
نحو كافة وقاطبة، ولا تضافان، وتقع كافة فى كلام من لا يوثق بعربيته مضافة
غير حال وقد خطئوا فيه».

وانظر البحر المحيط جـ ٢ ص ١٠٩ - ١٢٠ وكليات أبى البقاء ص ٢٩٤.

« ... ونقل فى حواشى المطول عن أبى البقاء احتمال أن لا ناهية وحذف نون الرفع والنون الأولى من نونى التوكيد التفضيلية ويجب احتمال إنما للنون الخفيفة على مذهب يونس » .

شرح التصريح على التوضيح- الجزء الأول - ص٣٩٢- مطبعة مصطفى محمد (فصل يقع الحال اسماً مفردا الخ)

« مررت به وحده » قال فهو بمنزلة موحدا أو منفردا وتجعله المرور به وليونس قول آخر أن وحده معناها على حياله وهى فى موضع الظرف . وإذا كان الظرف حالا أو صفة قدر ... »

شرح المفصل لابن يعيش - ج ٢ - ص ٦٣ - (الحال) :

« ... يجوز الرفع فى قولك « منطلقاً » من قولك (هذا عبدالله منطلقاً) قال سيبويه (هو عربى جيد) حكاه يونس وأبو الخطاب عن من يوثق به من العرب ... »

شرح المفصل لابن يعيش : ج ٢ : ص ٥٨ : مبحث الحال .

« وأما قولهم : مررت بهم (الجماء الغفير) فقد ذهب يونس إلى أن « الجماء الغفير » اسم لا فى موضع مصدر وأن الألف واللام فى نية الطرح ... »

شرح المفصل لابن يعيش - ج ٢ ص ٦٣ - مبحث الحال

« وزعم البغداديون ويونس أنه يجوز تعريف الحال مطلقاً بلا تأويل فأجازوا جاء زيد الراكب » ابن عقيل (الحال) .

« وقال يونس « إذا قلت » (مررت به وحده) فهو بمنزلة موحداً أو منفرداً وتجعله للمرور به ، وليونس فيه قول آخر أن « وحده » معناه على حياله ، وعلى حياله فى موضع الظرف ، وإذا كان الظرف صفة أو حالا قدر فيه مستقر ناصب للظرف ومستقر هو الأول ، واعلم أن « وحده » لم يستعمل إلا منصوباً ، إلا ما ورد شاذاً ، قالوا هو : نسيج وحده ، وعبير وحده ، وجحيش وحده … »

شرح المفصل لابن يعيش ـ جـ٢ : مبحث الحال ص٦٣ :(باب الحال)

« وقد يقع صاحب « نكرة بلامسوغ كقولهم عليه مائة بيضا فبيضا بلفظ الجمع حال من مائة وليس تمييزاً خلافاً لأبى العباس ، لأن تمييز المائة لايكون جمعاً منصوباً ولا مجروراً ، وهو من أمثلة سيبويه ، والدليل على أنه حال أنه لو رفع كان صفة للمائة ، والمائة مبهمة الوصف « وفى الحديث » (صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعداً « وصلى وراءه رجال قياماً ») رواه مالك فى الموطأ فقياماً حال من رجال وهو نكرة بلا مسوغ لا يقال التخصيص بالحكم كان ، لأنا نقول لو كان كذلك لما احتيج إلى مسوغ ، أصلا وذهب بعضهم إلى عدم الاستدلال بالحديث لاحتمال كونه مروياً بالمعنى وإذا ثبت مجيء الحال من النكرة بلا مسوغ هل يقاس عليه أولا ؟ ذهب سيبويه إلى الجواز والخليل ويونس إلى المنع » .

شرح التصريح على التوضيح ـ جـ ١ ص ٣٧٨ طبع مصطفى محمد .

« قوله بلا مسوغ . هو مقيس عند سيبويه لأن الحال إنما دخلت لتقييد العامل فلا معنى لاشتراط المسوغ فى صاحبها . وقصره الخليل ويونس على السماع » . حاشية الخضرى على شرح ابن عقيل — جـ١ ص٢١٤ المطبعة الأزهرية

« ... والمصادر فى الغالب إنما تجىء أحوالا من الفاعل، وذهب يونس إلى أنه منتصب على الظرفية ، يقول بعض العرب زيد وحده ، والتقدير زيد موضع التفرد » .

الأشمونى والصبان جـ ٢ — ص ١٣٣ — مطبعة المعاهد (باب الحال)

« ... الغالب كونه مشتقاً وصاحبه معرفة ، وأجاز يونس والبغداديون تعريفه مطلقاً بلا تأويل وأجازوا زيد الراكب » .

الأشمونى والصبان — جـ ٢ — ص ١٣٣ — مطبعة المعاهد (باب الحال) .

« (تنبيه) إذا قلت رأيت زيدا وحده فمذهب سيبويه أن وحده حال من الفاعل وأجاز المبرد أن يكون حالا من المفعول، وقال بعضهم بتعيين كونه حالا من المفعول لأنه إذا أراد الفاعل يقول رأيت زيدا وحدى وصحته مررت برجل وحده وبه مثل سيبويه ... على أنه حال من الفاعل وأيضا فهو مصدر أو نائب مصدر . والمصادر فى الغالب إنما تجىء أحوالا من الفاعل ، وذهب يونس إلى أنه منتصب على الظرفية يقول بعض العرب زيد وحده والتقدير زيد موضع التفرد » .

« الحال قد تأتى معرفة وجامدة كثيراً بل أجاز ذلك قياسا جماعة ، منهم البغداديون ويونس ولعل الفراء وافقهم على ذلك » .

الأشمونى والصبان جـ ٢ — ص ١٣٣ — مطبعة المعاهد (باب الحال)

« ... وجواز مجىء الحال من النكرة المذكورة ليس مطرداً عند الجميع لأن الخليل ويونس يقصرانه على السماع » .

الجزء الثانى من حاشية الصبان على الأشمونى ص ١٣٣ مطبعة المعاهد (باب الحال) .

حروف الجر

باب « حروف الإضافة « رب » :

« ورب لاتقع إلا على نكرة إلا أن الفرق بين رب وبين كم فى الخبر أن كم اسم ورب حرف ، والذى يدل على ذلك أمور : منها أن كم يخبرعنها يقال كم رجل أفضل منك فيكون أفضل خبرا عن كم كما يكون خبرا عن زيد إذا قلت زيد أفضل منك ، حكى ذلك يونس وأبوعمرو عن العرب فى رواية سيبويه عنهما . » .

شرح ابن يعيش على المفصل للزمخشرى - الجزء الثامن - صفحة ٢٧ ط المنيرية .

« وبقولهم (مررت برجل صالح إلا صالح فطالح) حكاه يونس ، بجر صالح وصالح بحرف جر محذوف (وتقديره إن لا أمر) أنا (بصالح فقد مررت بطالح) هذا تقديرا بن مالك ، وقدره سيبويه إن لا أكن مررت بصالح فطالح ، قيل : وتقدير سيبويه هو الصواب . قال البطليوسى فى شرح كتاب سيبويه إذا قلت إلا لا أمر نقضت المعنى فإنك قد قلت مررت بصالح ثم تقول إن لا أمر بصالح فيما يستقبل دائما المرور واقع فلا بد من إضمار الكون فنقول إن لا أكن فيما يستقبل موضوعا يكون مررت بصالح فأنا قد مررت بطالح » . نقله المرادى فى شرح التسهيل عنه فى باب كان .

شرح التصريح على التوضيح جـ ٢ ص ٢٣ ط مصطفى محمد (فصل تحذف رب ويبقى عملها) .

(حكى يونس « مررت برجل صالح إلا صالح فطالح » أى إلا أمر

بصالح فقد مررت بطالح ، وحكاه سيبويه إلا صالحا فطالح وإلا صالحا فطالحا وقدره إلا يكن صالحا فهو طالح وإلا يكن صالحا يكن طالحا) .

الأشمونى والصبان ج ٢ — ص ١٧٧ — مطبعة المعاهد

« تأتى على خمسة عشر وجها ... السابع مرادفة الباء نحو (ينظرون من طرف خفى) قاله يونس والظاهر أنها للابتداء » .

مغنى اللبيب ج ٢ - ص ١٤ - حرف الميم (من) :

«ذهب الكوفيون إلى أنه لايجوز الخفض فى القسم بإضمار حرف خفض من غير عوض وذهب البصريون إلى أنه لايجوز ذلك إلا بعوض نحو ألف الاستفهام نحو قولك : (الله ما فعلت كذا) أوها التنبيه نحو (ها الله) .

... حكى يونس بن حبيب البصرى أن من العرب من يقول: « مررت برجل صالح إلا صالح فطالح » أى إلا أكن مررت برجل صالح فقد مررت بطالح » الإنصاف ٢٣٩/١ - الطبعة الأولى .

« وأما احتجاجهم بما حكى يونس أن من العرب من يقول « مررت برجل صالح إلا صالح فطالح » أى إلا أكن مررت برجل صالح (ص ٢٤٣) فقد مررت بطالح » الإنصاف ٢٤٢/١ الطبعة الأولى .

« قال صاحب الكتاب » فقصة (أيم) قصة الألف واللام . فهذا قول الخليل ، وقال يونس : قال بعضهم : إيم الله فكسر ... فجعلها كألف ابن » الكتاب ٢٧٣/٢ ط بولاق (باب مايتقدم أول الحرف وهى زائدة قدمت لإسكان أول الحرف فلم تصل إلى أن تبتدىء بساكن ، فقدمت الزيادة متحركة لتصل إلى التكلم) .

« وزعم يونس أن ألف أيم موصولة وكذلك تفعل بها العرب ففتحوا الألف كما فتحوا الألف التي في الرجل . » الكتاب ٢/١٤٧ ط بولاق (باب ما عمل بعضه في بعض وفيه معنى القسم) .

باب الأسماء التي يعمل بعضها في بعض

وفيها معنى القسم

« ومن هذه الحروف أيم ، [وأيمن] وألفها ألف وصل ، وتمام الاسم النون تقول . أَيمُ الله لأفعلنّ . أيمنُ الله لأفعلنّ .

وزعم يونس أن من العرب من يقول : إيم الله في موضع أيم اللهِ فهي عند هؤلاء بمنزلة ابن واسم . تقول في الاستفهام : أيمُ الله لقد كان ذاك ؟ لأنها تسقط للوصل ، وتحدث ألف الاستفهام ، ومنهم من يحذف ألف الاسم حتى يصير على حرف علماً بأنّه لا ينفصل بنفسه فيقول : مِ اللهِ لأفعلن » المقتضب للمبرد جـ ٢ ص ٣٣٠

« ومن قولهم « أيمن الله لأفعلن » وهو اسم مفرد موضوع للقسم مأخوذ من اليمن والبركة ، كأنهم أقسموا بيمن الله وبركته وهو مرفوع بالابتداء وخبره محذوف للعلم به ، وتقديره أيمن الله قسمي أو يميني ، وقد حكى يونس إيمن الله بكسر الهمزة . . »

شرح ابن يعيش على المفصل للزمخشري ـ الجزء التاسع : صفحة ٩٢ ط المنيرية : باب « ومن أصناف المشترك القسم » :

« باب ومن أصناف المشترك حكم أوائل الكلم » :

« وأما ألف « أيمن الله » فى القسم فمفتوحة أيضا إذا كان مادخلت عليه غير متمكن لايستعمل إلا فى القسم ففتحت همزته تشبيهاً لها بالهمزة اللاحقة حرف التعريف وحكى يونس إيمن الله بالكسر على الأصل » .

شرح ابن يعيش على المفصل للزمخشرى ـ الجزء التاسع: ص١٣٧ ط المنيرية:

وقد حكى يونس إيمن الله بكسر الهمزة ويؤيده عندى أيضاً حال هذا الاسم فى مضارعته الحرف أنهم قد تلاعبوا به فقالوا مرة أيمن الله ومرة أيم الله بحذف النون ومرة إيم الله بالكسر ومرة م الله ومرة من ربى ومرة م ربى فلما حذفوه هذا الحذف المفرط وأصاروه مرة على حرفين ومرة على حرف كما تكون الحروف قوى شبه الحرف عليه ففتحوا ألفه تشبيهاً بالهمزة الداخلة على لام التعريف وذهب الكوفيون إلى أن همزته قطع وأنه جمع لامفرد وهو جمع يمين .

باب الإضافة

(ذهب يونس إلى أن لبيك اسم مفرد مقصور أصله لبي قلبت ألفه ياء للإضافة إلى الضمير كما فى على وإلى ولدى ورد عليه سيبويه بأنه لو كان كذلك لما قلبت مع الظاهر فى قوله فلبى يدى مسور) .

وقد انفرد يونس بهذا التخريج » .

الأشمونى والصبان جـ ٢ ـ ص ١٩٠ ـ بمطبعة المعاهد (باب الإضافة) .

« ويذهب يونس أنه ليس بمثنى . وأن أصله لبي المقصور قلبت ألفه ياء مع المضمر . كما قلبت ألف (لدى وعلى) مع الضمير فقيل : (لديه ، وعليه) .

ابن عقيل ـ باب الإضافة

فصل الغالب على الأسماء أن تكون صالحة للإضافة والإفراد الخ :

شذت إضافة لبي إلى (الظاهر فى قوله) وهو الزينى من بنى أسد :

دعوت لما نابنى مسوراً   (فلبى فلبى يدى مسور)

وقال سيبويه هذا البيت (فيه رد على يونس فى زعمه أنه) أى لبى (مفرد وأصله لبى) بعد الموحدة على وزن فعلى بسكون العين (فقلبت ألفه ياء لأجل الضمير) كما قلبت (فى) لدى وعلى لاتصال الضمير بهما إذا يقال فيهما (لديك وعليك) ووجه الرد على البيت أن الياء قد وجدت مع الظاهر ولو كانت ألفه كألف مدى وعلى لم تنقلب مع الظاهر أو يقال مدى الباب وعلى زيد ببقاء الألف على حالها . وقول ابن الناظم فى شرح النظم (إن خلاف يونس) جاز (فى لبيك وأخواته وهم) بفتح الهاء أى غلط » .

شرح التصريح على التوضيح ـ الجزء الثانى — ص ٣٨ ـ ط مصطفى محمد

فصل الغالب على الأسماء أن تكون صالحة للإضافة والإفراد الخ .

« والإضافة بذى أشرف من الإضافة بصاحب لأن قولك ذو يضاف إلى التابع وصاحب يضاف إلى المتبوع — تقول أبو هريرة صاحب النبي ولا تقول النبي صاحب أبي هريرة ... ولفظ النون أشرف لوجوده فى السورة نحو (ن والقلم) وقد قيل إن هذا قسم بالنون فإن لم يكن قسما فقد عظمه الله سبحانه بعطف اسم المقسم به عليه . (قوله وهو مصدر) قيل لا فعل له كالعمومة والخؤولة والأبوة وقيل له فعل أو يقال وحده يحده وحدا ومعنى مررت به متفردا وهو أوحد لاطراده فى نحو لا إله إلا الله وحده لأنك لم تفرده بل هو سبحانه انفرد بنفسه وقال سيبويه اسم موضوع موضع المصدر فوحد

نائب فناب إيجاد وإيجاد نائب مناب «وحد» وموحد حال فمعنى مررت به وحده مررت به في حال كون موحدله بمروي وقال يونس إنه ظرف ونصبه على الظرفية ومعنى وحده جاء على انفراده والأصل جاء على وحده ...

والظاهر أن يونس إنما قصد تفسير المعنى .

شرح التصريح على التوضيح ـ الجزء الثاني ـ ص ٣٥ و ٣٦ ـ ط مصطفى محمد

« قال الله جل ثناؤه « وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض » وقد يثنون ما يكون بعضا لشيء زعم يونس أن رؤبة كان يقول (ما أحسن رأسيهما) قال الراجز « وهو خطام » ظهراهما مثل ظهور الترسين) . وقالوا (وضعا رحالهما) يريد رحلي راحلتين فأجروه مجرى شيئين من شيئين » . الكتاب ٢٤١/١ ط بولاق (باب ماجرى من الأسماء التي من الأفعال وما أشبهها من الصفات التي ليست بفعل نحو الحسن والكريم وما أشبه ذلك مجرى الفعل إذا أظهرت بعده الأفعال أو أضمرتها) .

« وذلك قولك يازيد زيد عمرو ويازيد زيد أخينا ويازيد زيدنا زعم الخليل ويونس أن هذا كله سواء وهي لغة للعرب جيدة وقال جرير :

يا تيم تيم عدى لا أبا لكم   لا يلقينكم في سوأة عمر » .

الكتاب ٣١٤/١ ط بولاق (باب يكرر فيه الاسم في حال الإضافة ويكون الأول بمنزلة الآخر) .

« وأما على مذهب المصنف فللفصل بين شبه المضافين بما لا يفصل به بينهما وأما إن فصلت بالظرف أو الجار والمجرور الناقص دون الظرف

المستقر نحو (لا يدى بها لك ولا غلامى اليوم لك) فأجازه يونس اختياراً لأن الفصل به كلا فصل لكثرة ما يتسع فى الظروف ولم يجزه سيبويه والخليل بل أوجبا إثبات النون إلا لضرورة الشعر » ...

شرح الكافية جـ ١ ص ٢٤٥ (الفصل بين المتضايفين)

المصدر الميمي

« فى المصدر الميمى قال سيبويه عن يونس إن ناسا من العرب يقولون موحل وموحل بالفتح مصدراً كان أو غيره » .

شرح الشافية جـ ١ — ص ١٧٠

التوابع — النعت

« وزعم يونس أنك تقول مررت بزيد أخيك وصاحبك كقول الراجز :

بأعين مليحات النقب شكل التجار وحلال المكتسب »

الكتاب ١/٢٥٠ ط بولاق (باب ما ينتصب فى التعظيم والمدح)

« وذلك قولك أتانى زيد الفاسق الخبيث لم يرد أن يكرره ... وقال النابغة :

لعمرى وما عمرى على بهين لقد نطقت بطلا على الأقارع
أقارع عوف لا أحاول غيرها وجوه قرود تبتغى من تجادع

وزعم يونس أنك إن شئت رفعت البيتين جميعا على الابتداء تضمر فى نفسك شيأ لو أظهرته لم يكن ما بعده الارفعا » . الكتاب ١/٢٥٢ ط بولاق (هذا باب ما يجرى من الشتم مجرى التعظيم وما أشبهه) .

« وزعموا أن أبا عمرو كان ينشد هذا البيت نصباً (وهذا الشعر لرجل معروف من أزد السراة) .

قبح من يزنى بعـــو ف من ذوات الخمـــر
الآكلى الأســــلاء لا يحفل ضــــوء القمر

وإن شاء جعله صفة فجرى على الاسم وزعم يونس أنه سمع الفرزدق ينشد :

كم عمة لك يا جرير وخالة فدعاء قد حلبت على عشارى
شغارة تقذ الفصيل برجلها فطارة لقوادم الأبكار

جعله شتما وكأنه حين ذكر الحلب صار من يخاطب عنده عالماً بذلك ولو ابتدأه وأجراه على الأول كان ذلك جائزاً عربياً ». الكتاب ١/٢٥٢ ط بولاق (هذا باب ما يجرى من الشتم مجرى التعظيم وما أشبهه) .

« لأن المعنى واحد فى أنه حال وأن ما قبله قد عمل فيه ومنعه الاسم الذى قبله أن يكون محمولا على إن وذلك قولك إن هذا عبدالله منطلقاً وقال تعالى « إن هذه أمتــكم أمة واحدة » وقد قرأ بعضهم أمتــكم أمة واحدة حمل أمتــكم على هذه كأنه قال إن أمتكم كلها أمة واحدة . . . وزعم يونس أنه سمع رؤبة يقول : أنا ابن سعد أكرمَ السعدينا .

نصبه على الفخر وقال الخليل إن من أفضلهم كان زيداً على إلغاء كان وشبهه بقول الشاعر وهو الفرزدق :

فكيف إذا رأيت ديار قوم وجيران لنـا كانوا كرام »

الكتاب ١/٢٨٩ ط بولاق (هذا باب ينتصب فيه الخبر بعد الأحرف الخمسة انتصابه إذا صار ما قبله مبنياً على الابتداء) .

«وإن شئت جعلته صفة فجرى على الأول وإن شئت قطعته فابتدأته وذلك قولك الحمد لله الحميد هو والحمد لله أهل الحمد والملك لله أهل الملك ... وسمعنا بعض العرب يقول « الحمد لله رب العالمين » فسألت عنها يونس فزعم أنها

عربية ومثل ذلك قول الله عز وجل « لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة» فلو كان كله رفعاً كان جيداً فأما المؤتون فمحمول على الابتداء » . الكتاب ٢٤٨/١ ط بولاق (باب ما ينتصب فى التعظيم والمدح) .

« وزعم يونس أن من العرب من يقول النازلون بكل معترك والطيبين فهذا مثل والصابئين ومن العرب من يقول الظاعنون والقائلين فنصبه كنصب الطيبين إلا أن هذا شتم لهم وذم كما أن الطيبين مدح لهم وتعظيم » الكتاب ٢٤٩/١ ط بولاق (باب ما ينتصب فى التعظيم والمدح) .

« . . . وأما يونس فيقول (مررت به المسكين) على قوله مررت به مسكيناً وهذا لا يجوز لأنه لا ينبغى أن يجعله حالا ويدخل فيه الألف واللام ولو جاز هذا لجاز مررت بعبد الله الظريف تريد ظريفاً » . الكتاب ٢٥٥/١ ط بولاق (هذا باب ما يجرى من الشتم مجرى التعظيم وما أشبهه) .

« . . . وأما يونس فزعم أنه ليس يرفع شيئاً من الترحم على إضمار شىء يرفع ولكنه إن قال ضربته لم يقل أبداً إلا المسكين يحمله على الفعل وإن قال ضربانى قال المسكينان» الكتاب ٢٥٦/١ ط بولاق (هذا باب ما يجرى من الشتم مجرى التعظيم وما أشبهه) .

« ويونس أوجب الإتباع فى الترحم إما على النعت فيما امكن وإما على البدل فيما لم يمكن نحو رأيته البائس ومررت به المسكين » .

شرح الكافية جـ ١ ص ٢٩٢

« هذا ما كان من ذلك عملا وذلك قولك مررت برجل ضارب أبوه

رجلا ومررت برجل ملازم أبوه رجلا . وبعضهم يجعله نصباً إذا كان واقعاً ويجعله على كل حال رفعاً إذا كان غير واقع وهذا قول يونس والأول قول عيسى فإذا جعله اسماً لم يكن فيه إلا الرفع على كل حال تقول مررت برجل ملازمه رجل أى مررت برجل صاحب ملازمه رجل فصار هذا كقولك مررت برجل أخوه رجل » . الكتاب ١/٢٢٨ ط بولاق (باب ما يجرى عليه صفة ما كان من سببه وصفة ما التبس به أو بشيء من سببه كمجرى صفته التي خلصت له)

« والمستقبل عند يونس يجب رفعه علاجاً كان أولا على أن يكون هو والمرفوع بعد جملة اسمية صفة للنكرة نحو مررت برجل ضاربه عمرو وسيبويه يوافقه فى جواز النصب فى الأول والرفع فى الثانى ويخالفه فى فى وجوبهما » .

شرح الكافية جـ ١ ص ٢٨٥ - باب النعت .

« ... ومثل مايجيء فى هذا الباب على الابتداء وعلى الصفة والبدل قوله عز وجل « قد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة » ومن الناس من يجر والجر على وجهين على الصفة وعلى البدل ومنه قول كثير عزة .

وكنت كذى رجلين رجل صحيحة ورجل رمى فيها الزمان فشلت

.... ولو قلت (مررت برجل مسلم وثلاثة رجال مسلمين) لم يحسن فيه إلا الجر لأنك جعلت الكلام اسماً واحداً حتى صار كذا .

كأنك قلت مررت بقائم ومررت برجال مسلمين وهذا قول يونس

ولو جاز الرفع لقلت كان عبد الله راكع لأنك إن شبهته بالتبعيض فالتبعيض ههنا رفع » . الكتاب ١/٢١٥ ط بولاق (باب مجرى النعت على المنعوت والشريك على الشريك والبدل على المبدل منه وما أشبه ذلك)

« فأما النعت الذى جرى على المنعوت فقولك مررت برجل ظريف قبل فصار النعت مجرورا مثل المنعوت لأنهما كالاسم الواحد من قبل ... ويونس يقول هذا مثلك مقبلا ، وهذا زيد مثلك إذا قدمه جعله معرفة وإذا أخره جعله نكرة ومن العرب من يوافقه على ذلك ومنه مررت برجل شر منك فهو نعت له بأنه نقص أن يكون مثله » . الكتاب ١/٢١٠ ط بولاق (باب مجرى النعت على المنعوت والشريك على الشريك والبدل على البدل منه وما أشبه ذلك)

« والمبدل يشرك المبدل منه فى الجر وذلك قولك مررت برجل حمار فهو على وجه محال وعلى وجه حسن فأما المحال فأن تعنى أن الرجل حمار ... وأما قولهم أمررت برجل أم امرأة إذا أردت معنى أيهما مررت به فإن أم تشرك بينهما كما أشركت بينهما أو وأما مامررت برجل فكيف امرأة فزعم يونس أن الجر خطأ وقال هو بمنزلة أين ومن جر هذا فهو ينبغى له أن يقول مامررت بعبد الله فلم أخيه؟ وما لقيت زيدا مرة فكم أبا عمرو؟ يريد فلم مررت بأخيه وفكم لقيت أبا عمرو » . الكتاب ١/٢١٩ ط بولاق (باب المبدل من المبدل منه) .

العطف

باب عطف التنسيق :

« ثم اختلف هؤلاء القائلون بأن لكن من حروف العطف على ثلاثة

أقوال أحدها أنها لا تكون عاطفة إلا إذا لم تدخل عليها الواو وهو مذهب الفارسي والثاني أنها عاطفة ولا تستعمل إلا بالواو الزائدة قبلها لزوما وصححه ابن عصفور وزعم أن كلام سيبويه محمول عليه والثالثة أنها عاطفة تقدمتها الواو أولا وهو مذهب ابن كيسان وذهب يونس إلى أنها حرف استدراك وليست بعطف » .

شرح التصريح على التوضيح - الجزء الثاني - ص ١٣٥ - ط مصطفى محمد

فصل في كيفية استعمال حروف العطف :

« وذهب يونس إلى أن لكن في جميع مواقعها مخففة من الثقيلة وليست بحرف عطف ... وذلك لجواز دخول الواو عليها - فى المفرد يقدر العامل بعدها أو المقصود منه إذا تقرر هذا علمت من مجموع كلام ابن عقيل والرضى أنها عند يونس مخففة من الثقيلة ومع ذلك تفيدالاستدراك » .

شرح التصريح على التوضيح - الجزء الثاني - ص ١٤٦ - ط مصطفى محمد .

فصل في كيفية استعمال حروف العطف وبيان معانيها :

« قال الزرقاني ... وأما المخففة من الثقيلة فهى حرف ابتداء غير عامل خلافا للأخفش ويونس فهما يريان أنها عاملة واسمها ضمير ثان محذوف » .

شرح التصريح على التوضيح - الجزء الثاني - ص ١٤٦ - ط مصطفى محمد .

باب « حروف العطف الفاء ثم حتى » :

« وحتى إنما يتحقق العطف بها فى حالة النصب لا غير وإذا خففت ربما يتوهم فيها الغاية على نحو قوله تعالى «حتى مطلع الفجر» ولذلك لم يمثل الفارسى فى العطف إلا بصورة النصب فقال نحو قولك ضربت القوم حتى زيداً ثم عضد ذلك بالنقل لئلا يمنع المخالف هذه الصورة فقال وقد رواه سيبويه وأبو زيد وغيرهما وكذلك رواه يونس وفى الجملة (حتى) غير راسخة القدم فى باب العطف ولا متمكنة فيه » .

شرح ابن يعيش على المفصل للزمخشرى ـ الجزء الثامن ـ صفحة ٩٧ ط المنيرية .

باب حروف العطف « لكن » :

« وكان يونس فيما حكى عنه يذهب إلى أن لكن إذا خففت كانت بمنزلة إن وأن وكأنهما إذا خففا لم تخرجا عما كانا عليه قبل التخفيف فكذلك تكون لكن إذا خففت فإذا قال ما جاءنى زيد لكن عمرو كان الاسم مرتفعاً بلكن والخبر مضمر وإذا قال ماضربت زيداً لكن عمراً كان فى لكن ضمير القصة وانتصب زيد بفعل مضمر قال مامررت برجل صالح لكن طالح، فطالح مجرور بباء محذوفة والتقدير لكن الأمر مررت بطالح » .

شرح ابن يعيش على المفصل : الجزء الثامن : ص ١٠٦ ط المنيرية

باب « الحروف المشبهة بالفعل لكن »

« وتخفف لكن فيبطل عملها كما يبطل عمل إن وأن وتقع فى حروف العطف وكان يونس يذهب إلى أنها إذا خففت لا يبطل عملها ولا تكون حرف عطف بل تكون عنده مثل إن وأن فكما أنهما بالتخفيف لم يخرجا عما كانا

عليه قبل التخفيف فكذلك لكن فإذا قلت ما جاءني زيد لكن عمرو فعمرو مرتفع بلكن والاسم مضمر محذوف كما في قوله (ولكن زنجي عظيم المشافر) » ...

شرح ابن يعيش على المفصل للزمخشري : الجزء الثامن : صفحة ٨١ ط المنيرية .

« لكن ساكنة النون ضربان مخففة من الثقيلة وهي حرف ابتداء لا يعمل خلافاً للأخفش ويونس لدخولها بعد التخفيف على الجملتين وخفيفة بأصل الوضع فإن وليها كلام فهي حرف ابتداء لمجرد إفادة الاستدراك وليست عاطفة .

مغني اللبيب - الجزء الأول — حرف اللام (لكن) — ص ٢٢٦

(عطف النسق) « لكن » :

« . . وأما لكن فذهب أكثر النحويين إلى أنها من حروف العطف ثم اختلفوا على ثلاثة أقوال : أحدها أنها لا تكون عاطفة إلا إذا لم تدخل عليها الواو وهو مذهب الفارسي وأكثر النحويين . والثاني أنها عاطفة ولا تستعمل إلا بالواو والواو مع ذلك زائدة وصححه ابن عصفور ، وقال وعليه ينبغي أن يحمل مذهب سيبويه والأخفش لأنهما قالا إنها عاطفة ولما مثلا للعطف بها مثلاه بالواو والثالث أن العطف بها وأنت مخير في الإتيان بالواو وهو مذهب ابن كيسان ، وذهب يونس إلى أنها حرف استدراك وليست بعاطفة والواو قبلها عاطفة لما بعدها على ماقبلها عطف مفرد على مفرد . ووافق الناظم هنا الأكثرين - ووافق في التسهيل يونس فقال فيه وليس منها ولكن وفاقاً ليونس » .

الأشموني والصبان - ج ٣ - ص ٩١ - ط الحلبي

وفصل يونس في لكن - أنها حرف استدراك وليست بعاطفة والواو قبلها عاطفة لما بعدها على ماقبلها عطف مفرد على مفرد .

... والثاني أنها عاطفة ولا تستعمل إلا بالواو والواو مع ذلك زائدة وصححه ابن عصفور . قال وعليه ينبغي أن يحمل مذهب سيبويه والأخفش لأنهما قالا إنها عاطفة ولما مثلا للعطف بها مثلاه بالواو . والثالث أن العطف بها وأنت مخير في الإتيان بالواو وهو مذهب ابن كيسان وذهب يونس إلى أنها حرف استدراك وليست بعاطفة والواو قبلها عاطفة لما بعدها على ماقبلها عطف مفرد على مفرد .

ووافق الناظم هاهنا الأكثرين . ووافق في التسهيل يونس فقال فيه وليس منها (لكن) وفاقا ليونس » .

الأشموني والصبان ج ٣ - ص ٦٩ - طبع مصر سنة ١٣٥٣ هـ (عطف النسق - لكن)

«اختلف في ثلاثة أحرف مما ذكر هنا وهي : حتى وأم ولكن ، أما حتى فذهب الكوفيين أنها ليست بحرف عطف وإنما يعربون مابعدها بإضمار ، وأما أم فقد ذكر الناس فيها خلافاً وأن أباعبيدة ذهب إلى أنها بمعنى الهمزة فإذا قلت أقائم زيد أم عمرو فالمعنى أعمرو قائم فتصير على مذهبه استفهامية .

وأما لكن فذهب أكثر النحويين إلى أنها من حروف العطف ثم اختلفوا على ثلاثة أقوال : أحدها أنها لاتكون عاطفة إلا إذا لم تدخل عليها الواو وهو مذهب الفارسي » .

الأشموني والصبان - جـ ٣ - ص ٩١ ط الحلبي (عطف النسق)

« وأما عطف النسق بلا تكرير فهو كسائر التوابع عند يونس في امتناع الحكاية معه سواء أكانا علمين أو أحدهما »

شرح الكافية لابن الحاجب — ج ٢ — ص ٦٠

«وزعم يونس والفارسي وابن كيسان أنها - أى (اما) في قولك جاءنى إما زيد وإما عمرو - غير عاطفة ووافقهم ابن مالك لملازمتها غالب الواو العاطفة ومن غير الغالب قوله :

يا ليتما أمنا شالت نعامتها إيما إلى جنة إيما إلى نار

مغني اللبيب — الجزء الأول ص ٥٧ (الألف) إما

باب المنادى

« اعلم أن النداء كل اسم مضاف فيه فهو نصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره والمفرد رفع وهو في موضع اسم منصوب . . ويدلك على أن أجمعين ينتصب لأنه وصف لمنصوب قول يونس المعنى في الرفع والنصب واحد وأما المضاف في الصفة فهو ينبغى له أن لا يكون إلا نصباً إذا كان المفرد ينتصب صفته قلت أرأيت قول العرب (يا أخانا زيداً أقبل) قال عطفوه على هذا المنصوب فصار نصباً مثله وهو الأصل لأنه منصوب في موضع نصب وقال قوم يا أخانا زيد وقد زعم يونس أن أبا عمرو كان يقوله وهو قول أهل المدينة ... وتقول يازيد زيد الطويل وهو قول أبى عمرو وزعم يونس أن رؤبة كان يقول يازيد زيداً الطويل فأما قول أبى عمرو فعلى قولك يازيد الطويل وتفسيره كتفسيره وقال رؤبة :

« وإنى وأسطار سطرن سطرا لقائل يانصر نصرا نصرا . »

الكتاب ١/٣٠٤ - ط بولاق (هذا باب النداء)

« وأما قول رؤبة فعلى أنه جعل نصرا عطف البيان ونصبه كأنه على قوله زيدا زيدا وأما قول أبي عمرو فكأنه استأنف النداء وتفسير يازيد زيد الطويل كتفسير يازيد الطويل فصار وصف المفرد إذا كان مفرداً بمنزلته » . الكتاب ١/٣٠٥ ط بولاق (باب النداء) .

« لأنه لايكون وصفاً للأول ولا عطفاً عليه وذلك قولك يأيها الرجل وعبد الله المسلمين الصالحين .. ومن هذا النحو أسماء اختص بها الاسم المنادى لا يجوز منها شيء في غير النداء نحو يانومان ويا هناه ويافل ويقوى ذلك كله أن يونس زعم أنه سمع من العرب من يقول يافاسق الخبيث ومما يقوى أنه معرفة ترك التنوين فيه لأنه ليس اسم يشبه الأصوات فيكون معرفة إلا لم ينون وينون إذا كان نكرة » . الكتاب ١/٣١١ ط بولاق

« اعلم أن ياء الاضافة لاتثبت في النداء كما لم يثبت التنوين في المفرد . وثبات الياء فيما زعم يونس في الأسماء واعلم أن بقيان الياء لغة في النداء في الوقف والوصل تقول ياغلامى أقبل وكذلك إذا وقفوا وكان أبو عمرو يقول (ياعبادى فاتقون)» . الكتاب ١/٣١٦ ط بولاق (إضافة المنادى إلى نفسك)

« وتثبت فيه الياء لأنه غير منادى وإنما هو بمنزلة المجرور في غير النداء وذلك قولك يا ابن أخى ... واعلم أن كل شيء ابتدأناه في هذين البابين أولا هو القياس ، وجميع ماوصفنا من هـــذه اللغات سمعناه من الخليل ويونس عن العرب » . الكتاب ١/٣١٨ ط بولاق (باب ماتضيف إليه ويكون مضافا إليك) .

« فيجيء لفظه على موضع النداء نصبا لأن موضع النداء نصب . . . وسألت الخليل ويونس عن نصب الصلتان العبدى :

أيا شاعرا لاشاعر اليوم مثله   جرير ولكن في كليب تواضع

من حيث أنه غير منادى وإنما انتصب على إضمار كأنه قال يا قائل الشعر شاعرا . وفيه معنى حسبك به كأنه حيث نادى قال حسبك به ولكنه أضمره كما أضمروا فى قوله تالله رجلا وما أشبهه مما ستجده فى الكتاب إن شاء الله» . الكتاب ١/٣٢٨ فما بعدها ط بولاق (باب من الاختصاص يجرى على ماجرى عليه النداء) .

وجاء فى المقتضب للمبرد — ج٤ — ص٢١٢

« واعلم أن المعطوف على الشيء يحل محله ، لأنه شريكه فى العامل . نحو : مررت بزيد وعمرو ، وجاءنى زيد وعمرو .

فعلى هذا تقول : يازيد وياعمرو أقبلا ، ويازيد وعبد الله أقبلا ، لأن « عبد الله » إذا حل محل « زيد » فى النداء لم يكن إلا نصباً . تقول . مررت بعمرو ومحمد يافتى ، لأن محمداً إذا حل هذا المحل لم يكن إلا مخفوضاً منوناً .

وتقول : يا عبد الله وزيد أقبلا ، لا يكون إلا ذلك لما ذكرت لك . فإن عطفت اسما فيه ألف ولام على مضاف أو منفرد فإن فيه اختلافاً :

أما الخليل ، وسيبويه ، والمازنى فيختارون الرفع ، فيقولون : يا زيد ، الحارث اقبلا .

وقرأ الأعرج : « ياجبال أوبى معه والطير » .

وأما أبو عمرو ، وعيسى بن عمر ، ويونس ، وأبو عمر الجرمى فيختارون النصب ، وهى قراءة العامة .

وحجة من اختار الرفع أن يقول — إذا قلت : يا زيد ، والحارث : فإنما أريد : يا زيد ، وياحارث ، فيقال لهم : فقولوا : يا الحارث . فيقولون : هذا لا يلزمنا ، لأن الألف واللام لا تقع إلى جانب حرف النداء . وأنتم إذا نصبتموه لم توقعوه أيضاً ذلك الموقع . فكلانا فى هذا سواء .

وإنما جوزت لمفارقتها حرف الإشارة ، كما تقول : كل شاة وسخلتها بدرهم ، ورب رجل وأخيه ، ولا تقول : كل سخلتها . ولا رب أخيه حتى تقدم النكرة .

« وحجة الذين نصبوا أنهم قالوا : نرد الاسم بالألف واللام إلى الأصل، كما نرده بالإضافة والتنوين إلى الأصل . فيحتج عليهم بالنعت الذى فيه الألف واللام » .

وكلا القولين حسن .

والنصب عندى أحسن على قراءة الناس .

ومثل ذلك اختلافهم فى الاسم المنادى إذا لحقه التنوين اضطراراً فى الشعر ، فإن الأولين يرون رفعه، ويقولون : هو بمنزلة مرفوع لا ينصرف ، فلحقه التنوين على لفظه .

وأبو عمرو بن العلاء وأصحابه يلزمونه النصب ، وحجتهم فى ذلك لما ذكرت لك ، يقولون : هو بمنزلة قولك : مررت بعثمان يا فتى ، فمتى لحقه التنوين رجع إلى الخفض .

فما جاء على ذلك قول مهلهل :

رفعت رأسهـــا إلى وقالت   يا علياً لقد وقتك الأواقى

والأحسن عندى النصب ، وأن يرده التنوين إلى أصله ، كما كان ذلك فى النكرة والمضاف ، وكذلك بيت الأحوص :

ســـلام الله يا مطر عليهـا   وليس عليك يا مطر السلام

وقول الآخر :

« يا علياً لقلبك المهتاج »

والنوع الثانى ما كان مفرداً من النعت أو بيان أو توكيد أو كان معطوفاً مقروناً بأل — فالتفت (نحو يا زيد الحسن) بالرفع (والحسن)

بالنصب (و) البيان نحو (يا غلام بشر) بالرفع (وبشراً) بالنصب (و) التوكيد نحو (ياتميم أجمعون) بالرفع (وأجمعين) بالنصب والمعطوف المقرون بأل كقولك يا زيد والضحاك وإلى ذلك أشار الناظم يقول : وما سواه ارفع أو انصب) وكما قال الله تعالى (يا جبال أوبي معه والطير) قرأه السبعة بالنصب) عطفاً على محل الجبال (واختاره أبو عمرو) بن العلاء (وعيسى) ابن عمر الثقفي ويونس والجرمي » .

شرح التصريح على التوضيح — الجزء الثاني — ص ١٧١ — ط مصطفى محمد :

« فإن قيل لو كان من قبيل الشبيه بالمضاف كان النصب واجباً لا راجحاً أجيب بأن النداء تارة يرد على الموصوف فلا بد من البناء على الضم لأن الصفة إنما ترد على المنادى وحده فهو مفرد مقصود ثم يرد الوصف فلما اختلف المدركان جاز الوجهان فإن قيل إذا كانت النكرة مقصودة فهي معرفة فكيف توصف بالنكرة وإنما توصف المعرفة حكى يونس عن العرب يا فاسق الخبيث . وأخبر سيبويه بذلك أجيب بأنه يغتفر في المعرفة الطارئة ما لا يغتفر في المعرفة الأصلية » .

شرح التصريح على التوضيح - الجزء الثاني ص ١٦٨ - ط مصطفى محمد . (الفصل الثاني في أقسام المنادى وأحكامه) .

« القسم الرابع من أقسام المنادى (ما يجوز ضمه وهو المنادى المستحق للضم إذا اضطر الشاعر إلى تنوينه) سواء كان علماً أو نكرة مقصودة فالضم كقوله وهو الأحوص :

سلام الله يا مطر عليها وليس عليك يا مطر سلام

بتنوين مطر الأول مع بقاء ضمه على البناء (و) النكرة المقصودة نحو (قوله) وهو جرير :

أعبدا حل فى شعبى غريباً ألؤما لا أبالك واغترابا

بتنوين عبد مع نصبه على الإعراب إجراء للنكرة المقصودة مجرى النكرة غير المقصودة وأجازفيه سيبويه وجها آخر وهو أن يكون حالا كأنه قال أتفخر عبدا أى فى حال عبودية ولا يليق الفخر بالعبيد قاله ابن السيد (واختار الخليل وسيبويه) والمازنى (الضمة) مطلقاً لأنه الأكثر فى كلامهم (و) اختار ابو عمرو بن العلاء (وعيسى) بن عمرو ويونس والجرمى والمبرد النصب مطلقاً » .

شرح التصريح على التوضيح — الجزء الثانى — ص ١٧١ — ط مصطفى محمد .

« إذا كان المنادى مضافاً وكرر المضاف دون المضاف إليه وذلك نحو : (يا زيد زيد عمر) فإنه يجوز فيه وجهان : أحدهما نصب الأول والثانى ، والوجه الآخر ضم الأول ونصب الثانى قال يونس هما سواء فى المعنى وهما لغة العرب .

شرح المفصل لابن يعيش ـ الجزء الثانى : مبحث المنادى المبهم : ص ١٠ :

« قال : إذا كان المنادى مضافاً وكرر المضاف دون المضاف إليه وجب نصبهما ... (يا زيد زيد عمرو) ووافقه الخليل وقد قال الخليل . إن لام الجر فى بعض الأحيان لا تؤثر على نصب المنادى كمثل قولك « يابؤس للحرب » فنصب بؤس ولم يرفعها » .

شرح المفصل لابن يعيش ـ الجزء الثانى ـ المنادى المبهم :

« ... ورد عنهم فى قولهم « يا ابن أمى ، ويا ابن عمى » على الحصول .

أربعة أوجه مسموعة من العرب حكاها يونس فالوجه الأول (يا ابن أمى ويا ابن عمى) بإثبات الياء . قال الشاعر :

يا ابن أمى ويا شقيق نفسى أنت خلفتنى لدهر شديد

ولذلك وجهان من المعنى أحدهما أن تكون أثبتها كما أثبتها فى «ياغلامى» وإذا ساغ ثبوتها فى المنادى كان ثبوتها فى المضاف إلى المنادى أسوغ، والثانى وهو أجودهما أن تثبتها كما أثبتها فى يا(ابن أخى) وفى (ياغلام غلامى) . والوجه الثانى من الأوجه الأولية أن تقول (ياابن أم) ويا(ابن عم) بالفتح ، وذلك على أمرين: أحدهما أن يكون الأصل (يا ابن أما) بالألف ثم حذفت الألف تخفيفاً وساغ ذلك لأنها بدل من الياء فحذفت الياء كما تحذف الياء فى (ياغلامى) فى قولك (ياغلام) (وحذفت الياء فى المضاف وإن كانت لا تحذف من المضاف إليه إذا قلت (ياغلام غلامى) كما تحذف من المضاف إذا قلت ياغلام لأن هذا الاسم - ابن أم وابن عم - قد كثر استعماله فجاز فيه ما لم يجز فى نظائره ، والفتحة فى ابن على هذا فتحة إعراب ، كما أنها فى ياغلام غلامى « كذلك » والثانى أن تجعل ابنا وأما جميعاً بمنزلة اسم واحد فتبنى الاسم الآخر على الفتح وتبنى الاسم الذى هو الصدر لأنه كالبعض للثانى ، فالفتحة فى الأول ليست نصبة كما كانت فى الوجه الأول وإنما هى بمنزلة الفتحة من خمسة عشر وهما فى موضع مضموم من حيث كانا بمنزلة اسم واحد كخمسة عشر وهو مقصود ، ويجوز أن يكون فتح الثانى إتباعاً لفتحة النون فى (ابن) وموضع (أم) و(عم) خفض بالإضافة ، والوجه الثالث الكسر فتقول (ياابن أم ويا ابن عم) ويحتمل أمرين ، أحدهما أن يكون أضاف (ابنا) إلى (أم) وحذف الياء من الثانى وكان الوجه إثباتها مثل (ياغلام غلامى) والوجه الثانى أنهما لما جعلا كاسم واحد وأضافهما إلى نفسه حذف الياء وتصبح الكسرة دليلا كما يفعل بالاسم الواحد نحو (ياغلام) و (ياقوم) ومثله يا أحد عشر أقبلوا ،

والوجه الرابع أن تقول (ياابن أما وياابن عما) فتجعل مكان الياء ألفاً كما قال (يا بنت عما لاتلومي واهجعي) كما تقول (ياغلاما) فتفتح ما قبل الياء تخفيفاً وهي متحركة فتنقلب ألفاً فاعرفه » .

شرح المفصل لابن يعيش - الجزء الثانى - مبحث نداء المضاف إلى ياء المتكلم ص ١٢ وص ١٣ :

« ويضم الاسم المضاف للياء (كما تضم المفردات) فى غير الإضافة (وإنما يفعل ذلك الضم فيما يكثر فيه أن لا ينادى إلا مضافا) كالأم والأب والرب حملا للقليل على الكثير (كقول بعضهم يا أم لاتفعلى) بضم الميم . حكاه يونس . »

شرح التصريح على التوضيح - الجزء الثانى - ص ١٧٧ - ط مصطفى محمد . الفصل الرابع فى المنادى المضاف للياء .

« نداء المضاف إلى ياء المتكلم حكى يونس عن العرب يا أب ويا أم ونصب كما فى يا أبت ويا أمت أو يا أبتا ويا أمتا » .

شرح المفصل لابن يعيش - الجزء الثانى - ص ١٢
المنادى المضاف إلى ياء المتكلم :

« وفى النداء المضاف إلى ياء المتكلم قد يكتفى عن الإضافة بنيتها . وقد حكى عن يونس عن بعض العرب : يا أم لا تفعلى » .

الأشمونى والصبان جـ ٣ - ص ١١٩ - ط مصر سنة ١٣٤٣ هـ

«إذا عطفت اسماً فيه الألف واللام على مفرد يكون الاسم منصوباً ، وهذا رأى يونس بن حبيب» .

شرح المفصل لابن يعيش - الجزء الثانى باب توابع المنادى : ص ٣

باب الندبة

«واعلم أن المندوب مدعو ولكنه متفجع عليه فإن شئت ألحقت فى آخر الاسم الألف ... وإذا لم تلحق الألف قلت وازيد إذا لم تضف ووازيد إذا أضفت وإن شئت قلت وازيدى فالإلحاق وغير الإلحاق عربى فيما زعم الخليل ويونس». الكتاب ١/٣٢٢ ط بولاق (باب الندبة).

«وذلك قولك وازيدالظريف والظريف وزعم الخليل أنه منعه أن يقول الظريفاه أن الظريف ليس بمنادى ... ... وأما يونس فيلحق الصفة الألف فيقول وازيد الظريفاه (وواجمجمتى الشاميتيناه) وزعم الخليل أن هذا خطأ» الكتاب ١/٣٢٤ ط بولاق (باب ماتلحقه الألف التى تلحق المندوب).

«وذلك قولك وارجلاه ويارجلاه وزعم الخليل ويونس أنه قبيح وأنه لا يقال وقال الخليل إنما قبح لأنك أبهمت ألا ترى أنك لو قلت واهذاه كان قبيحاً» الكتاب ١/٣٢٤ ط بولاق (مالا يجوز أن يندب).

وجاء فى المقتضب للمبرد ج ٤ ص ٢٧٥ :

«وذلك قولك - إذا ندبت غلاماً لامرأة، وأنت تخاطب المرأة - : واغلامكيه، واذهاب غلامكيه؛ لأنك تقول للمذكر : واغلامكاه، واذهاب غُلامكاه، وانقطاع ظهرهيه فيمن قال : مررت بظهر هى يافتى.

ومن قال : مررت بظهر هو يافتى قال : وا انقطاع ظهر هوه، لأنه يقول فى المؤنث : وانقطاع ظهرهاه.

وتقول فى التثنية والجمع كذلك.

فإن ندبت غلاماً لجماعة قلت : واغلامكموه، وواذهاب غلامكموه،

لأنك تقول للاثنين : واذهاب غلامكماه وفي كل هذا قد حذفت من الاثنين، والجمع ، والألف والواو لالتقاء الساكنين .

وتقول : واذهاب غلامهموه في قول من قال : مررت بغلامهمو . ومن قال : مررت بغلامهمي يافتى قال : واذهاب غلامهميه ، وهذه الهاء والميم والهاء لعلامة المضمر الذى يقع فى رأيته ، ومررت به — تبين فى مواضعهن إن شاء الله .

« وكان يونس يجيز أن يلحق علامة الندبة على النعت / فيقول وازيد الظريفاه ، وازيداه أنت الفارس البطلاه » .

وهذا عند جميع النحويين خطأ ؛ لأن العلامة إنما تلحق ما لحقه تنبيه النداء لمد الصوت والنعت خارج من ذا .

ولو قلت وامن حفر ، وا أمير المؤمنيناه ـ كان جيداً ؛ لأنك قد ندبت معروفين ، ولو قلت : واأميراه لم يجز ، لأنك لم تدل على المندوب . وكذلك لو قلت : واهذاه ـ لم يجز ؛ لأنك إنما [ندبت اسماً معرفاً بالإشارة إليه . ولن تدل عليه بالإضافة ، وإنما تتفجع] له باسم أو إضافة تجمع عليه ، او بشيء من أسمائه يعرف به يكون عذراً للتفجع ، كقولك : واسيد العرباه . إذا كان المندوب معروفاً بذلك » .

« ... وإذا لم يكونا بمنزلة شيء واحد وجب ألا تلحق ألف الندبة الصفة بخلاف المضاف إليه وقدذهب بعض الكوفيين ويونس بن حبيب البصرى إلى جواز إلحاقها الصفة حملا على المضاف إليه .... » .

أسرار العربية ـ ابن الأنبارى . تحقيق الأستاذ محمد بهجة البيطار ص ٢٤٥ .

« ذهب الكوفيون إلا أنه يجوز أن تلحق علامة الندبة على الصفة نحو قولك

« وازيدالظريفاه » وإليه ذهب يونس بن حبيب البصرى وأبو الحسن بن كيسان وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز » .

الإنصاف فى مسائل الخلاف : كمال الدين أبى البركات ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٤٥ ـ مطبعة الاستقامة بالقاهرة ـ الجزء الأول ص ٢٢٤

« وأما ماروى عن بعض العرب من قوله واجمجمتى الشاميتيناه . فيحتمل أن يكون إلحاق علامة الندبة على قياس يونس وعلى كل حال فهو من الشاذ الذى لا يعبأ به ولا يقاس عليه كقولهم (وامن حفر بئر زمزماه) وما أشبه ذلك » الإنصاف ١/٢٢٥ ـ الطبعة الأولى .

« قال إن ألف الندبة تلحق الصفة فتقول « وازيد الظريفاه » وهو يقول إن الصفة والاسم هنا شىء واحد وهو فى ذلك يوافق أهل الكوفة ويخالف الخليل وسيبويه » .

شرح المفصل لابن يعيش ـ الجزء الثانى ـ ص ١٤ ـ باب الندبة .

« ولا تلحق ألف الندبة الصفة ، لا تقول « وازيد الظريفاه » عند سيبويه والخليل لأن الصفة ليست المقصود بالندبة وإنما المندوب الموصوف ، وذهب الكوفيون ويونس من البصريين إلى جوازه وقالوا إن الصفة والموصوف كالشىء الواحد » .

المفصل لابن يعيش : الجزء الثانى ـ مبحث المندوب ـ ص ١٤

« لابدلك فى المندوب من أن تلحق قبله « يا » أو « وا » وأنت فى إلحاق الألف فى آخره مخير ، فتقول « وازيداه » والهاء اللاحقة بعد الألف للوقف

خاصة دون الدرج ويلحق ذلك المضاف إليه فيقال «وا أمير المؤمنيناه» ولا يلحق الصفة عند الخليل فلا يقال «وا زيد الظريفاه» ويلحقها عند يونس».

المفصل لابن يعيش: الجزء الثانى — مبحث المندوب — ص ١٣

«أجاز يونس وصل ألف الندبة بآخر الصفة نحو: وازيد الظريفا».

الأشمونى والصبان - جـ ٣ - ص ١٢٨ - طبع مصر سنة ١٣٤٣ هـ

«ولا يندب إلا المعروف فلا يقال وا رجلاه وامتنع وازيد الطويلاه خلافا ليونس».

شرح الكافية جـ ١ ص ١٤٤ - باب المنادى.

الترخيم

«وذلك قول بعض العرب «وهو عنترة العبسى»:

يدعون عنتر والرماح كأنها   أشطان بئر فى لبان الأدهم

جعلوا الاسم عنترا وجعلوا الراء حرف الإعراب ... وأما قول ذى الرمة:

ديار مية إذ مى تساعفنا   ولا يرى مثلها عجم ولا عرب

فزعم يونس أنه كان يسميها مرة مية ومرة مى ويجعل كل واحد من الاسمين اسماً لها». الكتاب ١/ ٣٣٣ ط بولاق (باب مايكون فيه الاسم بعد مايحذف منه الهاء بمنزلة اسم يتصرف فى الكلام لم تكن فيه هاء فقط).

التحذير والإغراء

«وذلك قولك إن كنت تحذر إياك كأنك قلت إياك نح وإياك باعد وإياك اتق وما أشبه ذا ... فالنصب أحسن لأن المنصوب يعطف على

المنصوب المضمر ولا يعطف على المرفوع المضمر إلا فى الشعر وذلك قبيح أنشدنا يونس لجرير :

إياك أنت وعبد المسيح أن تقربا قبلة المسجد

أنشدناه منصوباً وزعم أن العرب كذا تنشده » الكتاب ١ / ١٤٠ ط بولاق (باب ما ينتصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره استغناء عنه ماجرى منه على الأمر والتحذير) .

« قال ابن سلام : وتذاكرنا القدر مرة فى مجلس يونس فقالوا ما تقول يا أبا عبد الرحمن فقال : لا فكر لى فيه . قال ابن سلام : قلت ليونس « إياك زيداً » تجيزها قال أجاز ابن أبى اسحاق للمفضل بن عبد الرحمن :

إياك إيـــاك المراء فإنه إلى الشر دعاء وللشر جالب » .

طبقات النحويين ص - ٥٠

أسماء الأفعال والأصوات

« وذلك إن ولعل وليت وأخواتها ورويدك ورويدنى وعليك وهلم وما أشبه ذلك فعلامات الإضمار حالهن هنا كحالهن فى الفعل إلا تقوى أن تقول عليك إياه ولا رويد إياه لأنك تقدر على الهاء تقول عليكه ورويده ولا تقول عليك إياى لأنك تقدر على نى وحدثنى يونس أنه سمع من العرب من يقول عليكنى من غير تلقين ومنهم من لا يستعمل (نى) ولا(نا) فى ذا الموضع استغناء بعليك بى وعليك بنا عن نى ونا وإياى وإيانا » . الكتاب ١ / ٣٨٢ ط بولاق (باب الإضمار فيما جرى مجرى الفعل) .

نونا التوكيد

« وزعم يونس أنهم يقولون ربما تقولن ذاك وكثر ما تقولن ذاك لأنه فعل غير واجب ولا يقع بعد هذه الحروف إلا وحاله لازمة » الكتاب ٢ / ١٥٣ ط بولاق (باب النون الثقيلة والخفيفة) .

« وإذا وقفت عندها وقد أذهبت علامة الإضمار التى تذهب إذا كان بعدها ألف خفيفة أو ألف ولام رددتها كما ترد الألف التى فى هذا مثنى كما ترى إذا سكت وذلك قولك للمرأة وأنت تريد الخفيفة اضربى وللجميع اضربوا وارموا وللمرأة ارمى واغزى » الكتاب ٢ / ١٥٥ ط. بولاق (باب الوقف عند النون الخفيفة) .

«وقال الخليل إذا كان ما قبلها مكسوراً أو مضموماً ثم وقفت عندها لم تجعل مكانها ياء ولا واوا وذلك قولك للمرأة وأنت تريد الخفيفة اخشى وللجميع وأنت تريد النون الخفيفة اخشوا وقال هو بمنزلة التنوين إن كان ما قبله مجروراً أو مرفوعاً وأما يونس فيقول اخشيى واخشووا يزيد الياء والواو بدلا من النون الخفيفة من أجل الضمة والكسرة » الكتاب ٢/١٥٥ ط بولاق (باب الوقف عند النون الخفيفة) .

« وأما يونس وناس من النحويين فيقولون اضربان زيدا واضربنان زيدا فهذا لم تقله العرب وليس له نظير فى كلامها لا يقع بعد الألف ساكن إلا أن يدغم » . الكتاب ٢ /١٥٧ ط بولاق (باب النون الثقيلة والخفيفة فى فعل الاثنين وفعل جميع النساء) .

« وزعم يونس أنك تقول هلا تقولن وألا تقولن وهذا أقرب لأنك تعرض وكأنك قلت افعل لأنه استفهام فيه معنى العرض ومثل ذلك لولا تقولن لأنك تعرض » الكتاب ٢/١٥٢ ط. بولاق (باب النون الثقيلة والخفيفة) .

وجاء فى المقتضب للمبرد ج ٣ ص ٢٤ :) باب فعل الاثنين والجماعة من النساء فى الثقيلة وامتناعهما من النون الخفيفة) :

«كان يونس بن حبيب يرى إثباتهما فى فعل الاثنين وجماعة النسوة ، فيقول : اضربانْ زيدا ، وللنساء اضربنان زيدا ، فيجمع بين ساكنين ولا يوجد مثل هذا فى كلام العرب إلا أن يكون الساكن الثانى مدغما والأول حرف لين ، وقد مضى تفسير هذا .

فإذا وقف يونس ومن يقول بقوله قال للاثنين : اضربا ، وللجماعة من النساء : اضربنا ، وإذا وصل فعل الاثنين قال : اضربان الرجل . وهذا خطأ على قوله ، إنما ينبغى على قياس قوله أن يقول : اضرب الرجل . فيحذف النون ، لأنها تحذف لالتقاء الساكنين ، كما ذكر ، ثم تحذف الألف التى فى اضربا لعلامة التثنية ، لأنها أيضا ساكنة ، فيصير لفظه لفظ الواحد إذا أردت به النون الخفيفة ولفظ الاثنين بغير نون إذا حذفت ألفهما لالتقاء الساكنين» .

وفى سيبويه[1] أيضاً ج ٢ ص ١٥٧ :

« وأما يونس وناس من النحويين فيقولون : اضربنان زيدا ، واضربان زيد فهذا لم تقله العرب ، وليس له نظير فى كلامهما لا يقع بعد الألف ساكن إلا مدغم .

ويقولون فى الوقف : اضربا ، واضربنا فيمدون وهو قياس قولهم ، لأنها تصير ألفاً فإذا اجتمعت ألفان مد الحرف .

وإذا وقع بعدها ألف ولام أو ألف موصولة جعلوها همزة مخففة وفتحوها ، وإنما القياس فى قولهم أن يقولوا : اضرب الرجل ، كما تقول

(١) من التعليقات فى هامش المقتضب .

بغير الخفيفة إذا كان بعدها ألف وصل أو ألف ولام ذهبت ، فينبغى لهم أن يذهبوها لذا ، ثم تذهب الألف ، كما تذهب الألف وأنت تريد النون فى الواحدة إذا وقفت فقلت : اضربا ، ثم قلت اضرب الرجل لأنهم إذا قالوا : اضربان زيدا ، فقد جعلوها بمنزلتها فى اضربن زيدا ، فينبغى لهم أن يجروا عليها هناك مايجرى عليها فى الواحد » .

(ومن أجاز ذلك) وهو يونس والكوفيون (فيما تقدم أجازه هنا بشرط كسر النون) فراراً من التقاء الساكنين على غير حده إذ ليس هنا ثلاث نونات واعترض بأن تحريكها يخرجها عن وضعها فالوجه منعها بعد الألف وأشار ابن الحاجب إلى جوابه بأن الثقيلة هى الأصل والخفيفة فرعها وأدخلت الألف مع الثقيلة فيلزم مع الخفيفة وإن لم تجتمع النونان لئلا يلزم للفرع مزية على الأصل واعترضه التفتازانى بأن أصالة الثقيلة إنما هى عند الكوفيين مع الفرع لايجب أن يجرى على الأصل فى جميع الأحكام ولك أن تقول نصرة لابن الحاجب المجيز لوقوع الخفيفة بعد الألف هو يونس والكوفيون وهم القائلون بأصالة الشديدة وفرعية الخفيفة » .

شرح التصريح على التوضيح — الجزء الثانى — ص٢٠٨ — ط مصطفى محمد
فصل تنفرد النون الخفيفة بأربعة أحكام الخ .

« وكذلك العمل فى الياء المكسورة ويجهل التوكيد إذا قلت هل تخشون ياقوم وهل تخشين ياهند ثم أبدلت ثم حذفت الضمة ثم الواو والياء ثم يجهل التوكيد لعدم نون الرفع هذا حاصل ما ذكره الموضح فى حواشيه عن الخليل ويونس » .

شرح التصريح على التوضيح — الجزء الثانى — ص ٢٠٩ — ط مصطفى محمد
(فصل تنفرد النون . الخفيفة بأربعة أحكام .. الخ) .

« قال يونس اخشوو واخشيي فيزيد الواو والياء بدلا من النون الخفيفة من أجل الهمزة والكسرة وهو ما نقله الناظم فى التسهيل وإذا وقف على المؤكد بالخفيفة بعد الألف على مذهب يونس . »

الأشمونى والصبان جـ٣ — ص ١٧٠

باب مالا ينصرف

« وأما ما جاء مثل (تولب ونهشل) فهو عندنا من نفس الحرف مصروف حتى يجىء أمر يبينه وكذلك فعلت به العرب لأن حال التاء والنون فى الزيادة ليس كحال الألف والياء لأنهما لم تكثرا فى الكلام زائدتين ككثرتهما ، فإن لم تقل ذلك دخل عليك أن لا تصرف نهشلا ونهسرا فهذا قول الخليل ويونس والعرب . وإذا سميت رجلا بإثمد لم تصرفه لأنه يشبه اضرب وإذا سميت رجلا بإصبع لم تصرفه لأنه يشبه اصنع وإن سميته بأبلم لم تصرفه لأنه يشبه اقتل ولا تحتاج فى هذا إلى ما تحتاج إليه فى (ترتب) وأشباهما لأنها ألف وهذا قول الخليل ويونس » . الكتاب ٢/٣ ط بولاق (باب أفعل إذا كان اسماً وما أشبه الأفعال من الأسماء التى فى أوائلها الزوائد) .

« زعم يونس أنك إذا سميت رجلا بضارب من قولك ضارب وأنت تأمر فهو مصروف وكذلك إن سميته ضارب وكذلك (ضرب) وهو قول الخليل وأبى عمرو وذلك لأنها حيث صارت اسما وصارت فى موضع الاسم المجرور والمنصوب والمرفوع لم تجىء فى أوائلها الزوائد التى ليس فى الأصل عندهم أن تكون فى أوائل الأسماء إذا كانت على بناء الفعل غلبت الأسماء عليها إذا اشبهتها فى البناء وصارت أوائلها الأوائل التى هى فى الأصل للأسماء .

فصارت بمنزلة ضارب الذى هو اسم وبمنزلة حجر وتابل كما أن يزيد وتغلب يصيران بمنزله تنضب ويعمل إذا صارت اسما وأما عيسى فكان لا يصرف ذلك وهو خلاف قول العرب » . الكتاب ٦/٢ ط بولاق (باب ماينصرف من الأفعال إذا سميت به رجلا) .

« ولو كنت تدع صرف كل نون زائدة لتركت صرف رعشن ولكنك إنما تدع صرف ما آخره كآخر غضبان كما تدع صرف ماكان على مثال الفعل إذا كانت الزيادة فى أوله فإذا قلت إصليت صرفته لأنه لا يشبه الأفعال فكذلك صرفت هذا لأن آخره لا يشبه آخر غضبان إذا صغرته وهذا قول أبى عمرو والخليل ويونس » . الكتاب ١١/٢ ط بولاق (هذا باب مالا ينصرف فى المعرفة مما ليست نونه بمنزلة الألف التى فى نحو بشرى وما أشبهما) .

« ولو سميت رجلا قدما أو (حشا) صرفته فإن حقرته قلت قديم فهو مصروف وذلك لاستخفافهم هذا التحقير كما استخفوا الثلاثة لأن هــذا لا يكون إلا تحقير أقل العدد وليس محقر أقل حروفا منه فصار كغير المحقر الذى هو أقل ما كان غير محقر حروفا وهذا قول العرب والخليل ويونس » . الكتاب ١٣/٢ ط بولاق (باب ماينصرف فى المذكر البتة مما ليس فى آخره حرف التأنيث) .

« فالتذكير قبل وهو أشد تمكناً فالأول أشد تمكناً عندهم فالنكرة تعرف بالألف واللام والإضافة وبأن يكون علما والشىء يختص بالتأنيث فيخرج من التذكير كما يخرج المنكور إلى المعرفة فإن سميت المؤنث بعمرو أو زيد لم يجز الصرف . هذا قول أبى إسحاق وأبى عمرو فيما حدثنا يونس وهو القياس » . الكتاب ٢٣/٢ ط بولاق (باب تسمية المؤنث) .

« فإذا قالوا ولد سدوس كذا وكذا أو ولد جذام كذا وكذا صرفوه، ومما يقوى ذلك أن يونس زعم أن بعض العرب يقول هذه تميم بنت مر وسمعناهم يقولون قيس عيلان وتميم صاحبه ذلك فإنما قال بنت حينما جعله اسما للقبيلة » . الكتاب ٢٦/٢ ط بولاق (باب أسماء القبائل والأحياء وما يضاف إلى الأم والأب) ،

« فالعرب تختلف فيها ويؤنثها بعض ويذكرها بعض كما أن اللسان يؤنث ويذكر ... زعم ذلك يونس وأنشدنا قول الراجز .

كافا وميمين وسينا طاسما

فذكر ولم يقل طاسمة ... وقال الراعى .

كما بينت كاف تلوح وميمها

فقال بينت وأنث » الكتاب ٣١/٢ ط بولاق (باب تسمية الحروف والكلم وليست ظروفا ولا أسماء غير ظروف ولا أفعالا) .

« ومنهم من يقول (معد يكرب) فيضيف ولا يصرف يجعل كرب اسما مؤنثا ومنهم من يقول معد يكرب فيجعله اسما واحدا فقلت ليونس هلا صرفوه حيث جعلوه اسما واحد وهو عربى قال ليس شيء يجتمع من شيئين فيجعل اسما سمى به واحدا إلا لم يصرف وإنما استثقلوا صرف هذا لأنه ليس أصل بناء الأسماء يدلك على هذا » . الكتاب ٢/٠ ه ط بولاق (باب الشيئين اللذين ضم أحدهما إلى الآخر فجعلا بمنزلة اسم واحد كعيضموز وعنتريس ...)

« وقال يونس من صرف هندا قال هذه هند بنت زيد فنون هندا لأن ذا موضع لا يتغير فيه الساكن ولم تدركه علة وهكذا سمعنا من العرب . ولأن أبا عمرو يقول هذه هند بنت عبدالله فيمن صرف ويقول لما كثر فى كلامهم حذفوه كما حذفوا لا أدرى ولم يك وأشباه ذلك » . الكتاب ١٤٨/٢ ط بولاق (باب مايذهب التنوين فيه من الأسماء لغير إضافة ولا دخول الألف واللام ولا لأنه لا يتصرف وكان القياس أن يثبت التنوين فيه) ،

« وسألت الخليل فقلت كيف تقول مررت بأفيعل منك من قوله مررت بأعيمى منك فقال مررت بأعيم منك لأن ذا موضع تنوين ألا ترى أنك تقول مررت بخير منك وليس أفعل منك بأثقل من أفعل صفة . وأما يونس فكان ينظر إلى كل شيء من هذا إذا كان معرفة كيف حال قياس نظيره من غير المعتل معرفة فإذا كان لا ينصرف يقول هذا جوارى قد جاء ومررت بجوارى قبل . وقال الخليل هذا خطأ لو كان من شأنهم أن يقولوا هذا فى موضع الجر لكانوا خلقاء أن يلزموه الرفع والجر إذا صار عندهم بمنزلة غير المعتل فى موضع الجر » . الكتاب ٢ /٥٧ ط. بولاق (بابالشيئين اللذين ضم أحدهما إلى الآخر فجعلا بمنزلة اسم واحد كعيضموز وعنتريس . .) .

« ويقول يونس للمرأة تسمى بقاض . مررت بقاضى قبل ومررت بأعيمى منك فقال الخليل لو قالوا هذا لكانوا خلقاء أن يلزموها الجر كما قالوا حين اضطروا فى الشعر فأجروه على الأصل ، وقال الشاعر الهذلى :

أبيت على معارى واضحات ... بهن ملوب كدم العباط

وقال الفرزدق :

فلو كان عبد الله مولى هجوته ... ولكن عبد الله مولى مواليا » .

الكتاب ٢ /٥٨ (باب ما ينصرف ومالا ينصرف من بنات الياء والواو التى اليا آت والواوات منهن لامات ...) .

« وسألته عن رجل يسمى « يغزو » فقال رأيت يغزى قبل ، وهذا يغز (وهذا يغزى زيد) وقال لا ينبغى له أن يكون فى قول يونس إلا يغزى وثبات الواو خطأ لأنه ليس فى الأسماء واو قبلها حرف مضموم وإنما هذا بناء اختص به الأفعال » . الكتاب ٢/ ٦٠ ط بولاق (باب ما ينصرف وما لا ينصرف من بنات الياء والواو التى اليا آت والواوات منهن لامات) .

« وقال الخليل الذين قالوا تغلبى ففتحوا مغيرين كما غيروا حين قالوا سهلى و بصرى فى بصرى ولو كان ذا لازما كانوا سيقولون فى يشكر يشكرى وفى جلهم جلهمى وأن لا يلزم الفتح دليل على أنه تغيير كالتغيير الذى يدخل فى الإضافة ولا يلزم وهذا قول يونس » . الكتاب ٧٢/٢ ط بولاق (باب ما حذف الياء والواو فيه القياس) .

« وزعم يونس عن أبى عمرو وهو قوله أيضاً وهو القياس أنك إذا قلت لقيته العام الأول أو يوما من الأيام ثم قلت (غدوة أو بكرة) وأنت تريد المعرفة لم تنون وكذلك إذا لم تذكر العام الأول ولم تذكر إلا المعرفة ولم تقل يوما من الأيام كأنك قلت هذا الحين فى جميع هذه الأشياء فإذا جعلتها اسما لهذا المعنى لم تنون وكذلك تقول العرب » . الكتاب ٤٨/٢ ط بولاق (باب الأحيان فى الانصراف وغير الانصراف) .

« حدثنا ابن سلام ، قال : قلت ليونس كيف تقرأ : « وجئتك من سبأ بنبأ يقين . [سورة النحل] فقال : قال الجعدى وهو أفصح العرب :

من سبأ الحاضرين مأرب إذ   يبنون من دون سيله العرما

وهو على قراءة أبى عمرو ويونس — فجعل يونس القصيدة للجعدى . وسمعت أبا الورد الكلابى سأل عنها أبا عبيدة فقال : لأمية ثم أتينا خلفا الأحمر فسألناه ، فقال . للنابغة ، وقد يقال لأمية » .

ص ١٠٦ طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحى ، ط دار المعارف تحقيق الأستاذ الكبير محمود محمد شاكر .

وجاء فى المقتضب للمبرد جـ ٣ ص ٣٥٢ فى (باب تسمية المؤنث) :

« كان يونس بن حبيب إذا سمى مذكرا بمؤنث على نحو قوله تعالى

(اهبطوا مصر) رأى صرفه جائزا ويقول أنا أجيز صرف المؤنث إذا سميناه بمؤنث . وإنما أخرجته من ثقل إلى ثقل فالذى إحدى حالتيه حال حقه أحق بالصرف ، كما أنا لو سمينا رجلا ، أو غيره من المذكر باسم مؤنث على ثلاثة أحرف ليس له مانع لم يكن إلا الصرف . وذلك أنك لو سميت رجلا قدما أو فخذا ... ، لم يكن فيه إلا الصرف ، لحقه التذكير[1] .

« حدثنا محمد بن يحيى قال : حدثنا المغيرة بن محمد المهلبي قال : حدثنا أبى وحدثنا محمد بن يزيد النحوى عن التوجى قالا :

لما دخل الكسائى البصرة أول دخلة جلس فى حلقة يونس ينظر خروجه فسأله ابن أبى عيينة عن « أواق » ينصرف أو لا ينصرف فقال : أواق أفعل لا ينصرف . قال ابن أبى عيينة : خطأ والله وخرج يونس فسئل عن أواق فقال هو فوعل وليس بأفعل لأن الهمزة فاء الفعل لأنك تقول : رجل مألوق فتثبت الهمزة . وكذلك أرنب ينصرف لأنه فوعل لأنك تقول أرض مؤرنبة فتثبت الهمزة ، والمألوق : المجنون » .

مجالس العلماء للزجاجى تحقيق الأستاذ الكبير عبد السلام محمد هارون

---

(١) المبرد ذكر القولين وبين وجهه نظر كل فريق ولم يرجح رأيا على آخر هنا .

وابن مالك وابن هشام وغيرهما ينسبون إلى المبرد القول بالرأى الثانى وهو المجوز للصرف وتركه ، والمبرد قال عن مذهب سيبويه والخليل : هو القول الفاشى فى كتابه المذكر والمؤنث .

فى شرح الكافية لابن مالك جـ ٢ ص ٢٢٠ : وأما نحو زيد اسم امرأة فذو وجهين عند أبى زيد والجرمى والمبرد ويتعين المنع عند الخليل وسيبويه وأبى عمر ويونس وابن أبى إسحق .

وانظر الأشمونى جـ ٢ ص ٤٧٤ والهمع جـ ١ ص ٣٤ والتوضيح وشرحه التصريح جـ ٢ ص ٢٢٦ .

مطبعة الكويت ص ٢٥٤ مجلس الكسائي مع يونس وابن أبي عيينة .

«والكلام في صرف (أحي) عند أبي عمرو ومنع صرفه ، وكذا في صرف (أحي) ومنعه والبحث في أن التنوين فيهما للصرف أو للعوض كما مر في جوار في باب مالا ينصرف سواء ، وأبو عمرو بن العلاء لا يحذف الياء الثالثة من نحو أحي نسبا بل يعله إعلال أعيل وذلك لأن في أول الكلمة الزيادة التي في الفعل وهي الهمزة بخلاف عطى تصغير عطاء لجعله كالجاري مجرى الفعل ... في الإعلال ، فأحي عنده كأعيل سواء في الإعلال ومنع الصرف وتعويض التنوين من الياء كما ذكرنا» .

شرح الشافيه جـ ١ ص ١٣٢

«قال إن (جوار) ونحوه من المنقوص فإذا كان له شبيه في الصحيح مصروف صرفوه وإذا لم يكن له شبيه في الصحيح مصروف لم يصرف» .

شرح المفصل لابن يعيش - الجزء الأول صفحة ٦٤ (باب العلل المانعة من الصرف .

«ذكر يونس في تنوين جوار أنه لا ينون ولا تحذف ياؤه وأنه يجر بفتحة ظاهرة» .

الأشموني والصبان جـ ٣ — ص ١٨٥ — طبع مصر سنة ١٣٤٣ هـ (مالا ينصرف) .

«ذهب الكسائي ويونس إلى أن (قاض) اسم امرأة ويعين ويرم يجري مجرى الصحيح في ترك تنوينه وجره بفتحة ظاهرة . فيقولون هذا يعين

ويرمى وقاض - ورأيت يعين ويرمى وقاض . ومررت بيعيز ويرمى وقاض .
الأشمونى والصبان جـ ٣ — ص ٢٠٧ — طبع مصر سنة ١٣٤٣ هـ
(مالا ينصرف) .

« تنبيهان » إذا سمى بأفعل التفضيل مجروراً مع (من) ثم نكر بعد التسمية انصرف بإجماع كما قاله فى شرح الكافية . قال : لأنه لا يعود إلى مثل الحال التى كان عليها إذا كان صفة ، فإن وصفيته مشروطة بمصاحبة من لفظا، أو تقديرا (فإن سمى به مع (من) ثم نكر امتنع صرفه قولا واحدا ، وكلام الكافية وشرحها يقتضى إجراء الخلاف فى نحو أحمر فيه (وما يكون منه منقوصا ففى : إعرابه نهج جوار يقتضى) يعنى أن ما كان منقوصا من الأسماء التى لا تنصرف سواء كان من الأنواع السبعة التى إحدى علتيها العلمية أو من الأنواع الخمسة التى قبلها فإنه يجرى مجرى جوار وغواش ، وقد تقدم أن نحو جوار يلحقه التنوين رفعا وجرا فلا وجه لما حمل عليه الراوى كلام الناظم من أنه أشار إلى الأنواع السبعة دون الخمسة ، لأن حكم المنقوص فيهما واحد فمثاله فى غير التعريف أعيم تصغير أعمى فإنه غير منصرف للوزن والوصف، ويلحقه التنوين رفعا وجرا نحو هذا أعيم ومررت بأعيم ورأيت أعيمى ، والتنوين فيه عوض من الياء المحذوفة كما فى نحو جوار ، وهذا لاخلاف فيه. ومثاله فى التعريف قاض اسم امرأة فإنه غير منصرف للتأنيث والعلمية ويعل تصغير يعلى ويرمى مسمى به فإنه غير منصرف للوزن والعلمية والتنوين فيهما فى الرفع والجر عوض من الياء المحذوفة وذهب يونس وعيسى ابن عمر والكسائى إلى نحو قاض اسم امرأة ، ويعل ويرم يجرى مجرى الصحيح فى ترك تنوينه وجره بفتحة ظاهرة فيقولان هذا يعلى ويرمى وقاضى ورأيت يعلى ويرمى وقاضى ومررت بيعلى ويرمى وقاضى ، واحتجوا بقوله :

قد عجبت منى ومن يعيليا .·. لما رأتنى خلقا مقاوليا »
الأشمونى والصبان جـ ٣ — ص ٢٧٣ — ط الحلبى (مالا ينصرف) ·

« يقول يونس : « إن الثلاثى الساكن الوسط إذا لم يكن أعجميا كنوح ووعد يجوز فيه الصرف ومنعه والمنع أحق فمن صرفه نظر إلى خفة السكون وأنها قاومت أحد السببين ومن منع نظر إلى وجود السببين ولم يعتبر الخفة» .

الأشمونى والصبان - جـ٣ - ص ١٧٠ - ط مصر سنة ١٣٤٣ هـ
(مالا ينصرف)

نواصب المضارع

« اعلم أن ما انتصب بعد أو فإنه ينتصب على إضمار أن كما انتصب فى الفاء والواو على إضمارها ... وسألت الخليل عن قول الأعشى :

إن تركبوا فركوب الخيل عادتنا أو تنزلون فإنا معشر نزل

فقال الكلام هاهنا على قولك يكون كذا أو يكون كذا لما كان موضعها لو قال فيه أتركبون لم ينقض المعنى صار بمنزلة قولك ولا سابقاً شيئاً وأما يونس فقال أرفعه على الابتداء كأنه قال أو أنتم نازلون وعلى هذا الوجه فسر الرفع فى الآية كأنه قال أو هو يرسل رسولا كما قال طرفة أو أنا مغتدى وقول يونس أسهل وأما الخليل فجعله بمنزلة قول زهير :

بدا لى أنى لست مدرك ما مضى ولا سابق شيئاً إذا كان جائيا »

الكتاب ١/٤٢٩ ط بولاق .

« اعلم أن ما انتصب فى باب الفاء ينتصب على إضمار أن ... قال الخليل ولو نصب هذا البيت لجاز ولكنا قبلناه رفعا وقال :

ألم تسأل الربع القواء فينطق وهل تخبرنك اليوم بيداء سملق

لم يجعل الأول سبباً للآخر ولكنه جعله ينطق على كل حال كأنه قال،
فهو مما ينطق كما قال ائتنى فأحدثك فجعل نفسه ممن يحدثه على كل حال وزعم
يونس أنه سمع هذا البيت بألم وإنما كتبت ذا لئلا يقول إنسان فلعلّ الشاعر
قال ألا » . الكتاب ١/٤٢٢ ط بولاق (هذا باب الفاء) .

« ... وكان أبو عمرو يقول لا تأتنا فنشتمك وسمعت يونس يقول ما آتيتنى
فأحدثك فيما استقبل فقلت له ما تريد به فقال أريد أن أقول ما أتيتنى فأنا
أحدثك وأكرمك فيما أستقبل». الكتاب ١/٤٢٤ط بولاق(هذا باب الفاء) .

«اعلم أن (إذن) إذا كانت جواباً مبتدأة عملت فى الفعل عمل أرى فى الاسم
إذا كانت مبتدأة وذلك قولك إذن أجيئك وإذن آتيك ... وتقول إن تأتنى
آتك وإذن أكرمك إذا جعلت الكلام على أوله ولم تقطعه وعطفته على
الأول وإن جعلته مستقبلا نصبت وإن شئت رفعته على قول من ألغى وهذا قول
يونس وهو حسن ... وزعم عيسى بن عمر أن ناساً من العرب يقولون إذن
أفعل ذلك فى الجواب فأخبرت يونس بذلك فقال لا تبعدنّ ذا ولم يكن
ليروى إلا ما سمع جعلوها بمنزلة هل وبل » . الكتاب ١/٤١٢ ط بولاق
(هذا باب إذن) .

« تقول أيّهم تضرب أو تقتل تعمل أحدهما ومن يأتيك أو يحدثك
أو يكرمك لا يكون ههنا إلا أو من قبل أنك تستفهم عن الاسم المفعول ...
وزعم يونس أنه سمع رؤبة يقول :

أبا مالك هل لمتنى مذ حضضتنى   على القتل أم لامنى لك لائم

وكذلك سمعناه من العرب فأما الذين قالوا أم هل لامنى لك لائم فإنما
قالوه على أنه أدركه الظن بعد ما مضى صدر حديثه وأما الذين قالوا أو هل

فإنهم جعلوه كلاما واحدا. وتقول ما أدرى هل تأتينا أوتحدثنا وليت شعرى هل تأتينا أو تحدثنا فهل ههنا بمنزلة هل فى الاستفهام إذا قلت هل تأتينا » . الكتاب ٤٨٦/١ ط بولاق (هذا باب أو) .

« ألم تسأل الربع القواء فينطق وهل يخبرنك اليوم بيداء سملق

وزعم يونس أنه سمع هذا البيت (ألم) ؟ . وإنما كتبت ذلك لئلا يقول إنسان فلعل الشاعر قال ألا اهـ » .

شرح المفصل لابن يعيش : الطباعة المنيرية بمصر – جـ ٧ – ص ٣٧ – نواصب الفعل المضارع :

باب عوامل الجزم

« وتلك الأسماء من وما وأيهم فإذا جعلتها بمنزلة الذى قلت ما تقول أقول ... وقد يجوز فى الشعر آتى من يأتنى وقال الهذلى :

فقلت تحمل فوق طوقك إنها مطبعة من يأتها لا يضيرها

هكذا أنشدناه يونس كأنه قال لا يضيرها من يأتها» الكتاب ٤٣٨/١ ط بولاق (الأسماء التى يجازى بها وتكون بمنزلة الذى) .

« وذلك قولك على أى دابة أحمل أركبه وبمن تؤخذ أوخذ به هذا قول يونس والخليل جميعاً » الكتاب ٤٤٢/١ ط بولاق (باب إذا ألزمت فيه الأسماء التى تجازى بها حروف الجر لم تغيرها عن الجزاء) .

« وذلك قولك إن تأتنى آتك ولا تكتفى بمن لأنها حرف جزاء ... وأما يونس فيقول إن تأتنى آتيك وهذا قبيح يكره فى الجزاء وإن كان فى الاستفهام وقال عز وجل« أفإن مت فهم الخالدون » . الكتاب ٤٤٤/١ ط بولاق (هذا باب الجزاء إذا أدخلت فيه ألف الاستفهام) .

حذف الشرط

« وإن كان العطف بالفاء فالجواب للثانى والثانى جوابه جواب للأول وإن كان بغير عطف فالجواب لأولهما والشرط الثانى مفيد للأول كتقييده بحال واقعة موقعه كقوله :

أن تستغيثوا بنا أن تذعروا تجدوا   منـــا معاقد عزّ زانها كرم

فتجدوا جواب أن يستغيثوا وأن تذعروا بالبناء للمفعول مفيد للأول على معنى أن تستغيثوا بنا مذعورين تجدوا وإذا دخل الاستفهام على الشرط قال يونس إن الجواب للاستفهام لتقدمه لا للشرط قياساً على مسئلة تقدم القسم على الشرط نحو إن قام زيد تقوم .

شرح التصريح على التوضيح ـ الجزء الثانى ـ ص ٢٥٥ ـ ط مصطفى محمد
(فصل يجوز حذف ماعلم من شرط إن كانت الأداة إن ... الخ) .

حذف الفاء فى جواب الشرط للضرورة :

« أخبر الأصمعى عن يونس قال « نحن عملنا هذا البيت إشارة للبيت :

من يفعل الحسنات الله يشكرها   والشر بالشر عند الله مثلان

على أن الرابطة محذوفة من جواب الشرط ضرورة أى فالله يشكرها » .

شرح المفصل لابن يعيش ــ الجزء التاسع ص ٣ ـ ط المنيرية .

باب كم وكأين وكذا

« اعلم أن (لكم) موضعين فأحدهما الاستفهام وهو الحرف المستفهم بمنزلة كيف وأين والموضع الآخر الخبر ومعناها معنى (رب) وهى تكون فى الموضعين اسماً فاعلا ومفعولا وظرفاً ... وتقول كم مثله لك وكم خيراً منه

لك وكم غيره لك كل هذا جائز حسن لأنه يجوز بعد عشرين فيما زعم يونس تقول كم غيره مثله لك انتصب غير بكم وانتصب المثل لأنه صفة له ولم يجز يونس والخليل كم غلاماً لك لأنك لاتقول عشرون ثياباً لك إلا على وجه لك مائة بيضاً وعليك راقود خلا » الكتاب ١/٢٩٢ ط بولاق (هذا باب كم) .

« واعلم أن (كم) فى الخبر لاتعمل إلا فيما تعمل فيه (رب) لأن المعنى واحد إلا أن كم اسم ورب غير اسم بمنزلة من والدليل عليه أن العرب تقول كم رجل أفضل منك تجعله خبر كم أخبرناه يونس عن أبى عمرو » الكتاب ١/٢٩٣ ط بولاق (هذا باب كم) .

« يشترط لحكاية العلم بمن ألا يكون عدم الاشتراك فيه متيقناً ، فلا يقال : من الفرزدق (بالجر) لمن قال : سمعت شعر الفرزدق ، لأن هذا الاسم يتقن انتفاء الاشتراك فيه . الثانى شمل كلامه إليهم المعطوف على غيره والمعطوف عليه غيره وفيه خلاف منعه يونس وجوزه غيره واستحسنه سيبويه . فيقال لمن قال رأيت زيداً وأباه : من زيداً وأباه . ومن قال رأيت أخا زيد وعمرا : من أخا زيد وعمرا ... أجاز يونس حكاية سائر المعارف قياسا على العلم والصحيح المنع » .

الأشمونى والصبان ـ ص ٩٢ ـ (كم وكأين وكذا) .

« شرط جر تمييز كم الخبرية الاتصال ، فإن فصل نصب حملا على الاستفهامية فإن ذلك جائز فيها فى السعة . وقد جاء مجروراً مع الفصل بظرف أو مجرور كقوله :

كم دون قبة موتاة يهال لها   إذا يتممها الخريت ذو الجلد

وقوله :

كم بجود مقرف نال العلا   وكريم بخله قد وضعه

وقوله :

كم فى بنى بكر بن سعد سيد ضخم الدسيعة ماجد نفاع

والصحيح اختصاصه بالشعر . ومثله فصل تمييز العدد المركب وشبهه وقد مر ، وذهب الكوفيون إلى جوازه فى الاختيار . وقيل إن كان الفصل بناقص نحو : كم اليوم جائع أتانى ، وكم بك مأخوذ جاءنى ، جاز . وإن كان يقال لا يجوز ، وهو مذهب يونس .

الأشمونى والصبان ـ ص ٨٢ ـ (كم وكأين وكذا) .

«قال يونس فى فصل تمييز العدد المركب وشبهه إن كان الفصل بناقص نحوكم اليوم جائع ... وكم بك مأخوذ جاز وإن كان الفصل بتام لا يجوز» .

الأشمونى والصبان جـ٣ ـ ص ٨٠ ـ (باب العدد ـ كم) .

باب الحكاية

«اعلم أنك تثنى من إذا قلت رأيت رجلين كما تثنى أياً وذلك قولك رأيت رجلين فتقول منين كما تقول أيين ... وزعم يونس أنه سمع أعرابياً يقول ضرب من منا وهذا بعيد لا تتكلم به العرب ولا يستعمله منهم ناس كثير» الكتاب ٤٠٢/١ ط بولاق (باب من إذا كنت مستفهماً من نكرة » .

«اعلم أن أهل الحجاز يقولون إذا قال الرجل رأيت زيداً من زيداً وإذا قال مررت بزيد قالوا من زيد وإذا قال هذا زيد قالوا من زيد وأما بنو تميم فيرفعون على كل حال وهو أقيس القولين ... وسألت يونس عن رأيت زيد بن عمر فقال أقول من زيد بن عمر ولأنه بمنزلة اسم واحد وهكذا

ينبغي إذا كنت تقول يا زيد بن عمرو وهذا زيد بن عمرو فتسقط التنوين فأما من زيد الطويل فالرفع على كل حال لأن أصل هذا جرى للواحد لتعرفه له بالصفة فلما جاوز ذلك رده إلى الأعرف ومن نون زيداً جعل ابن صفة منفصلة ورفع في قول يونس فإذا قال رأيت زيداً قال أي زيد فليس فيه إلا الرفع مجرية على القياس » الكتاب ١/٤٠٤ ط بولاق (باب اختلاف العرب في الاسم المعروف الغالب إذا استفهمت عنه بمن) .

وجاء في المقتضب المبرد :

(تابع باب « منْ » مسترشداً بها إثباته معرفة)

« يمضى صاحب الكتاب : وقد يجوز ما قال يونس وليس هو بالوجه . وإنما هو على قول من قيل له : عندي تمرتان فقال : — دعني من تمرتان . وقيل له : رأيت قرشيا فقال : ليس بقرشياً .

فهذا جائز وليس هو على الباب[1] . إنما تحكى الجمل نحو : قلت : زيدٌ منطلق (كلام عمل بعضه في بعض) وقرأت : — الحمد لله رب العالمين » ورأيت على خاتمه الله أكبر .

ولا يصح أن تقول ، إذا قلت : — رأيت زيداً ، ولقيت أخاك : — منا ؟ لأن ذلك إنما هو سؤال شائع في النكرة » .

وفي باب (من) إذا كنت مسترشداً بها عن إثبات معرفة (٣٠٩) :

«فإن سبيل كل اسم علم مستفهم تحكيه كما قال المميز يكون هكذا : — فإذا قلت جاءني عبد الله — قلت من عبد الله ؟ وإذا قال رأيت عبد الله — قلت من

---

(١) انظر صفحة ٢٨٦ جـ٢ من كتاب المقتضب .

عبد الله ؟ وإن قال مررت بعبد الله قلت : من عبد الله ؟ ويجوز فى كل هذا من عبد الله ؟ .

وكذلك يجوز من أخوك أو من أخى ومن الرجل لمن قال : ـ رأيت الرجل يا فتى ؟

وكان يونس يجرى الحكاية فى جميع المعارف ، ويرى بابها وباب الأعلام واحداً » .

أحكام من وما وأى فى الاستفهام من نحو منو ومنا ومنى بحكاية الإعراب :

« وأما المعارف بعد من فتقول هى إما أعلام وإما غيرها فغير الأعلام فيها ثلاثة أوجه أشهرها أنه لا حكاية ولا من بعدها حذف (وحكى المبرد عن يونس ولم يحكه عن سيبويه أنها تذكر بعد محكية كالأعلام إذا قال القائل رأيت أبا زيد قلت من أبازيد » .

شرح الكافية لابن الحاجب جـ ٢ ص ٥٩

أحكام من وما وأى عن الاستفهام فى نحو منو ومنا ومنى بحكاية الإعراب :

« والأولى أن يقال كما فى من إن هذه العلامات اتباعا للفظ المتكلم على وجه الحكاية ومحلها رفع على الابتداء والتقدير من هو وأى هو أى أى رجل هو (وأجاز يونس الحكاية بمن وصلها قياساً على أى فيقول من يافتى ومنا يافتى ومن يافتى وعليه حمل قول الشاعر :

أتوا نارى فقلت منون أنتم فقالوا الجن قلت عموا ظلاما

لم يتقدم جمع منكر حتى يحكى (وحكى يونس أنه سمع ضرب من منا استفهام عن الضارب والمضروب ، قال سيبويه هذا بعيد ، وقال يونس أيضاً هذا لا يقبله كل أحد وذلك لتقدم الفعل على كلمة الاستفهام ، وأما إعرابها فقيل حكاية كأنه سمع رجلا يقول ضرب رجل رجلا وإلا فكيف يعربها مع قيام علة البناء والظاهر أنه ليس بحكاية وأنه يجوز فى بعض اللغات إعرابها لا على وجه الحكاية ألا ترى إلى قوله منون أنتم وليس بمحكى كما زعم الكلام لأنها فى حالة الوقف فإذا قيل رأيت رجلا وامرأة وقلت من ومنه » .

شرح الكافية لابن الحاجب - جـ ٢ ص ٥٩

فصل باب الحكاية - (منون أنتم - قياس مبنى على السماع) :

« لما سيأتى أنك تقول فى حكاية المذكر منه ومنا ومنى وهذه الأحرف أحرف الإطلاق لا تكون إلا فى الوقف فأما قوله وهو شمر بن الحرث الضبي أو تأبط شرا :

أتوا نارى فقلت منون أنتم فقالوا الجن قلت عموا ظلاما

والقياس من أنتم (فنادر فى الشعر) وحمله سيبويه على لغة من قال ضرب منه منا قال إنما يجوز منون على هذا فهو عنده معرب كأى مجموع بالواو والنون ... وحكى الكوفيون أن منهم من يقول منه أنت ومنان أنتما ومنون أنتم فيكون البيت على هذا (ولا يقاس عليه خلافا ليونس) وحجته أن سمع بعض العرب يقول ضرب من منا ومنه منا من قال ضرب رجل رجلا حكاه عنه سيبويه » .

شرح التصريح على التوضيح - الجزء الثانى - ص ٢٨٥ ط مصطفى محمد

« أجاز يونس إثبات الزوائد وصلا فتقول منو يافتى وتشير إلى الحركة في منت ولا تنون وتكسر تعرف المثنى وتفتح نون الجمع وتنون منات ضما وكسرا وهذا مذهب حكاه يونس عن بعض العرب » .

الأشمونى والصبان جـ ٣ - ص ٨٨ - (الحكاية)

« أجاز يونس حكاية سائر المعارف قياسا على العلم والصحيح المنع » .

الأشمونى والصبان جـ ٣ - ص ٩٠ - (حكاية العلم) .

المقصور والممدود

« وعد وجفنة لا يجوز تسكينه مطلقاً ، واستثنى من ذلك في التسهيل معتل اللام كظبيات ، وشبيه لصفة نحو أهل وأهلات فجوز فيها التسكين اختياراً (ومنعوا إتباع الكسرة فيما لامه واواً وإتباع الضمة قبل الياء ، ولا خلاف في ذلك . (وشذ كسر جروة) فيما حكاه يونس من قولهم جروات بكسر الراء وهو في غاية الشذوذ لما فيه من الكسرة قبل الواو » .

الأشمونى — ص ١١٧ — (المقصور والممدود) .

جمع التكسير

« وما كان مؤنثاً من فَعَل من هذا الباب فإنه يكسر على أفعل إذا أردت بناء أدنى العدد وذلك (دار وأدور وساق وأسوق ونار وأنور) وهذا قول يونس ونظنه إنما جاء على نظائره في الكلام نحو جمل وأجمل وزمن وأزمن » . الكتاب ٢/١٨٧ط بولاق (باب نظير ما ذكرنا من بنات الياء والواو والتى الياآت والواوات فيها عينات) .

« وزعم يونس أنهم يقولون أخ وإخاء وقالوا إخوان كما قالوا خرب

وخربان والخرب ذكر الحبارى فبنات الحرفين تكسر على قياس نظائرها التي لم تحذف » . الكتاب ٢/١٩٠ ط بولاق (باب ما كان على حرفين وليست فيه علامة التأنيث) .

« وزعم يونس أنهم يقولون حرة وحرّون يشبهونها بقولهم أرض وأرضون لأنها مؤنثة مثلها ولم يكسروا أول أرضين لأن التغيير قد لزم الحرف الأوسط كما لزم التغيير الأول من سنة في الجمع » الكتاب ٢/١٩١ ط بولاق (باب ما كان على حرفين وليست فيه علامة التأنيث) .

« وزعم يونس أنهم يقولون أيضاً حرّة وإحرّون يعنون الحرار كأنه جمع إحرّة ولكن لا يتكلم بها » الكتاب ٢/١٩١ ط بولاق (باب ما كان على حرفين وليست فيه علامة التأنيث » .

« وزعم يونس أن من العرب من يقول صيود وصيد وبيوض وبيض وهو على قياس من قال في الرّسل رسل » الكتاب ٢/١٩٢ ط بولاق (باب تكسير ما عدة حروفه أربعة أحرف للجميع) .

« وزعم يونس أنهم يقولون (ضع رحالهما وغلمانهما) وإنما هما اثنان » الكتاب ٢/٢٠١ ط بولاق (باب ما لفظ به مما هو مثنى كما لفظ بالجمع) .

إن البغات بأرضنا يستنسر :

يستنسر يصير كالنسر في القوة . قال يونس : فمن جعل البغاث واحداً فجمعه بغثان مثل غزال وغزلان ومن قال للذكر والأنثى بغاثه والجمع بغاث مثل نعامة ونعام » .

شرح الشافية جـ ٢ ص ٤٧

« قال يونس : إذا كان فعل مؤنثاً بغير ناء فجمعه على أفعل هو القياس .. كما أن فعالا وفعيلا إن كانت مؤنثة فقياسها أفعل كما يجيء .

قال سيبويه بل أفعل هو الشاذ وإن كان مؤنثاً ولو كان قياساً لما قيل ترحى وارحاء وقدم واقدام وغنم وأغنام » .
شرح الشافيه جـ ٢ ص ٩٥

« وحكى عن يونس أحرون بفتح الهمزة وكسرها » .
شرح الكافية لابن الحاجب جـ ٢ ص ١٧٢

«قال إن جمع (حلقة) يكون بفتح الحاء وحذف تاء التأنيث — ويقول غيره إن الجمع يكون بكسر الحاء وحذف تاء التأنيث » .
شرح المفصل لابن يعيش — الجزء الأول ـ صفحة ١٥

« قال سيبويه (سألت يونس عن معزى فيمن نون) أهو ذلك يدل على أن من العرب قوما لا ينونونه » .
شرح المفصل لابن يعيش الجزء الخامس (باب مبحث صيغ المجموع صفحة ٦٣) :

« وزعم يونس أنهم يقولون (ضربت رأسيهما) وزعم أنه سمع ذلك من رؤبة أيضاً أجروه على القياس قال هميان بن قحافة :

ظهراهما مثل ظهور الترسين

الكتاب ٢/٢٠١ ط بولاق (باب ما لفظ به مما هو مثنى كما لفظ بالجمع) .

« وقال يونس يقولون هو العمد ومثل ذلك حلقة وحلق وفلكة وفلك فلو كانت كسرت على حلقة كما كسروا ظلمة على ظلم لم يذكروه فليس فعل

عما يكسر عليه فعله ومثله فيما حدثنا أبو الخطاب نشفه ونشف وهو الحجر الذى يتدلك به » . الكتاب ٢/٢٠٣ ط بولاق (باب ما هو اسم يقع على الجميع ولم يكسر عليه واحده ولكنه بمنزلة قوم ونفر وذود إلا أن لفظه من لفظ واحده) .

التصغـــير

« واعلم أن هذه الألف إذا كانت خامسة عندهم فكانت للتأنيث أو لغيره حذفت وذلك قولك فى قرقرى قريقر وفى حبركى حبيرك وإنما صارت هذه الألف إذا كانت خامسة عندهم بمنزلة ألف مبارك وجوالق لأنها ميتة مثلها ولأنها لو كسرت الأسماء للجمع لم تثبت فلما اجتمع فيها ذلك صارت عند العرب بتلك المنزلة وهذا قول يونس والخليل » . الكتاب ٢/١٠٧ ط بولاق (باب تصغير ما كان على ثلاثة أحرف ولحقته الزيادة للتأنيث فصارت عدته مع الزيادة أربعة أحرف) .

« وإذا جاء شىء على عدة حروف سرحان وآخره كآخر سرحان ولم تعلم العرب كسرته للجمع فتحقيره كتحقير فعلان الذى له فعل إذا لم تعلم ، فالذى هو مثله فى الزيادتين والذى يصير فى المعرفة بمنزلته أولى به حتى تعلم والذى ذكرت لك فى جميع ذا قول يونس ولو سميت رجلا بسرحان فحقرته لقلت سريحين وذا قول يونس وأبى عمرو » . الكتاب ٢/١٠٩ ط بولاق (باب تصغير ما كان على ثلاثة أحرف ولحقته ألف التأنيث بعد ألف فصار مع الألفين خمسة أحرف) .

« وزعم يونس أن العرب تقول أيضاً خواتم ودوانق وطوابق على فاعل كما قالوا تابل وتوابل ». الكتاب ٢/ ١١٠ ط بولاق (هذا باب ما يحقر على تكسيرك إياه لو كسرته للجمع على القياس لا على التكسير للجمع على غيره).

« وكذلك جوالق إن شئت قلت جويلق وإن شئت قلت جويليق وإن شئت قلت جويليق عوضاً كما قالوا جواليق والعوض قول يونس والخليل ». الكتاب ٢/ ١١٠ ط بولاق (باب ما يحذف فى التحقير من بنات الثلاثة من الزيادات لأنك لو كسرتها للجمع لحذفتها وكذلك تحذف للتصغير).

« وزعم يونس أنهم يقولون صمائح ودمامك فى صمحمح ودمكمك فإذا حقرت قلت صميمح ودميمك وجليلع وإن شئت قلت ذريريح عوضا كما قالوا ذرارح وذريحح للتضعيف والتقاء الحرفيين من موضع واحد ». الكتاب ٢/ ١١٣ ط بولاق (باب ما يحذف فى التحقير من بنات الثلاثة من الزيادات لأنك لو كسرتها للجمع لحذفتها وكذلك تحذف للتصغير).

« وإذا حقرت ظريفين غير اسم رجل أو ظريفات أو دجاجات قلت ظريفون وظريفات ودجيجات من قبل أن الياء والواو والنون لم يكسر الواحد عليهن كما كسر على ألفى جلولاء ولكنك إنما تلحق هذه الزوائد بعد ما يكسر الاسم فى التحقير للجمع وتخرجهن إذا لم ترد الجمع ». الكتاب ٢/ ١١٨ ط بولاق (باب تحقير ما كان من الثلاثة فيه زائدتان تكون فيه بالخيار فى حذف واحد إحداهما تحذف أيهما شئت).

« وسألت يونس عن تحقير ثلاثين فقال : ثليثون ولم يثقل شبهها بواو جلولاء لأن ثلاثاً لا تستعمل مفردة على حد ما يفرد ظريف ». الكتاب ٢/ ١١٨ ط بولاق (باب تحقير ما كان من الثلاثة فيه زائدتان تكون فيه بالخيار فى حذف إحداهما تحذف أيهما شئت).

« أخبرني يونس أن الذي لا يهمز يقول سلته فأنا أسال وهو مسول إذا أراد المفعول » الكتاب ٢ / ١٢٢ ط بولاق (باب ما ذهبت عينه) .

« منسأة تقول منيسئة لأنها من نسأت ولأنهم لا يثبتون هذه الألف التي هي بدل من الهمزة كما لا يلزمون الهمزة التي هي بدل من الياء والواو » . الكتاب ٢ / ١٢٦ ط بولاق (باب تحقير كل حرف كان فيه بدل فإنك تحذف ذلك البدل وترد الذي هو من أصل الحرف إذا حقرته كما تفعل ذلك إذا كسرته للجمع) .

« وسألت يونس عن برية فقال هي من برأت وتحقيرها بالهمزة كما أنك لو كسرت صلاءة رددت الياء فقلت أصلية فهذه الياء لا تلزم في هذا الباب كما لا تلزم الهمزة في بنات الياء والواو التي هي لامات ولو سميت رجلا ذوائب قلت ذؤيئب لأن الواو بدل الهمزة التي في ذؤابة » . الكتاب ٢/١٢٧ ط بولاق (باب تحقير كل حرف كان فيه بدل فإنك تحذف ذلك البدل وترد الذي هو من أصل الحرف إذا حقرته كما تفعل ذلك إذا كسرته للجمع)

« ومن ذلك أيضاً تاء تخمة وتاء تراث وتاء تدعة يثبتن في التصغير كما يثبتن لو كسرت الأسماء للجمع ولأنهن بمنزلة الهمزة التي تبدل من الواو نحو ألف أرقه إنما هي بدل من واو ورقه ونحو ألف أدد إنما هي بدل من واو ودد » . الكتاب ٢ / ١٢٨ ط بولاق (باب تحقير الأسماء التي تثبت الأبدال فيها وتلزمها) .

« وأما عيسى فكان يقول (أحي) ويصرف وهذا خطأ لو جاز إذا لصرفت أصم لأنه أخف من أحي وصرفت أرأس إذا سميت به ولم تهمز فقلت أرس وأما أبو عمرو فكان يقول أحي ولو جاز ذا لقلت في عطاء عطي لأنها ياء كهذه الياء وهي بعد ياء مكسورة ولقلت في سقاية سقييه وشاو شوى وأما

يونس فقوله هذا أحى كما ترى وهو القياس والصواب » . الكتاب ٢ / ١٣٢ ط بولاق (باب تحقير بنات الياء والواو اللاتى لاماتهن ياآت وواوات) .

« وزعم يونس أن من العرب من يقول فى سراويل سرييلات وذلك لأنهم جعلوه جماعا بمنزلة دخاريس وهذا يقوى ذاك لأنهم إذا أرادوا بها الجمع فليس لها واحد فى الكلام كسرت عليه ولا غير ذلك » . الكتاب ٢ / ١٤٢ ط بولاق (باب ما كسر على غير واحده ، المستعمل فى الكلام وإذا أردت أن تحقره حقرته على واحده المستعمل فى الكلام الذى هو من لفظه) .

وجاء فى المقتضب للمبرد جـ ٢ ص ٢٨٦ :

« باب مايسمى به من الجماعة فإذا سميت رجلا بمساجد وأردت تحقيره قلت مسيجد ، وإن عوضت قلت مسيجيد .

وإن سميت قبائل أو رسائل قلت : ـ

قبيئل ورسيئل فى قول جميع النحويين إلا يونس بن حبيب فإنه كان يقول : قبيل ، ورسيل ، وذلك ردىء فى القياس .

فالنحويون أقروا الهمزة ، وحذفوا الألف ، وأما يونس بن حبيب فكان يقول « لما كانتا زائدتين كانت التى هى أقرب إلى الطرف أولى بالحذف » .

ثم يمضى صاحب الكتاب ـ وليس هذا القول بشىء لما ذكرت . فأما تحقير هذا الضرب وهو الجمع فلا يجوز فيه إلا قبيلات ورسيلات ، لأنك إنما حقرت الواحد نحو : — قبيلة ورسالة ، ثم جمعته جمع أدنى العدد . وقد مضى القول فى هذا » .

« كان أبو عمرو بن العلاء يقول أحى (أى بالادغام وحذف الثالثة معتداً بها فيعربه (كقاض) فى ولو جاز ذا لقلت فى عطاء عطى (كقاض) لأنها

بياء كهذه الياء وهى بعد ياء مكسورة وأما يونس فقوله : هذا أحى بمنع الصرف كما ترى (وهو القياس والصواب) »

شرح الشافية ج ١ ص ٢٣٣ فى باب التصغير .

« فى التصغير قال يونس : إن من العرب من يقول فى تصغير سراويل : سريبلات اعتقاداً منه أنها جمع سروالة لأن هذه الصيغة مختصة بالجمع ، فجعل كل قطعة منها سروالة .

شرح الشافية ج ١ - ص ٢٦٩

« قال يونس فى ثلاثون جذسا .

تليثون بحذف الألف ، لأن الواو والنون كجزء الكلمه إذ ليس بجمع ثلاث » .

شرح الشافية ج ١ - ص ٢٤٧ (التصغير) .

« التصغير - إذا سميت مذكراً بمؤنت مجرد عن التاء كأذن وعين لم تلحق به التاء فى التصغير ولكن يونس يدخل التاء فيه فيقول : أذينة .. وعيينة ، استدلالا بأذينة وعيينة .. على رجلين ، وهذان عند النحاة إنما سمى المذكران بهما بعد التصغير ، فلا حجة فيه » .

شرح الشافية ج ١ ص ٢٤٠

« قال سيبويه التعويض قول يونس » .

فكل ما حذفت فى التصغير ، سواء أكان أصلياً كما فى سفرجل أو زائداً كما فى مقدم ، يجوز لك التعويض منه بياء ساكنة قبل الآخر بأن لم يكن

فى المكبر حرف علة فى ذلك الموضع ، وإن كان كما فى آخر احرنجام فلا تقدر على التعويض لاشتغال المحل بمثله » .

شرح الشافية جـ ١ ص ٢٦٤ (التصغير) .

« فى نحو قبائل وعجائز ... اختار (يونس) فيها حذف الهمزة لقربها من الطرف وإذا صغرت على هـذا مطاياً صارت مطىّ وإن حذفت ياء خطاياً على قول يونس رجعت الهمزة أيضاً إلى أصلها لعدم اجتماع همزتين. فتقول أيضاً خطى كحمير » .

شرح الشافية جـ ١ ص ٢٥٨

« فى باب التصغير حكى أبو عمرو بن العلاء أحىّ كما قالوا أحيوا وقال يونس أحى كما قالوا أحيو فقال سيبويه : هذا هو القياس والصواب » .

شرح الشافية جـ ١ - ص ٢٢٦ و ٢٣٢

« كان أبو عمرو بن العلاء يقول أحى (أى بالادغام وحذف الثالثة معتداً بها فيعربه (كقاضى) فى ولو جاز ذا لقلت فى عطاء عطى (كقاضى) لأنها ياء كهذه الياء وهى بعد ياء مكسورة ، ولقلت فى سقاية سقييه .. وشاء شوى وأما يونس فقوله : هذا أحى بمنع الصرف كما ترى (وهو القياس والصواب) .

شرح الشافية جـ ١ - ص ٢٣٣ (فى باب التصغير) .

« لا اعتبار للعلم بما نقل عنه من تذكير أو تأنيث بل تقول فى رمح (علم امرأة) رميحة . وفى عين (علم رجل) عيين خلافاً لابن الانبارى فى اعتبار الأصل فى الأول رميح وفى التالى عيينة ، ويونس ... يجيزه واحتج لذلك بقول العرب نويرة وعيينة الخ .

وليس ذلك بحجة لإمكان أن تكون التسمية بها بعد التصغير » .
الأشمونى والصبان ـ ص ١٧١ ـ (التصغير) .

« يعنى بقوله ثالثاً ما زاد على حرفين ولو كان أولا أو وسطاً . فالأول كقولك فى تصغير يرى مسمى به يرى من غير رد اعتداداً بحرف المضارعة ، ويونس يرد ولا ينوى على أصل مذهبه فى يعيل تصغير يعلى ونحوه » .
الأشمونى والصبان ـ ص ١٦٨ (التصغير) .

باب النسب

« والذين قالوا حانوى شبهوه بعموى وإن أضفت إلى فعل لم تغيره لأنها إنما هى كسرة واحدة كلهم يقولون سمرى والدئل بمنزلة النمر تقول دؤلى وكذلك سمعناه من يونس وعيسى » . الكتاب ٧٣/٢ ط بولاق (باب الإضافة إلى كل شىء من بنات الياء والواو إلى اليآت والواوات لاماتهن إذا كان على ثلاثة أحرف وكان منقوصاً للفتحة التى قبل اللام) .

« وزعم يونس أن ناساً من العرب يقولون أميى ، فلا يغيرون لما صار إعرابها كإعراب ما لا يعتل شبهوه به كما قالوا طيئى » . الكتاب ٧٣/٢ ط بولاق (باب الإضافة أى النسب إلى فعيل أو فعيل من بنات الياء والواو التى اليآت والواوات لاماتهن وما كان فى اللفظ بمنزلتهما) .

« وحدثنا يونس أن أبا عمرو كان يقول فى ظبية ظبيى ولا ينبغى أن أن يكون فى القياس إلا هذا إذ جاز فى أمية وهى معتلة وهى أثقل من رميى وأما يونس فكان يقول فى ظبية ظبوى وفى دمية دموى » . الكتاب ٧٤/٢ ط بولاق (باب الإضافة إلى كل اسم كان آخره ياء وكان الحرف الذى قبل الياء ساكناً وما كان آخره واوا وكان الحرف الذى قبل الواو ساكناً)

« ويقوى أن الواوات لاتتغير قولهم فى بنى جروة وهم حى من العرب جروى وأما يونس فجعل بنات الياء فى ذا وبنات الواو سواء ويقول فى عروة عروى وقولنا عروى . » الكتاب ٢/٧٥ ط بولاق (باب الإضافة إلى كل اسم آخره ياء وكان الحرف الذى قبل الياء ساكناً وما كان آخره واوا وكان الحرف الذى قبل الواو ساكناً) .

« وسألت يونس عن معزى وذفرى فيمن نون فقال هما بمنزلة ما كان من نفس الكلمة كما صار علباء حيث انصرف بمنزلة رداء فى الإضافة والتثنية ولا يكون أسوأ حالا فى ذا من حبلى . » الكتاب ٢/٧٧ ط بولاق (باب الإضافة إلى اسم آخره ألف مبدلة من حرف من نفس الكلمة على أربعة أحرف ...) .

« وسألت يونس عن مرامى فقال مرامى جعلها بمنزلة الزيادة وقال لو قلت مراموى لقلت حباروى . » الكتاب ٢/٧٨ ط بولاق (باب الإضافة إلى اسم كان آخره ألفاً وكان على خمسة أحرف) .

« وسمعنا من العرب من يقول فى جمع هنت هنوات » . قال الشاعر :

أرى ابن نزار قد جفانى وملنى على هنوات كلها متتابع

فهى بمنزلة أخت وأما يونس فيقول أختى وليس بقياس . » الكتاب ٢/٨١ ط بولاق (باب مالا يجوز فيه من بناء الحرفين إلا الرد) .

« وزعم يونس أن أبا عمرو زعم أنهم يقولون ابنى فيتركه على حاله كما ترك دم وأما الذين حذفوا الزوائد وردوا فإنهم جعلوا الإضافة تقوى على حذف الزوائد كقوتها على الرد كما قويت على الرد فى دم . » الكتاب ٢/٨١ط بولاق (باب الإضافة إلى مافيه الزوائد من بنات الحرفين) .

« تقول كلوى وثنوى وبنتان بنوى وأما يونس فيقول ثنتى وينبغى له

أن يقول هنتى فى هنه لأنه إذا وصل فهى تاء كتاء التأنيث وزعم الخليل أن من قال بنتى قال هنتى ومنتى وهذا لا يقوله أحد .» الكتاب ٢/٨٢ ط بولاق (باب الإضافة إلى مافيه الزوائد من بنات الحرفين) .

« وزعم أن أصل بنت وابنه فعل كما أن أخت فعل ويدلك على ذلك أخوك وأخاك وأخيك وقول بعض العرب فيما زعم يونس آخاء فهذا جمع فعل . » الكتاب ٢/٨٢ ط بولاق (باب الإضافة إلى مافيه الزوائد من بنات الحرفين) .

« فإن قلت أضع الفاء فى آخر الحرف لم يجز ولو جاز لجاز أن تضع الواو والياء إذا كانت لاما فى أول الكلمة إذا صغرت . ألا تراهم جاءوا بكل شىء من هذا فى التحقير على أصله وكذا قول يونس » الكتاب ٢/٨٥ ط بولاق (باب الإضافة إلى ماذهبت فاؤه من بنات الحرفين .)

« وقالوا فى الرباب ربى وإنما الرباب جماع واحده ربة فنسب إلى الواحد وهو كالطوائف وقال يونس إنما هى ربة ورباب كقولك جفرة وجفار وعلبة وعلاب والربة الفرقة من الناس . » الكتاب ٢/٨٨ ط بولاق (باب الإضافة إلى الجمع) .

« الياء أغلب على الواو حتى تصيرها ياء من الواو على الياء حتى تصيرها واوا وسترى ذلك فى أفعل وفى تثنية ما كان على أربعة أحرف فلما لم يستبن كان الأقوى أولى حتى يستبين لك وهذا قول يونس وغيره . » الكتاب ٢/٩٣ ط بولاق (باب الإضافة إلى الجمع) .

وجاء فى المقتضب للمبرد جـ ٣ ص ١٣٧ :

(باب ماكان على ثلاثه أحرف مما آخره حرف لين) :

« فأما قول يونس فى النسب إلى ظبية : ظبوى فليس بشىء . إنما

القول ما ذكرت لك(١) . فإن كانت الياء شـــديدة أصلية فإن النسب على ضربين» .

«قال صاحب الكتاب (وتقول فى غزوة وظبى غزوى وظبي واختلف فيما لحقته التاء من ذلك فعند الخليل وسيبويه لا فصل وقال يونس فى ظبية ودمية وقتية ظبوى ودموى وفتوى وكذلك بنات الواو كغزوة وعروة ورشوة وكان الخليل يعذره فى بنات الياء دون بنات الواو) .

شرح المفصل لابن يعيش الجزء الخامس (باب مبحث النسب) ص ١٥٣ .

«كان الزجاج يميل إلى القول أن لا فرق بين ذوات الياء والواو فيقولون فى قنية : قنوى ، وفى عروة : عروى ويحتج بأن تا التأنيث قوة التغيير فيها ، وأما يونس فلم يرد عنه احتجاج لذلك وكان الخليل يعذره فى ذوات الياء ويحتج له بأنه شبه فعلة بفعلة مكسور العين قال لأن اللفظ بفعلة وفعلة إذا سكنت العين سواء» .

شرح المفصل لابن يعيش الجزء الخامس (باب مبحث النسب)ص ١٥٣

---

(١) فى سيبويه جـ ٢ ص ٧٤ - ٧٥ . « باب الإضافة إلى كل اسم كان آخره ياء ، وكان الحرف الذى قبل الياء ساكنا ، وما كان آخره واوا وكان الحرف الذى قبل الواو ساكنا .

وذلك نحو : ظبى ورمى وغزو ونحو . تقول ظبيى ورميى وغزوى ونحوى ، ولا تغير الياء والواو فى هذا الباب ، لأنه حرف جرى مجرى غير المعتل . تقول غزو فلا تغير الواو ، كما تغير فى غد ، وكذلك الإضافة إلى نحى وإلى العرى .

فإذا كانت هاء التأنيث بعد هذه الياءات فإن فيه اختلافا : فمن الناس من يقول فى رمية : رميى . وفى ظبية . ظبيى . وفى دمية : دميى . وفى فتية : فتيى ، وهو القياس من قبل أنك تقول : رمى ونحى ، فتجرى مجرى مالا يعتل ، نحو : درع وترس وحقه ، فلا يخالف هذا النحو . كأنك أضفت إلى شىء وليس فيه ياء =

« فى هذا القول : « ونحو ظبية وقنية ورقية وغزوة وعروة ورشوة على القياس عند سيبويه وزنوى ومروى شاذ عنده ، يقول يونس ظبوى وغزوى واتفقا فى باب غزو وظبى وبدوى شاذ » .

شرح الشافية جـ ٢ ص ٤٦ .

« إن كانت الياء ثالثة والساكن قبلها حرف صحيح فلا يخلو من أن يكون مع التاء كظبية أولا كظبى فالمجردة لاتغيير فيها اتفاقاً لحصول الخفة بسكون العين وصحتها ولعدم مايجرى على التغيير من حذف التاء وأما الذى مع التاء فسيبويه والخليل ينسبان إليه أيضاً بلاتغيير سوى حذف التاء فيقولان ظبى وقنى ورقى وكذا فى الواوى عزوى عروى — ورشوى لسكون عينى جميعها . وكان يونس يحرك عين جميع ذلك واوياً كان أو يائياً بالفتح أما فى اليائى فلتخفف الكلمة بقلب الياء واوا وخص ذلك بالثلاثى ذى التاء ، أما الثلاثى فلأنه مبنى على الخفة فطلبت بقدر الممكن ... وأما ذو التاء فلأن التغيير بحذف التاء جرأ على التغيير بالفتح مع قصد الفرق بين المذكر والمؤنث . وأما الفتح فى الواوى فحملا على اليائى والذى حمل يونس على ارتكاب هذا اليائى والواوى مع بعده قولهم فى القرية قروى وفى بنى زنية وبنى البطية — زنوى وبطوى » .

شرح الشافية جـ ٢ ص ٤٧ — ٤٨

= وحدثنا يونس أن أبا عمرو كان يقول فى ظبية : ظبى ، ولا ينبغى أن يكون فى القياس إلا هذا وأما يونس فكان يقول فى ظبية : ظبوى وفى دميه : دموى ، وفى فتيه : فتوى . فقال الخليل : كأنهم شبهوها حيث دخلتها الهاء بفعلة . هذا قول الخليل وزعم أن الأول أقيسهما وأعربهما » .

« جاء أميي » يعني جاء في فعيل من المعتل اللام وإبقاء الياء الأولى لقلة الثقل بسبب الفتحة قبلها ولم يأت نحو غنيي هذا قوله . وقد ذكرنا قبل أنه قد يقال غنيي على ما حكى يونس .

وقال السيرافي إن بعضهم يقول عديي إلا أنه أثقل في أميي لزيادة الكسرة فيه : وقال سيبويه بعض العرب يقول في النسب إلى أمية أموي بفتح الهمزة قال : كأنه رده إلى مكبره طلباً للخفة »

شرح الشافية جـ ٢ ص ٣٠

المنسوب :

ردوا على أقربها الأقاصيا   إن لها بالمشرفي حاديا

ذكرتني الطفي وكنت ناسيا

الثقل في أميي ليس لانفتاح ما قبل أولى الياءين المشددتين كالثقل في نحو عليي لأن ههنا مع الياءين المشددتين كسرتين . فلهذا كان استعمال نحو أميي بياءين مشددتين أكثر في استعمال نحو عديي كذلك ، وقد جاء نحو أميي وعديي بياءين مشددتين فيهما في كلامهم كما حكى يونس وأن كان التخفيف بحذف أولى الياءين وقلب الثانية واوا أكثر »

شرح الشافية جـ ٢ ص ٢٣

فصل إذا نسبت إلى ما حذفت عينه وصحت لامه رددتها إلخ :

« كما وجب حذف التاء في النسب إلى مكة وبصرة نحو (مكي وبصري)

فى الجمع بالألف والتاء نحو (مسلمات) لئلا تقع تاء التأنيث حشوا هذا قول سيبويه والخليل أجروا الياء وإن كانت للإلحاق مجرى تاء التأنيث لاختصاصها بالمؤنث وفتح أوليهما فى النسب كما فتح فى الجمع بالألف والتاء (ويونس) يوافق على حذف التاء فى الجمع فيجريها مجرى تاء التأنيث ويحذفها ويخالف فى النسب فلا يحذف التاء ويجمع بينها وبين ياء النسب فيجريها مجرى الملحق به ويبقى أولها على حركته و (يقول فيهما « أختى وبنتى » محتجاً بأن التاء لغير التأنيث لأن ما قبلها ساكن صحيح) وتاء التأنيث إذا كان ما قبلها صحيحاً يجب فتحه نحو قصعة وضيعة ولا يسكن إلا إذا كان معتلا نحو فتاة وقناة » .

شرح التصريح على التوضيح — الجزء الثانى — ص ٣٣٦ — ط مصطفى محمد .

« فى النسب إلى بنت وأخت قال يونس ينسب إليهما على لفظهما ولا تحذف الياء فتقول أختى وبنتى .

الأشمونى والصبان جـ ٣ — ص ١٨٥ — (باب النسب)

وعند يونس تقول ثنتى وكلتى أو كلتوى ، وذيتى ، وذكر بعضهم فى النسب إلى كلتا على مذهب يونس كلتى وكلتوى . وكلتاوى كالنسب إلى جعلى بالأوجه الثلاثة »

الأشمونى والصبان — ص ١٩٥ —

« فى النسب إلى ثنتان وكلتا وذيت ... رأى يونس أن تقول ثنتى

وكلتى أو كلتوى وذيتى وكيتى وذكر بعضهم فى النسب إلى كلتا على مذهب يونس كلتى وكلتوى وكلتاوى كالنسب إلى حبلى بالأوجه الثلاثة » .

الأشمونى والصبان ج ٣ - ص ١٨٦ - (باب النسب) .

وأما « كلتا » فالتاء فيها بدل فى لامها والألف فيها للتأنيث على حد إبدالها فى بنت وأخت وأصلها كذكرى والذى يدل على أن اللام مبدلة قولهم فى مذكرها كلا وكلا فعل ولامه معتلة بمنزلة لام حجا ورضى وأن تكون اللام واوا أمثل فى أن تكون ياء لأن إبدال التاء من الواو أضعاف إبدالها من الياء والعمل إنما هو على الأكثر فعلى هذا ينسب إليه كما ينسب إلى بنت وأخت فتقول كلوى فمن حيث وجب رد بنت فى النسب إلى الأصل وجب رد كلتا إلى الأصل وحذفت التاء ثم حذفت ألف التأنيث فقيل كلوى واللام متحركة لأنه قد صح تحريكها فى كلا وقياس مذهب يونس أن يقول كلتوى لأن التاء بدل فى اللام فهى كتاء بنت وأخت وقوله « تقول كلتى وكلتوى على المذهبين » يعنى يونس ولا ينطبق هذا على سيبويه لأن سيبويه يقول كلوى » .

شرح المفصل لابن يعيش - ج ٦ - ص ٦ - (ما كان على حرفين)

حذف الألف فى النسب :

« يتحتم حذف الألف خامسة كما يتحتم حذفها رابعة مع تحرك ثانى الكلمة وإن كان ثانى الكلمة ساكناً جاز تشبيه ألف التأنيث بالألف المنقلبة والأصلية والتى للإلحاق فتقول حبلوى وبألف الاثنين الممدودة فتزيد قبلها ألفاً آخر وتقلب ألف التأنيث واوا فتقول حبلاوى ودنياوى وكما جاء تشبيه ألف التأنيث بالمنقلبة والأصلية . والتى للإلحاق بألف التأنيث

المقصورة فى الحذف فتقول ... حبى وأرطى وبألف التأنيث الممدودة تقول ملهاوى وحتاوى وأرطاوى وقد شبهوا فى الجمع أيضاً - المنقلبة بألف التأنيث لكن قليلا وقالوا مدارى فى جمع مدرى كحبالى فى حبالى .

أما الخامسة مما فوقها فإنها تحذف فى النسب مطلقاً منقلبة كانت أو غيرها بلا خلاف بينهم للاستثقال إلا أن يكون خامسة منقلبة وقبلها حرف مشدد فإن يونس جعلها كالرابعة فى جواز الإبقاء والحذف فعلى عنده كأعلى. وألزمه سيبويه أن يجوز فى الخامسة للتأنيث القلب ، أيضاً نحو عبدى ، كما أجازه فى الرابعة للتأنيث ولا يجيزه يونس ولا غيره ولا يلزم ذلك يونس لأن أصل الرابعة التى للتأنيث الحذف كما تقدم فلزم فيما هو كالرابعة بخلاف المنقلبة فإن أصل الرابعة المنقلبة القلب وألزمه سيبويه أيضاً أنه لو جاء مؤنث على نقل معد وخدب ونحو ذلك فسمى به مذكر يصرف ، لأنه يكون إذن كقدم إذا سمى به مذكر ولا قائل به » .

شرح الشافية جـ ٢ ص ٤٠ - ٤١

قياس ضعيف فى نظرهم :

« إذا كانت الألف المنقلبة عن أصل خامسة بعد حرف مشدود نحو معلى فمذهب سيبويه والجمهور الحذف وهو المفهوم من إطلاق الناظم وذهب يونس إلى جعله كملهى فيجوز فيه القلب وهو ضعيف » .

الأشمونى والصبان - ص ١٧٩ - (النسب)

« قال يونس فى نوادره :

فاكه من الفاكهة مثل لابن وتامر » .

المزهر للسيوطى جـ ٢ - ص ٢٧٥ - ط دار إحياء الكتب العربية .

باب الوقف

« وقد يقول بعض العرب : ارم فى الوقف والمر واخشى . « حدثنا بذلك عيسى بن عمرو يونس » الكتاب ٢٧٨/٢ ط بولاق (باب ما تلحقه الهاء فى الوقف لتحرك آخر الحرف) .

« حدثنا يونس : أن بعض من يوثق بعربيته من العرب يقول : هذا (رامى وغازى وعمى) أظهروا فى الوقف حيث صارت فى موضع غير تنوين لأنهم لم يضطروا ههنا إلى مثال ما اضطروا إليه فى الوصل من الاستثقال » الكتاب ٢٨٨/٢ ط بولاق (باب ما يحذف من أواخر الأسماء فى الوقف ، وهى اليا آت) .

« وسألت الخليل عن القاضى فى النداء ، فقال : أختار ياقاضى لأنه ليس بمنون ، كما أختار هذا القاضى » وأما يونس فقال : ياقاض « وقول يونس أقوى لأنه لما كان من كلامهم أن يحذفوا فى غير النداء كانوا فى النداء أجدر » الكتاب ٢٨٩/٢ ط بولاق (باب ما يحذف من أواخر الأسماء فى الوقف ، وهى اليا آت) .

« وحدثنا أبو الخطاب ويونس أن بعض من يوثق بعربيته من العرب يقول هذا رامى وغازى وعمى حيث صارت فى موضع غير تنوين .

واختار يونس أن تقول يا قاض بحذف الياء لأن النداء باب حذف وتغيير فإذا جاز الحذف فى غير النداء كان فى النداء أولى .

فأما قولك « يارى » تريد إسم الفاعل من أرى يرى فالوجه إثبات الياء وعليه الخليل ويونس لأنك لو أسقطت الياء فى الوقف لأخللت بالكلمة

بحذف بعد حذف فيتوالى إعلالان وذلك مكروه».

شرح ابن يعيش على المفصل للزمخشرى - ج ٩ - ص ٧٥ ط المنيرية (باب الوقف).

الفصل الثانى فى أقسام المنادى وأحكامه :

(يا قاضى) خلاف بين يونس والخليل .

«قال الدنوشرى فى التسهيل ويحذف تنوين المنقوص المعين بالنداء المثبت ياؤه عند الخليل .

شرح التصريح على التوضيح - الجزء الثانى - ص١٦٢ - ط مصطفى محمد .

«اختار يونس أن تقول ياقاض بحذف الياء لأن النداء باب حذف وتغيير فإذا جاز الحذف فى غير النداء كان فى النداء أولى واختار سيبويه قول يونس :

فأما قولك «يارى» تريد اسم الفاعل من أرى يرى فالوجه إثبات الياء وعليه الخليل ويونس لأنك لو أسقطت الياء فى الوقف لأخللت بالكلمة بحذف بعد حذف فيتوالى إعلالان وذلك مكروه عندهم» .

شرح ابن يعيش على المفصل — : ص ٧٥ ط المنيرية — (باب المعتل) .

«وفى يامرى يثبت يونس الياء لأننا نريد اسم الفاعل من أرى يرى وعليه الخليل أيضاً .

لأننا لو أسقطنا الياء فى الوقف لأخللنا بالكلمة بحذف بعد حذف، فيتوالى إعلالان مع الإكراه» شرح المفصل لابن يعيش ج ٩ — ط المنيرية .

المنادى المنقوص قياس قوى :

«إذا كان المنقوص منادى مفرداً نحو (يا قاضى) فاختار الخليل والمبرد إثبات الياء كما فى (جاءنى القاضى) سواء لأنه لا مدخل للتنوين فيها حتى

يحذف الياء لتقديره كما حذف فى « جاءنى قاض » وقفاً واختار يونس (وقواه سيبويه) حذف الياء لأن المنادى موضع التخفيف .

وحكى يونس عن الموثوق بعربيتهم رد الياء اعتداداً بزوال التنوين » .
شرح الشافية - ج ٢ - ص ٣٠١

« ... حذف الياء أجود إجراء الوقف على الوصل ، لأن الوصل هو الأصل ، وذهب يونس إلى أن إثبات الياء أجود ، لأن الياء إنما حذفت لأجل التنوين ، ولا تنوين فى الوقت ، فوجب رد الياء ، وقد قرأ بعض القراء قوله تعالى « ما عندكم ينفد وما عند الله باق » بغير ياء وقرأ بعضهم بالياء » .

أسرار العربية — الأنبارى ، تحقيق الأستاذ محمد بهجة البيطار — ص ٣٩

« فإن كان المنقوص (مرفوعاً أو مجروراً جاز إثبات يائه) فى الوقف لأنها كانت ثابتة فى الوصل ولم يحدث مايوجب حذفها » .

شرح التصريح على التوضيح - ج ٢ ص ٣٤٣ - ط مصطفى محمد باب الوقف .

« (أو) كان الحذف (لأجل البناء) كما فى فعل الأمر على قول البصريين (نحو اغزه واخشه وارمه ومنه) أى من الحذف للبناء (فبهداهم اقتده) وهو أمر من يقتدى والهاء فيه للسكت ساكنة ومن كسرها فهى ضمير المصدر وأشبعها ابن عامر برواية ابن ذكوان وبغير إشباع برواية هشام (والهاء) التى للسكت (فى ذلك كله جائزة لا واجبة) تقول فى الوقف لم يغد ولم يخش

ولم يرم واغز واخش وارم بغير هاء سكت وهى لغة لبعض العرب قال سيبويه حدثنا بذلك عيسى بن عمر ويونس » .

شرح التصريح على التوضيح ـ ص ٣٤٧ ط ـ مصطفى محمد ـ فصل : ومن خصائص الوقف اجتلاب هاء السكت .

« فيما يختص بما سقط تنوينه للنداء نحو يا قاض فرأى يونس فيه الحذف لا الإثبات لأن النداء محل حذف ولذلك دخل فيه الترخيم » .

الأشمونى ـ ج ٣ — ص ١٩٧ — (باب الوقف) .

« والثانى ما سقط تنوينه للنداء نحو (يا قاض) فالخليل يختار فيه الإثبات ويونس يختار فيه الحذف » .

الأشمونى ـ ص ٢٠٧ — (الوقف) .

باب الإدغام

« ذهب يونس إلى أنه يجب تخفيف الهمزة فلا يلتقى همزتان . وزعموا أن ابن أبى إسحاق كان يخفف الهمزتين وأناس معه . قال سيبويه وهى رديئة .شرح الشافية ج ٣ — ص ٢٣٦ — الإدغام .

تصريف الأفعال

« يقول سيبويه : « وزعم يونس أن من العرب من يقول : (لببت تلب ، كما قالوا : ظرفت تظرف) ، وإنما قل هذا الباب لأن هذه الضمة تستثقل فيما ذكرت لك ، فلما صارت فيما يستثقلون فاجتمعا فروا منها » .

الكتاب ٢/٢٢٣ط بولاق (باب الخصال التى تكون فى الأشياء) .

« وزعم يونس أنهم يقولون : كع يكع ، ويكع أجود لما كانت قد تحرك في بعض المواضع جعلت بمنزلة (يدع) ونحوها في هذه اللغة وخالفت باب جئت كما خالفتها في أنها قد تحرك » الكتاب ٢/٢٥٥ ط بولاق (باب ما كان من الياء والواو) .

« حكى يونس لببت تلب ولبت تلب أكثر . وأما حببت فنقول إلى هذا الباب للتعجب كضو ورمو ومنه قوله :

وحب بها مقتولة حين تقتل

فهو كقوله :

قصدت له وصحبتي بين ضارج
وبين العذيب بعدما متأملي

على أحد التأويلين في بعد والأصل حببت بالكسر أي صرت حبيباً ولم يقولوا في القليل : مللت كما قالوا في الكثير كثرت بل قالوا مد بمد كراهة للنقل » .

شرح الشافية — جـ ١ — ص ٧٧

« وحكى اليزيدي (لببت تلب) بكسر عين الماضي وضمها في المستقبل قال وحكاه يونس بضمهما جميعاً والأعم لبب كفرح وفي المصباح أن الضم وإن كان فيهما معا قليل شاذ في المضعف واقتصر في لب على هذا الفعل وزاد عليه في « دمم » حرفين آخرين ... »

شرح ابن يعيش على المفصل للزمخشري : ـ جـ ١٠ ـ هامش ص ٧٣ ط المنيرية (من التعليقات) .

نصوص متفرقة

« وذلك إذا كان الآخر هو الأول وذلك قولك له صوت صوت حسن وإنما ذكرت الصوت توكيدا ولم ترد أن تحمله على الفعل لما كان صفة وكان الآخر هو الأول ... وإن قلت له صوت أيما صوت أو مثل صوت الحمار أو له صوت صوتا حسناً جاز وزعم ذلك الخليل ويقوى ذلك أن يونس وعيسى جميعاً زعما أن رؤبة كان ينشد هذا البيت نصباً

فيها ازدهاف أيما ازدهاف

فحمله على الفعل الذى ينصب صوت حمار لأن ذلك الفعل لو ظهر نصب ما كان صفة وما كان غير صفة لأنه ليس باسم تحمل عليه الصفات » الكتاب ١٨٢/١ ط بولاق (باب مايختار فيه الرفع إذا ذكرت المصدر الذى يكون علاجا).

« وذلك قولك الناس مجزيون بأعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر ... وزعم يونس أن من العرب من يقول إن لا صالح فطالح على إن لا أكن مررت بصالح فطالح وهذا قبيح ضعيف لأنك تضمر بعد إن لا فعلا آخر غير الذى تضمر بعد إن لا فى قولك إن لا يكن صالحاً فطالح ولا يجوز أن تضمر الجار ولكنهم لما ذكروه فى أول كلامهم شبهوه بغيره من الفعل وكان هذا عندهم أقوى إذا أضمرت (رب) ونحوها فى قولهم : وبلدة ليس بها أنيس . ومن ثم قال يونس امرر على أيهم أفضل إن زيد وإن عمرو يعنى إن مررت بزيد أو مررت بعمرو » الكتاب ١ /١٣٢ و ١٣٣ ط بولاق (باب مايضمر فيه الفعل المستعمل إظهاره بعد حرف)

« فمن تلك الحروف حسبك وكفيك وشرعك وأشباهها[1] ... وسألته عن قوله (أما أنت منطلقاً أنطلق معك) فرفع وهو قول أبى عمرو وحدثنا به

---

(١) الكتاب ٤٥٢/١

يونس » الكتاب ٤٥٢/١ط بولاق (باب الحروف التى تنزل بمنزلة الأمر والنهى لأن فيها معنى الأمر والنهى) .

« وذلك قولك (أحقاً أنك ذاهب) وكذلك (أأكبر ظنك أنك ذاهب) ... زعم يونس أنه سمع العرب يقولون فى بيت الأسود بن يعفر :

أحقا بنى أبناء سلمى بن جندل تهددكم إياى وسط المجالس

فزعم الخليل أن التهدد هاهنا بمنزلة الرحيل بعد غد وأن أن بمنزلته وموضعه كموضعه » الكتاب ٤٦٨/١ط بولاق (باب من أبواب أن تكون فيه أن مبنية على ما قبلها) .

« وذلك قولك مررت بحية ذراع طولها ومررت بثوب سبع طوله ومررت برجل مائة إبله فهذه تكون صفات كما كانت خير منك صفة يدلك على ذلك قول العرب أخذ بنو فلان من بنى فلان إبلا مائة فجعلوا مائة وصفا .. ومن قال مررت برجل أسد أبوه قال مررت برجل مائة إبله وزعم يونس أنه لم يسمعه من ثقة ولكنهم يقولون هو نار حمرة لأنهم يبنون الأسماء على المبتدأ ولا يصفون بها فالرفع فيه الوجه » الكتاب ٢٣١/١ط بولاق (باب ما يكون من الأسماء صفة مفردا وليس بفاعل ولا صفة تشبه بالفاعل كالحسن وأشباهه) .

« هذه الأسماء لما كانت مبهمة تقع على كل شىء وكثرت فى كلامهم فألفوا بها ماسواها من الأسماء فى تحقيرها وصارت عندهم بمنزلة (لا) (وفى) ونحوها بمنزلة الأصوات نحو (غاق وحاء) ومنهم من يقول غاق وأشباهها ، فإذا صار اسما عمل فيه ماعمل بلا ، لأنك قد حولته إلى تلك الحال كما حولت (لا) وهذا قول يونس والخليل... إلا إنك لاتجرى ذا اسم مؤنث لأنه مذكر إلا فى قول عيسى فإنه كان يصرف امرأة سميتها بعمرو » الكتاب ٤٢/٢ط بولاق (باب تغيير الأسماء المبهمة إذا صارت علامات خاصة) .

« لإضمارك ما يكون مستقرا لها وموضعا لو أظهرته وليس هذا المضمر بنفس المظهر ... وزعم يونس أن العرب تقول (إن بدالك زيدا) أى إن مكانك زيدا والدليل على هذا قول العرب (هذا لك بدل هذا) أى (هذا لك مكان هذا) » . الكتاب ط بولاق ١/٢٨٤ (باب ما يحسن عليه السكوت فى هذه الأحرف الخمسة) .

« ينضم فيه قبل الحرف المرفوع حرف وينكسر فيه قبل الحرف المجرور الذى ينضم قبل المرفوع وينفتح فيه قبل المنصوب ذلك الحرف وهو (ابنم وامرؤ) ... قال هذه هند بنت فلان وزعم يونس أنها لغة كثيرة فى العرب جيدة وأما زيد ابن أخينا فلا يكون إلا هكذا » الكتاب ١/٣١٤ ط بولاق (ما يكون فيه الاسم والصفة فيه بمنزلة اسم واحد) .

« وذلك (لولاك ولولاى) إذا أضمرت الاسم فيه جروا وإذا أظهرت رفع ولو جاءت علامة الإضمار على القياس لقلت ولولا أنت كما قال سبحانه «لولا أنتم لكنا مؤمنين» ولكنهم جعلوه مضمرا مجرورا والدليل على ذلك أن الياء والكاف لا تكونان علامة مضمر مرفوع قال الشاعر «يزيد بن أم الحكم» :

وكم موطن لولاك طحت كما هوى   بأجرامه من قلة النيق منهوى

وهذا قول الخليل ويونس » الكتاب ١/٣٨٨ ط بولاق (هذا باب مايكون مضمرا فيه الاسم متحولا عن حاله إذا أظهر بعده الاسم) .

« اعلم أنهن لا يكن فصلا إلا فى الفعل ... وكان أبو عمرو يقول أن كان لهو العاقل وأما قولهم (كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه وينصرانه) ففيه ثلاثة أوجه فالرفع من وجهين والنصب من وجه

واحد » الكتاب ١/٣٩٦ ط بولاق (باب ما يكون فيه هو وأنت وأنا ونحن وأخواتهن فصلا) .

« ولكن تكون بمنزلة اسم مبتدأ وذلك قولك ما أظن أحدا هو خير منك ... وأما أهل المدينة فينزلون هو هاهنا بمنزلته بين المعرفتين ويجعلونها فصلا فى هذا الموضع وزعم يونس أن أبا عمرو رآه لحنا وقال احتبى ابن مروان فى هذه فى اللحن » الكتاب ١/٣٩٧ ط بولاق (هذا باب لا تكون هو وأخواتها فيه فصلا) .

« وحروف الجر لا تعلق . . . وقال بعضهم لا يعترض على يونس بأن التعليق خاص بأفعال القلوب لأنه يرد بعدم الاختصاص » .

شرح التصريح على التوضيح — ص ١٣٦ — مطبعة مصطفى محمد (فصل ويشار إلى المكان القريب هنا) .

« ومن أثبت الواو مضموما ما قبلها فلأن ذلك مستثقل فى الاسم المعرب كما يجىء فى التصريف وأما إن ولى ميم الجمع ضمير نحو (ضربتموه) وجب فى الأعرف رجوع الضم والواو لأن الضمير لاتصاله صار كبعض حروف الكلمة مكان الواو لم يقع طرفا (وجوز يونس حذف الواو وتسكين الميم مع الضمير أيضاً ولم يثبت ما ذهب إليه) ... » .

شرح الكافية لابن الحاجب ج ٢ ص ٧ (المضمر) — باب « تفسير استقلال الضمير المرفوع المتصل » .

« ... ومن يقول من العرب ما جاءت حاجتك كثير كما يقول من كانت أمك ولم يقولوا ماجاء حاجتك كما قالوا من كان أمك لأنه بمنزلة المثل فألزموه التاء كما اتفقوا على لعمر الله فى اليمين وزعم يونس أنه سمع رؤبة يقول (ماجاءت حاجتك) فرفع ومثل قولهم ماجاءت حاجتك إذصارت تقع على مؤنث قراءة بعض القراء (ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا) و(تلتقطه بعض السيارة) وربما قالوا فى بعض الكلام ذهبت بعض أصابعه وإنما أنث البعض لأنه أضافه إلى مؤنث هو منه ولو لم يكن منه لم يؤنثه لأنه لو قال ذهبت عبد أمك لم يحسن » الكتاب ٢٥/١ ط بولاق (باب الفعل الذى يتعدى اسم الفاعل إلى اسم المفعول واسم الفاعل والمفعول فيه لشىء واحد) .

« ... ومما جاء فى النصب أنا سمعنا من يوثق بعربيته يقول خلق الله الزرافة يديها أطول من رجليها وحدثنا يونس أن العرب تنشد هذا البيت وهو لعبدة بن الطبيب :

فما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما » .

الكتاب ٧٧/١ ط بولاق (باب من الفعل يستعمل فى الاسم ثم تبدل مكان ذلك الاسم اسما آخر فيعمل فيه ما عمل فى الأول)

فائدة :

إتماما للفائدة رأيت أن أتحفك بأرقام الصفحات التى وردفيها اسم (يونس) فى كتاب سيبويه بجزأيه ... أضعها بين يديك كما هى ... دون أى تعديل ... وهى كما ترى مزيج من الآراء النحوية واللغوية وغيرها .

ولست أدعى أنى أحصيت ... أو استقصيت .. فما إلى هذا قصدت ... وإنما هى أرقام لنصوص اطلعت عليها أثناء البحث ... فأردت أن تشاركنى هذه الفائدة ... لعلك تحتاج إليها فى يوم من الأيام ، وسأكتفى بالإشارة إليها فى هامش الكتاب[1] . والله ولى التوفيق .

---

(١) جاء ذكر يونس وحده فى الجـــزء الأول من كتاب سيبويه فى الصفحات الآتية :

٢٥/١ ، ٦١/١ ، ٧٧/١ ، ١١٥/١ ، ١٢١/١ ، ١٣١/١ ، ١٣٢/١ ، ١٣٣/١ ، ١٤٠/١ ، ١٤٧/١ ، ١٦١/١ ، ١٧٣/١ ، ١٧٤/١ ، ١٨٩/١ ، ١٩٤/١ ، ٢٠٧/١ ، ٢٠٨/١ ، ٢١٠/١ ، ٢١٣/١ ، ٢١٥/١ ، ٢١٦/١ ، ٢١٩/١ ، ٢٢٨/١ ، ٢٣٠/١ ، ٢٣١/١ ، ٢٦٣/١ ، ٢٤١/١ ، ٢٤٨/١ ، ٢٤٩/١ ، ٢٥٠/١ ، ٢٥٢/١ ، ٢٥٣/١ ، ٢٥٥/١ ، ٢٥٦/١ ، ٢٧٢/١ ، ٢٧٥/١ ، ٢٨٤/١ ، ٢٨٩/١ ، ٢٩٢/١ ، ٢٩٧/١ ، ٣٠٤/١ ، ٣١١/١ ، ٣١٤/١ ، ٣١٦/١ ، ٣١٧/١ ، ٣١٨/١ ، ٣٢٢/١ ، ٣٢٣/١ ، ٣٢٤/١ ، ٣٢٨/١ ، ٣٣٣/١ ، ٣٤٥/١ ، ٣٤٧/١ ، ٣٥٩/١ ، ٣٦١/١ ، ٣٦٢/١ ، ٣٧٣/١ ، ٣٧٥/١ ، ٣٨٢/١ ، ٣٨٨/١ ، ٣٩٥/١ ، ٣٩٨/١ ، ٤٠٢/١ ، ٤٠٣/١ ، ٤٠٤/١ ، ٤١٢/١ ، ٤٢٢/١ ، ٤٢٣/١ ، ٤٢٤/١ ، ٤٢٩/١ ، ٤٣٨/١ ، ٤٤٢/١ ، ٤٤٤/١ ، ٤٦١/١ ، ٤٦٨/١ ، ٤٧٠/١ ، ٤٧١/١ ، ٤٧٤/١ ، ٤٨٦/١ .

وجاء اسم يونس مقرونا باسم أبى عمرو فى المواضع الآتية :

١٩٤/١ ، ٢٠١/١ ، ٢٠٨/١ ، ٢٦٥/١ ، ٢٧٣/١ ، ٢٩٣/١ ، ٣٠٤/١ ، ٣٦٠/١ ، ٣٩٧/١ ، ٤٥٣/١ .

كما جاء اسم يونس مقرونا باسم عيسى بن عمر فى المواطن الآتية : (والمراد به عيسى بن عمر الثقفى صاحب الإكمال والجامع) .

١٢٧/١ ، ١٣٨/١ ، ١٨٢/١ ، ٢٦٣/١ .

... ...

= وقد جاء مقترنا أيضاً باسم (أبي الخطاب) فيما يأتي :(والمراد به أبو الخطاب الأخفش الكبير) .

٢٥٨/١ ، ٣٧٩/١ .

أما في الجزء الثاني من كتاب سيبويه فقد ورد اسم يونس وحده في الصفحات الآتية :

٦/٢ ، ٢٣/٢ ، ٢٦/٢ ، ٣١/٢ ، ٣٥/٢ ، ٥٠/٢ ، ٥٣/٢ ، ٥٤/٢ ، ٥٨/٢
٦١/٢ ، ٦٣/٢ ، ٧٠/٢ ، ٧١/٢ ، ٧٢/٢ ، ٧٣/٢ ، ٧٤/٢ ، ٧٥/٢ ، ٧٧/٢
٧٨/٢ ، ٨١/٢ ، ٨٢/٢ ، ٨٥/٢ ، ٨٨/٢ ، ٩٣/٢ ، ٩٥/٢ ، ١٠٣/٢ ، ١٠٧/٢
١٠٩/٢ ، ١١٠/٢ ، ١١٣/٢ ، ١١٧/٢ ، ١١٨/٢ ، ١٢٢/٢ ، ١٢٥/٢ ، ١٢٦/٢
١٢٧/٢ ، ١٣٢/٢ ، ١٣٣/٢ ، ١٣٧/٢ ، ١٤٢/٢ ، ١٤٧/٢ ، ١٤٨/٢ ، ١٤٩/٢
١٥٢/٢ .

أما الصفحات التي ورد فيها اسم يونس مقرونا باسم أستاذه أبي عمرو فبيانها كالآتي :

٤٨/٢ ، ٤٩/٢ ، ٦٣/٢ ، ٧٤/٢ ، ٨١/٢ ، ١٠٩/٢ — (وذكر معهما الخليل في ٤٩/٢ — أيضاً) .

وقد ورد اسم يونس مقرونا باسم الخليل في المواضع الآتية :

٣/٢ ، ١٣/٢ ، ٤٢/٢ ، ٩٦/٢ ، ١١٠/٢ — (بالإضافة إلى ٤٩/٢ — تلك التي أشرنا إليها آنفا) .

كما جاء مقترنا باسم عيسى بن عمر فيما يأتي : ٧٣/٢ ، ٢٧٨/٢ .

وجاء مقرونا باسم أبي الخطاب الأخفش فيما يأتي : ٢٨٨/٢ .

ملحوظة : أحياناً يرد اسم يونس في الصفحة الواحدة أكثر من مرة ... فلا نذكر الصفحة إلا مرة واحدة ... ولهذا ينبغي أن يتنبه القارىء الذي يريد الإحصاء إلى مثل هذه الظاهرة في جميع الصفحات السابقة ... لكيلا يقع في الخطأ حين إرادة الحصر والاستقصاء — والله المستعان .

الفصل الثانى

مذهبه فى النحو

أبادر فأقول: إن يونس البصرى قمة من القمم الشوامخ فى النحو العربى .. وقد امتاز عن غيره من النحاة بمذهبه المتفرد المتميز .. ولهذا قالوا عنه قديماً « له أقيسة يتفرد بها » ... ونقول عنه حديثاً : إنه صاحب القياس المبتكر ، والمذاهب التجديدية فى كثير من الأحيان .

والخط الرئيسى فى مذهبه النحوى هو الخط الرئيسى فى شخصيته ، وذلك هو التحرر الفكرى الذى يرتكز على أساس قوى من الأصالة فى الرواية والسماع ، واحترام الوارد من الشواهد بوجه عام .

وإذا كان الأمر كذلك فلماذا عارضه النحاة إذن فى كثير من الأقيسة التى تفرد بها ؟ .

والجواب يتلخص فى اختلاف المنهج بينه وبين هؤلاء النحاة ، وقد عرفنا من قبل أن يونس بن حبيب من زعماء التيار المنهجى ... ذلك الذى يعتمد على السماع مع القياس عليه ، كلما توافرت له الكثرة المعتمدة[1] وأحيانا كان يونس يقيس على القليل الموثوق به ، ولو كان شاهدا وحيداً[2].

ومن هنا جاء الخلاف بينه وبين النحاة الذين يعتمدون على (تجريد القياس) من أنصار (التيار القياسى) بزعامة عبد الله بن أبى إسحاق الحضرمى

---

(١) انظر الموازنة بين المناهج البصرية للدكتور أحمد مكى الأنصارى ص ٤٤.
(٢) راجع الفصل السابق (آثاره النحوية) .

وتلميذه : عيسى بن عمر الثقفى ومن حـــذا حذوهما من عشاق القياس التجريدى .

وكذلك جاء الخلاف بين يونس من ناحية ، وبين أصحاب (التيار الخليلى) من ناحية أخرى ، وعلى رأسهم : الخليل بن أحمد ، وتلميذه الوفى سيبويه إمام النحاة ، ومعهما جمهرة النحويين من البصريين الذين يعتنقون هذا المذهب القياسى أيضاً ... فهو يشترك مع التيار الأول[1] فى أن كلا منهما يصطنع القياس ... لكنه يختلف معه فى استخدام هذا القياس وقد وضحت هذا الفرق فى بحث سابق حيث قلت : « هناك فرق كبير بين المنهجين (الأول والثانى) بالرغم من أنهما جميعاً يصطنعان (القياس) ويتخذانه محوراً للدراسة النحوية ، غير أن المنهج الأول يعتمد على (تجريد القياس) بينما المنهج الثانى يعتمد على (تصحيح هذا القياس) ومن هنا جاء الفرق بين المذهبين[2]» .

ولما كان يونس يعتمد — فى مذهبه — على الآثار المسموعة ويقيس عليها سمينا هذا المذهب (بالتيار المنهجى) ذلك أنه يعتمد على طبيعة اللغة نفسها أكثر مما يعتمد على تحكم القياس[3] » — ومن هنا جاء الخلاف بين (التيار المنهجى) من جهة .. وبين التيارين الآخرين من جهة أخرى ، وهما

---

(١) المراد به (التيار القياسى) بزعامة الحضرمى والثقفى ... أما (التيار الخليلى) فهو بزعامة الخليل وسيبويه ، ومعلوم أن التيارين يشتركان فى اصطناع القياس وإن اختلفا فى استخدام هذا القياس - راجع (خصائص المناهج الثلاثة) ص ٤٤ فما بعدها من بحث (الموازنة بين المناهج البصرية) .

(٢) راجع الموازنة بين المناهج البصرية ص ٥٨ مطبعة جامعة القاهرة سنة ١٩٦٦

(٣) المصدر السابق ص ٦٥

(التيار القياسى) و (التيار الخليلى) كما سلف به البيان فى بحوث كثيرة[1] .

ورب قائل يقول : لماذا تفرد يونس بهذه الأقيسة مع أنه يشترك مع أستاذه أبى عمرو بن العلاء فى زعامة (التيارالمنهجى) ؟

ولك أن تجيب بالجواب السديد فتقول : إن يونس يشترك مع أستاذه فى اعتماد الوارد من الشواهد ويقيس عليها إذا ماتوافرت لها الكثرة المعتمدة ولهذا اعتبرناه من زعماء التيار المنهجى الذى يقيس على الكثير .

غير أن يونس انفرد بالقياس على القليل المسموع مادام موثوقاً به ولو كان شاهداً وحيداً كما رأينا ذلك فى الفصل السابق ... ومن هنا جاءت الأقيسة المتفردة .. تلك التى عناها القدماء فى قولتهم المشهورة ، وسميناها هنا (بالقياس المبتكر) .

وفى الفصل السابق جمعنا هذه الأقيسة المتفردة ، ونافشناها ، وقومناها ، وبينا مداها من التوفيق والإخفاق فى نظرنا ، ونظر سيبويه كذلك ويتمثل ذلك فى آراء يونس التى أشاد بها سيبويه ، والآراء التى عارضها كذلك ، وفى الموازنة بين آراء يونس والخليل ، حيث كانت هناك آراء ليونس أرجح من آراء الخليل بشهادة سيبويه نفسه ، كما كانت هناك آراء على العكس من ذلك ، وقد وافقنا سيبويه على بعضها ، واختلفنا معه فى بعضها الآخر — ثم حشدنا أقيسة أخرى كثيرة ليونس البصرى ... ومن خلال هذا وذاك استنتجنا مذهبه النحوى فى القياس المبتكر .

وهناك فرق آخر بين مذهب يونس من ناحية ، وبين مذهب استاذه

---

(١) منها مثلا : (التيارات الكبرى فى المدارس النحوية) للدكتور الانصارى ـ تحت الطبع .

أبى عمرو من ناحية أخرى ، مع أنهما من واد واحد : وهو (التيار المنهجى) .

ذلك أن أبا عمرو كان يعتمد الوارد من الشواهد فى العصر الجاهلى فقط أما يونس فإن اعتمد الوارد من الشواهد فى جميع العصور ، فلم يفرق بين العصر الجاهلى والعصر الإسلامى مثلا ، ولهذا قلت فى بحث سابق[١] :

« إن أبا عمر بن العلاء مع أنه كان صادق النظر ، صائب الفكر ، واسع الأفق ... إلا أنه ضيق على نفسه ، وعلى لغته أشد التضييق حين رفض الاستشهاد بالشعر الإسلامى ، وقصر همه على الشعر الجاهلى، الذى كان يسمعه من أعراب أدركوا أعراب الجاهلية : حدثنا الأصمعى فقال : (جلست إلى أبى عمرو بن العلاء عشر حجج فلم أسمعه يحتج ببيت إسلامى[٢]) مع أنه كان يستحسن شعر الفرزدق وجرير ونظائرهما من الشعراء الإسلاميين ، وكان يقول فى شعرهم : لقد كثر هذا المحدث وحسن ، حتى لقد هممت أن آمر فتياننا بروايته[٣] .

ولئن كان أبو عمرو — وهو الزعيم الأول للتيار المنهجى — قد ضيق فترة الاستشهاد بالشعر العربى ... إن يونس بن حبيب - وهو الزعيم الثانى .

لهذا المنهج، قد أكمل هذا النقص ، فاعتمد الشعر الإسلامى ، واستشهد به فى كثير من المواطن[٤] وكأنه استشعر هذا النقص من أستاذه أبى عمرو ».

---

(١) انظر ص ٤٩ فما بعدها من (الموازنة بين المناهج البصرية) .

(٢) راجع البيان والتبيين للجاحظ ١/٣٢١

(٣) المصدر السابق .

(٤) انظر مثلا الكتاب لسيبويه ١/١٤٠ - ط بولاق .

فقال معتذراً عنه في إكبار وإجلال : لو كان أحد ينبغي أن يؤخذ بقوله كله في شيء واحد لكان ينبغي لقول أبي عمرو أن يؤخذ كله، ولكن ما من أحد إلا وأنت آخذ من قوله وتارك[1] » .

وفي موطن آخر قلت : « وضع أبو عمرو هذا الأساس للشعر الجاهلي ثم جاء تلميذه يونس فأكمل البناء بالشعر الإسلامي أيضاً ، وأصبح المنهج الثاني أقرب ما يكون إلى الكمال[2] » .

ولا مجال هنا لشبهة قد تدخل على بعض الباحثين الأغرار ، فيقولون مثلا : لماذا نجعل يونس وأبا عمرو من تيار واحد مع أنهما يختلفان في المذهب هذا الاختلاف ؟

والرد على هذا يسير ... فالاختلاف شيء طبيعي[3] والاشتراك شيء طبيعي كذلك ، فإذا ماوجدت هذه الظاهرة أو تلك فلا ينبغي أن ننظر إليها نظرة سطحية ... وإنما الواجب علينا أن نتعمق الأمور ونفحصها بدقة ويقظة واعية ... ثم نستنتج ونستنبط ... وندون ما نقف عليه من نتائج البحث — وشبيه بهذا الاشتراك والاختلاف ما نجده بين المدارس النحوية نفسها ... فالمدرسة الكوفية مثلا تختلف مع المدرسة البصرية ، وتشترك معها في السمات العامة ، ولا يعني وجود المدارس المتميزة أن يكون بين كل

---

(١) طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ص ٢٨

(٢) الموازنة بين المناهج البصرية ص ٦٥

(٣) (طبيعي) بإثبات الياء على مذهب من يرى ذلك في النسب إلى (فعيلة) ... وإني أستريح إلى ذلك بعد البحث القيم الذي قدمه الأب أنستاس الكرملي للمجمع اللغوي وفيه كثير من الشواهد الصحيحة الموثوق بها تمام الثقة ، فارجع إليه إن شئت .

مدرسة وأخرى حدود وفواصل مانعة ، بل هناك قدر مشترك بين الجميع ، وهذا الاشتراك لا يتنافى مع التميز والتشخيص ، وإذا جاز لنا أن نضرب مثلا بالإنسان فإننا نجـد قدراً مشتركا بين الإنسانية جمعاء ، ثم بعد هـذا نجد خصائص فردية تميز كل شخص على حدة ، وهى مايسمونها فى علم النفس (بالفروق الفردية) وكذلك المدارس النحوية لها قدر مشترك بين الجميع ، ثم لـكل مدرسة خصائصها التى تميزها عن الأخرى ،وفى هذا التشبيهرد مقنع لمن أراد أن يقتنع ، ممن أنـكروا المدرسة الـكوفية أوالمدارس النحوية بوجه عام ، زاعمين أن اشتراك المدارس فى بعض الخصائص يفسد عليهم قضية التشخيص[1] » .

ولعل سائلا يسأل أو يعترض فيقول : كيف يتسنى لك أن تجعل يونس ممن يعتمدون على السماع ... مع أنه مشهور بالأقيسة ... أفلا كان من الأصوب أن نسلـكه فى تيار القياس مادام مشهورا بالأقيسة ؟

والجواب : أن القياس يختلف فى مظاهره المتعددة ... وقد « رأينا كلمة القياس حائرة بين البصريين والـكوفيين ، فتارة ينسبون المدرسة البصرية إلى القياس . وأخرى نراهم يعكسون ، فأى قياس يريدون ؟ »[2] .

« وهل يتنافى إثبات القياس للـكوفيين مع إثباته للبصريين ؟

من أثبت القياس للـكوفيين نظر إلى أنهم يقيسون على الشاهد الواحد ، يسمعونه فيتخذونه أساساً للقياس ، ولاريب أن مؤدى ذلك إنما هوالتوسع فى القياس على كل ما ورد عن العرب مهما كان مخالفاً للقاعدة العامة التى وضعوها بأنفسهم من قبل ، ومن هذهالزاوية جعلوا الـكوفيين أصحاب قياس.

ومن نفاه عنهم رأى أن قياسهم تنقصه أهم خصائص القياس المنطق

---

(١) راجع (أبو زكريا الفراء) للدكتور أحمد مكى الأنصارى ص ٣٦٣ توزيع دار المعارف بمصر .

(٢) المصدر السابق ص ٣٦٠

الذى أشرنا إليه من قبل(١) . وفى هذا يقول قايل : « فالقياس الكوفى ينقصه أهم خصائص القياس البصرى ، وهو اقتضاء العلة للحكم ...

وبما سبق يتضح لنا مراد من أثبت القياس للكوفيين ومن نفاه عنهم ، وعلى ضوء ذلك نستطيع أن نقرر : أن القياس البصرى هو الجدير بهذه التسمية المنطقية ، وأن البصريين هم أصحاب القياس دون الكوفيين »(٢) ومثل ذلك يقال فى أقيسة يونس بن حبيب ، تلك التى اشتهر بأنه تفرد بها ، فلا شك أن بعضها كان يعتمد على الشاهد الواحد أكثر مما يعتمد على القياس المنطقى الذى اشتهر به البصريون على وجه العموم .

وربما كان مذهب يونس نواة للمدرسة البغدادية ... أو بعبارة أدق حلقة من حلقات البذور الخفية لنشوء المدرسة البغدادية فى طور من أطوار نشأتها الأولى قبل النضج والاستواء ، ذلك أن مذهب يونس يعتبر مثلا جيداً للخروج على المدرستين معاً (البصرية والكوفية) .

ولعل أبا زكريا الفراء — وهو المؤسس الحقيقى للمدرسة البغدادية — كان متأثرا بيونس بن حبيب تأثرا واضحاً ، وقد تناولت ذلك من قبل فقلت(٣)

« أما تلمذة الفراء على يونس بن حبيب (ت ١٨٢ هـ)(٤) فقد كان لها أثر كبير على توجيه الفراء إلى التجديد والابتكار بعد تفهم المذهب البصرى والتعميق فيه ...

« هذا إلى أن أثر يونس البصرى كان — فى نظرى — أعمق من مجرد الرواية والمسائل الفرعية ، فقد كان له أثر فى توجيه الفراء إلى المنهج الجديد ، وقد رأينا أن يونس كان له مذهب خاص ، وأقيسة تفرد بها(٥) » .

---

(١) ص ٣٦٠ من المصدر السابق

(٢) راجع (أبو زكريا الفراء) للدكتور أحمد مكى الأنصارى ص ٣٦٢

(٣) المصدر السابق ص ٣٧٤ — فما بعدها (بتصرف) .

(٤) المنتظم لابن الجوزى ١/٣٠١ نشر القدس .

(٥) راجع مثلا البغية للسيوطى ص ٢٢٦ ط السعادة .

خالف فيها الخليل وسيبويه — يعززني في هذا الاتجاه رأى (فايل) في مقدمة الإنصاف ...

ولعلى لا أخطىء إذا قلت : إن تأثير يونس على الفراء في النحو بالذات كان أوضح من تأثير الكسائى فيه ، وآية ذلك تقارب الروح المنهجية بين يونس والفراء ، والتشابه بينهما في الخروج على المذهبين معاً ... ولعل (بروكلمان) لمح ذلك في دراساته ، ثم قرر تأثر الفراء بيونس في كتاب الحدود ، حين قال في ترجمة الفراء : « أخذ أيضاً عن يونس بن حبيب البصرى ، خصوصاً معانى النحو في كتابه الحدود »(١) .

وقصارى القول في مذهب يونس النحوى أنه الزعيم الثانى للتيار المنهجى ذلك الذى يعتمد على السماع أكثر مما يعتمد على القياس .

كما أنه اختط لنفسه منهجاً متميزاً يتمثل في الأقيسة المتفردة ... تلك التى نشأت من القياس على الشاهد الواحد مهما كان مخالفاً للمألوف من القواعد ... ومن هنا قالوا عنه إنه صاحب أقيسة ومذاهب ينفرد بها .

ومهما اختلفت الآراء في قيمة هذه الأقيسة . ومدى انطباقها أو اختلافها مع المذاهب النحوية الأخرى ... فإن الذى لا شك فيه أن يونس بن حبيب يعتبر أحد العباقرة الخالدين في الفكر العربى ... وبخاصة في النحو ، ولذلك كانوا يطلقون عليه (يونس النحوى) ... لقوته وعبقريته النادرة ... ولهذا خصصت الباب الثانى من هذا الكتاب (لآثاره النحوية ومذهبه في النحو) واعتبرته (القسم الأول) من كتاب (يونس البصرى : حياته وآثاره ومذاهبه) وأرجأت الآثار والمذاهب الأخرى إلى (القسم الثانى) ويشتمل على الناحية اللغوية ، والنقدية ، والرواية ، وما إلى ذلك .

والآن أستودعك الله وأقول : إلى اللقاء في القسم الثانى إن شاء الله .

والله ولى التوفيق ؟

(١) تاريخ الأدب العربى (ترجمة الفراء) تعريب أستاذنا العلامة الدكتور عبد الحليم النجار ـ رحمه الله رحمة واسعة .

فهرس الأعلام(*)

(ا)

(*) حذفت أداة التعريف .

(ن)

(هـ)

يونس البصرى — « ملحوظة : تردد اسم يونس البصرى فى معظم صفحات هذا الكتاب بل أحياناً نجد فى الصفحة الواحدة قد تردد فيها اسمه أكثر من مرة . ، لهذا وذاك أعرضنا عن ذكر أرقام الصفحات الخاصة باسم يونس البصرى توفيراً للجهد » .

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية والآثار

فهرس الأشعار والأراجيز

(حرف الهمزة)

---

(١) وردت بهامش ص ١٦٩ عبارة (عن براها) بدلا من (عن خدام) .

صفحة

---

(١) وردت بصفحة ٢٢٢ عبارة (رجلا) بدلا من (رحلا) .

صفحة

(د)

صفحة

(ذ)

أسيبوية يا ابن الفارسية ما الذى　　تحدثت عن شتمى وما كنت تنبذ ؟
أظلت تغنى سادرا فى مساءتى　　وأمك بالمصرين تعطى وتأخذ

(بشار) ٤٥

(ر)

ومن يصنع المعروف فى غير أهله　　يلاقى الذى لاقى مجير أم عامر
أعد لها لما استجارت ببيته　　قراها من ألبان اللقاح البهازر
فأشبعها حتى إذا ما تبطرت　　فرته بأنياب لها وأظافر
فقل لبنى المعروف هذا جزاء من　　يجود بمعروف إلى غير شاكر ٣١، ٣٢

أيها الشامت المعير بالدهـ　　ـر أأنت المبرأ الموفور

(عدى بن زيد) ٣٤

أم لديك العهد القديم من　　الأيام بل أنت جاهل مغرور

(عدى بن زيد) ٣٤ ه

وتفكر رب الخورنق إذ أشـ　　ـرف يوماً وللهدى تفكير
سره ملكه وكثرما يمـ　　ـلك والبحر معرضاً والسدير
فارعوى قلبه فقال وما غبـ　　ـطة حى إلى الممات يصير
ثم بعد الفلاح والملك والأمـ　　ـة وارتهم هناك القبور
ثم صاروا كأنهم ورق جـ　　ـف فألوت به الصبا والدبور

(عدى بن زيد) ٣٤ ه

تلاعب نينان البحور وربما　　رأيت نفوس القوم من جريها تجرى

(بشار) ٤٥ ه

وإن امرءا دنياه أكبر همه　　لمستمسك منها بحبل غرور ٦٦

مستقبلين شمال الشام تضربنا　　بحاصب كنديف القطن منثور
على عمائمنا يلقى ، وأرحلنا　　على زواحف تزجى مخارير

(الفرزدق) ٨١

(١) وردت بهامش ص ١٥٤ وبصفحة ١٦٠ عبارة (ضربك) بدلا من (صرفك).

صفحة

صفحة

(١) وردت بصفحة ١٤٠ عبارة ما (أتيت) بدلا من (إذا لقيت).

فهرس أنصاف الأبيات(*)

فهرس الامثال والحكم وما كان بمنزلتها

(*) لم نثبت أنصاف الأبيات التى وردت كاملة فى مواضع أخرى .

المصادر والمراجع

أولا ـ المطبوعات :

١ ــ أبو زكريا الفراء ومذهبه فى النحو واللغة : للمؤلف ـ طبع المجلس الأعلى للفنون والآداب ـ نشر دار المعارف .

٢ ــ أبو العلماء (أبو عمرو بن العلاء) : للمؤلف ـ تحت الطبع .

٣ ــ إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربع عشر : تأليف الدمياطى الشافعى الشهير بالبناء (ت ١١١٧ هـ) تصحيح الضباع ـ ط عبد الحميد أحمد حنفى بمصر .

٤ ــ أخبار النحويين البصريين : أبو سعيد السيرافى ــ ط الحلبى .

٥ ــ إرشاد الأريب .

٦ ــ أسرار العربية : ابن الأنبارى ــ تحقيق محمد بهجة البيطار .

٧ ــ الأصمعى : عبد الجبار الجومرد .

٨ ــ الأعلام : الزركلى .

٩ ــ الأغانى : أبو الفرج الأصفهانى ــ ط دار الكتب .

١٠ ــ ألفية ابن مالك .

١١ ــ الأمالى : للزجاجى .

١٢ ــ إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات فى جميع القرآن : أبو البقاء العكبرى ـ ط الحلبى .

١٣ ــ إنباه الرواة على أنباء النحاة : القفطى ــ تحقيق الأستاذ محمد أبى الفضل ابراهيم ــ ط دار الكتب .

١٤ ــ الانتصاف من الانصاف (بهامش الانصاف) : لفضيلة المرحوم الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد .

١٥ — أول كتاب فى النحو العربى : د. حسن عون — ط الإسكندرية سنة ١٩٥٨

١٦ — بغية الوعاة : السيوطى — ط السعادة .

١٧ — البيان والتبيين : الجاحظ — تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون .

١٨ — تاريخ ابن الأثير .

١٩ — تاريخ ابن كثير .

٢٠ — تاريخ أبى الفداء .

٢١ — تاريخ الأدب العربى : بروكلمان — ترجمة المرحوم الدكتور عبد الحليم النجار — ط دار المعارف .

٢٢ — تاريخ الإسلام : الذهبى .

٢٣ — تاريخ بغداد : الخطيب البغدادى — ط السعادة .

٢٤ — تذكرة الحفاظ .

٢٥ — تفسير روح المعانى : الألوسى — ط الأميرية .

٢٦ — التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط : أبو حيان — ط السعادة .

٢٧ — تقريب التهذيب .

٢٨ — تلخيص ابن مكتوم .

٢٩ — تهذيب التهذيب : العسقلانى .

٣٠ — تهذيب اللغة : الأزهرى .

٣١ — التيار القياسى فى المدرسة البصرية : للمؤلف — حوليات كلية الآداب بجامعة القاهرة م ٢٤ — ج ٢ — ديسمبر سنة ١٩٦٢ .

٣٢ — التيارات الكبرى فى المدارس النحوية : للمؤلف — تحت الطبع .

٣٣ — الجامع لأحكام القرآن : القرطبى — ط دار الكاتب العربى — الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٧ ، وأخرى طبع دار الكتب سنة ١٩٥٤

٣٤ — جمع الجوامع : للسيوطى .

٣٥ — جمهرة أشعار العرب .

٣٦ — حاشية الأمير على المغنى — ط المكتبة التجارية وغيرها .

٣٧ - حاشية الخضرى على شرح ابن عقيل - ط المطبعة الأزهرية المصرية ١٩١٤
٣٨ - حاشية الصبان على شرح الأشمونى - ط المكتبة التجارية وغيرها .
٣٩ - الحجة فى القراءات السبع : ابن خالويه - تحقيق الدكتور عبد العال سالم - ط بيروت .
٤٠ - حياة الحيوان : الدميرى .
٤١ - خزانة الأدب : البغدادى - تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون - ط السلفية .
٤٢ - الخصائص : ابن جنى - ط دار الكتب
٤٣ - خلاصة تهذيب الكمال : صفى الدين الخزرجى - ط المطبعة الخيرية ١٣٢٢ هـ
٤٤ - الخليل بن أحمد الفراهيدى (أعماله ومنهجه) - د . مهدى المخزومى - ط الزهراء - بغداد سنة ١٩٦٠
٤٥ - دائرة المعارف الإسلامية .
٤٦ - دائرة معارف القرن العشرين : البستانى .
٤٧ - الدرر اللوامع على همع الهوامع : الشيخ أحمد بن الأمين الشنقيطى
٤٨ - الدفاع عن القرآن (ضد النحويين والمستشرقين) : المؤلف - ط دار الاتحاد العربى للطباعة - نشر دار المعارف - سنة ١٩٧٣
٤٩ - ديوان زهير بن أبى سلمى .
٥٠ - رسالة الغفران : أبو العلاء المعرى - تحقيق الدكتورة بنت الشاطىء - ط دار المعارف .
٥١ - سمط اللآلى : لأبى عبيد البكرى - تحقيق الأستاذ عبد العزيز الميمنى - ط لجنة التأليف والترجمة بمصر .
٥٢ - سيبويه إمام النحاة : الأستاذ على النجدى ناصف - ط نهضة مصر بالفجالة
٥٣ - سيبويه حياته وكتابه : المرحوم الدكتور أحمد أحمد بدوى - ط نهضة مصر بالفجالة .
٥٤ - سيبويه والقراءات (دراسة تحليلية معيارية) : للمؤلف - ط دار الاتحاد العربى للطباعة - توزيع دار المعارف - سنة ١٩٧٢

٥٥ — شذرات الذهب فى أخبار من ذهب . ابن العماد الحنبلى — نشر القدسى .
٥٦ — شرح ابن عقيل على الألفية : تحقيق فضيلة المرحوم الشيخ محمد محى الدين عبد الحميد .
٥٧ — شرح ابن يعيش على المفصل : للزمخشرى — ط المنيرية .
٥٨ — شرح الاشمونى على الألفية — ط المكتبة التجارية وغيرها .
٥٩ — شرح التصريح على التوضيح : الشيخ خالد الأزهرى — ط مصطفى محمد .
٦٠ — شرح الرضى على كافية ابن الحاجب — ط دار الطباعة العامرة .
٦١ — شرح الشافية للرضى — تحقيق الأستاذ الزفزاف وزميليه — ط حجازى
٦٢ — شرح شواهد الشافية للبغدادى : تحقيق الأستاذ الزفزاف وزميليه — ط حجازى .
٦٣ — شرح العكبرى لديوان المتنبى .
٦٤ — شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف : للعسكرى .
٦٥ — شرح مقامات الحريرى .
٦٦ — ضحى الإسلام : الأستاذ المرحوم أحمد أمين ـ ط لجنة التأليف والترجمة والنشر .
٦٧ — الضرائر : ابن عصفور .
٦٨ — طبقات فحول الشعراء : ابن سلام الجمحى .
٦٩ — طبقات المفسرين : للداودى .
٧٠ — طبقات النحويين واللغويين : الزبيدى ـ تحقيق الأستاذ محمد أبى الفضل ابراهيم
٧١ — طبقات فحول الشعراء : ابن سلام الجمحى ـ تحقيق الأستاذ الكبير محمود محمد شاكر ـ ط دار المعارف .
٧٢ — عبقرى من البصرة : د . مهدى المخزومى ـ ط وزارة الإعلام ـ مديرية الثقافة العامة بالجمهورية العراقية ـ سلسلة الكتب الحديثة (٥٣) ـ ١٩٧٢
٧٣ — العربية : يوهان فك ـ تحقيق المرحوم الدكتور عبد الحليم النجار — ط دار الكتاب العربى .
٧٤ — عيون التواريخ .
٧٥ — غاية النهاية فى طبقات القراء : ابن الجزرى ـ نشر برجشتراسر ـ ط الخانجى

٧٦ — غيث النفع فى القراءات السبع : الصفاقسى ـ ط الحلبى .

٧٧ — فجر الإسلام ـ الأستاذ المرحوم أحمد أمين .

٧٨ — فرائد القلائد .

٧٩ — الفهرست : ابن النديم ـ ط الرحمانية ـ نشر المكتبة التجارية بمصر .

٨٠ — فوات الوفيات : محمد بن شاكر بن أحمد الكتبي ـ تحقيق فضيلة المرحوم الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد .

٨١ — فى أصول النحو : الأستاذ الدكتور سعيد الأفغانى ـ ط الجامعة السورية.

٨٢ — القرآن الكريم .

٨٣ — الكامل : ابن الأثير .

٨٤ — الكامل فى اللغة والأدب : المبرد ـ تحقيق الدكتور زكى مبارك ط الحلبى

٨٥ — الكتاب : سيبويه ـ ط بولاق .

٨٦ — الكشاف على حقائق التنزيل : الزمخشرى ـ ط بولاق .

٨٧ — كشف الظنون .

٨٨ — كليات أبو البقاء .

٨٩ — لسان العرب : ابن منظور ـ ط الأميرية .

٩٠ — اللغة والنحو بين القديم والحديث : الأستاذ العلامة عباس حسن عضو المجمع اللغوى ـ ط دار المعارف ١٩١٦

٩١ — ما تلحن فيه العوام ـ ط برسلاو ـ دار الكتب رقم ٢٣٧/ لغة ـ ضمن مجموعة رسائل ـ ط السلفية .

٩٢ — الأمالى : ابن الشجرى .

٩٣ — متن الجوهرة فى علم التوحيد .

٩٤ — مجالس ثعلب : تحقيق وشرح الأستاذ الكبير عبد السلام محمد هارون .

٩٥ — مجالس العلماء : الزجاجى ـ تحقيق الأستاذ الكبير عبد السلام محمد هارون ط الكويت .

٩٦ — مجلس الكسائى : ط الكويت .

٩٧ — مراتب النحويين : أبو الطيب اللغوى ـ تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل ابراهيم
٩٨ — مرآة الجنان : اليافعى اليمنى ـ ط حيدر أباد الدكن .
٩٩ — المزهر فى علوم اللغة وأنواعها : السيوطى ـ دار إحياء الكتب العربية .
١٠٠ — المحتسب : ابن جنى ـ تحقيق الأستاذ على النجدى ناصف ، والدكتور عبد الفتاح شلبى ، والمرحوم الدكتور عبد الحليم النجار ـ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .
١٠١ — المخصص .
١٠٢ — مسالك الأبصار .
١٠٣ — المعارف : ابن قتيبة ـ ط سنة ١٣٠٠ هـ .
١٠٤ — معجم الأدباء : ياقوت الحموى ـ ط دار المأمون .
١٠٥ — معجم البلدان : ياقوت الحموى ـ ط بيروت .
١٠٦ — مغنى اللبيب : ابن هشام الأنصارى ـ ط مصطفى محمد .
١٠٧ — المفضليات : محمد الانبارى الكبير ـ تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون والأستاذ أحمد محمد شاكر ـ ط دار المعارف .
١٠٨ — المقتضب : المبرد ـ تحقيق فضيلة الأستاذ محمد عبد الخالق عضيمة ـ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .
١٠٩ — المقدمة : ابن خلدون ـ ط التقدم .
١١٠ — مقدمة فى النحو : خلف الأحمر ـ تحقيق عز الدين التنوخى ـ ط دمشق
١١١ — منحة الجليل بهامش شرح ابن عقيل: المرحوم الشيخ محمد محي الدين — ط السعادة .
١١٢ — الموازنة بين المناهج البصرية : للمؤلف ـ حوليات كلية الآداب م ٢٤ ج ٢ — ديسمبر ١٩٦٢
١١٣ — الموشح فى مآخذ العلماء على الشعراء : المرزبانى ـ ط السلفية .
١١٤ — ميزان الاعتدال .
١١٥ — النجوم الزاهرة : ابن تغرى بردى ـ ط دار الكتب .

١١٦ — نزهة الألباء في طبقات الأدباء : أبو البركات بن الأنبارى - تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائى - ط المعارف ببغداد سنة ١٢٩٩ هـ

١١٧ — الإنصاف في مسائل الخلاف : كمال الدين أبي البركات - ط الاستقامة بالقاهرة سنة ١٩٤٥

١١٨ — نقائض جرير والفرزدق : أبو عبيدة معمر بن المثنى .

١١٩ — النوادر في اللغة : لأبي زيد - ط بيروت .

١٢٠ — هامش الخزانة .

١٢١ — هامش الكتاب : الأعلم الشنتمرى .

١٢٢ — همع الهوامع شرح جمع الجوامع : السيوطى - ط السعادة سنة١٣٢٧هـ

١٢٣ — وفيات الأعيان : ابن خلكان - ط النهضة .

١٢٤ — يونس بن حبيب : الدكتور حسين نصار - ط وزارة الثقافة بمصر - سلسلة أعلام العرب (٧٧)

ثانياً — المخطوطات :

١٢٥ — البرهان في رواية الدورى عن أبي عمرو بن العلاء - تأليف الشيخ موسى بن قاسم المغربى - مخطوطة نادرة بمكتبة فضيلة المرحوم الشيخ محمد الأمين الضرير - من أجلاء علماء السودان ، وقد تكرم أنجاله البررة بإطلاعى عليها بأم درمان .

١٢٦ — سيبويه والكتاب: فضيلة الأستاذ أحمد السيد غالى- مخطوطة بكلية اللغة العربية (٣٧٨ / نحو) .

١٢٧ — شواذ ابن خالويه .

١٢٨ — طبقات النحاة : ابن قاضى شهبة — مخطوطة : دار الكتب (٢١٤٦/تاريخ) تيمور .

فهرس الموضوعات

فهرس الفهارس

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٧٣/٤٤٩٦

للمؤلف

بحوث وكتب

١ - أبو زكريا الفراء ومذهبه فى النحو واللغة - طبع المجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية - نشر دار المعارف بمصر .

٢ - التيار القياسى فى المدرسة البصرية - مستخرج من حوليات كلية الآداب ، جامعة القاهرة - المجلد الرابع والعشرون - الجزء الثانى - ديسمبر سنة ١٩٦٢م

٣ - الموازنة بين المناهج البصرية - مستخرج من حوليات كلية الآداب جامعة القاهرة - المجلد الرابع والعشرون - الجزء الثانى - ديسمبر سنة ١٩٦٢م

٤ - سيبويه والقراءات : دراسة تحليلية معيارية - توزيع دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٢م

٥ - المعارضة الصريحة للقراءات - مستخرج من مجلة جامعة القاهرة بالخرطوم - العدد الثالث سنة ١٩٧٢م

٦ - الحضرمى النحوى - مستخرج من مجلة جامعة القاهرة بالخرطوم - العدد الرابع سنة ١٩٧٣م

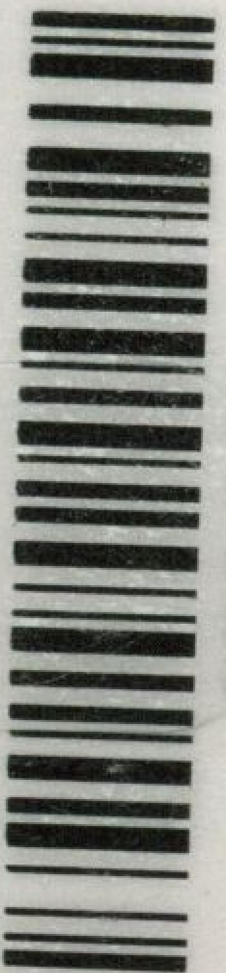
٧ - يونس البصرى : حياته وآثاره ومذاهبه - توزيع دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٣م

٨ - الدفاع عن القرآن (ضد النحويين والمستشرقين) - توزيع دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٣م

٩ - الكسائى مؤدب الأمراء - مستخرج من بحث مستفيض طبع على نفقة جامعة القاهرة بالخرطوم سنة ١٩٧٣م - أما الكسائى الكامل فإنه تحت الطبع .

١٠ - التيارات الكبرى فى المدارس النحوية - تحت الطبع .

١١ - أبو العلماء : أبو عمرو بن العلاء - حياته وآثاره ومذاهبه - تحت الطبع .



الثمن ٨٠ ص